

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع : ١٣٥١٠ / ٩٨

مكتبة الصحابة

الإمارات – الشارقة .
ت : ٥١٥٥٧٥ – فاكس : ٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة – عين شمس .
ت : ٤٩٣٨١٤٤ – فاكس : ٤٩٣٤٣٢٥



الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع : ١٣٥١٠ / ٩٨

مكتبة الصحابة

الإمارات – الشارقة .
ت : ٥١٥٥٧٥ – فاكس : ٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة – عين شمس .
ت : ٤٩٣٨١٤٤ – فاكس : ٤٩٣٤٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

□ مقدمة الطبعة الثانية □

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه .

وبعد :

فأحمد الله على توفيقه ، وأشكره على ما أنعم به فقد نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى فترة قياسية ، على الرغم من أنه لم ينل الدعاية الكافية بعد ، خاصة وأنه كتاب يمثل الحد الأدنى من ثقافة المسلم المعاصر ، فيما يتعلق بالتيارات والمذاهب ، والقوى المضادة للإسلام .

وتصدر الطبعة الثانية لهذا الكتاب فى وقت تتجدد فيه أساليب المواجهة بين الإسلام وبين القوى المعادية .

فمن المؤامرة الصليبية العالمية على المسلمين فى البوسنة والهرسك وفى جنوب السودان ، إلى أساليب الفرقة وإثارة النزعات العرقية فى أفغانستان ، وسائر الجمهوريات الإسلامية التى خرجت لتوها من المعتقل الشيوعى .

وأخيرا فهناك أخطر الأساليب التى تنفذ الآن فى دول الخليج عن طريق إثارة المشاكل الحدودية ، التى تمثل ألغاماً موقوتة زرعها المستعمر قبل جلائه عن العالم الإسلامى ، بهدف تقطيع أواصر المحبة ، وعلاقات الصداقة والأخوة بين الأشقاء فى دول الخليج ، وبين مصر والسودان .

هذا وتمتاز هذه الطبعة :

- بخلوها من الأخطاء المطبعية التى شابت الكتاب فى طبعته الأولى .
- وبإضافة فصل جديد يعالج أخطر الأساليب التى تواجه الإسلام اليوم .

وفى الختام أوجه شكرى وتقديرى إلى الأخوة أصحاب دار الأرقم للطباعة والنشر والعاملين بها على ما قاموا به من جهد فى سبيل إخراج هذا الكتاب فى صورته اللائقة .

المؤلف

أ . د . سعد الدين السيد صالح

الزقازيق فى ١٩٩٣/١٢/٥

□ مقدمة الطبعة الأولى □

لقد كانت ظاهرة عجيبة ، أن يتحول عرب الجزيرة العربية من قبائل متفرقة متناحرة ، تعيش على هامش التاريخ ، لا قيمة لها بين جيرانها من القوى العظمى التى كانت تستعبدها ، إلى أمة جديدة تغير وجه التاريخ وتحطم أممًا وحضارات وتزلزل عروشا وتيجانا ، وتقيم حضارة جديدة ، وتضع قيماً جديدة تصهر معادن العرب وتخلق منهم رجال دولة ، وقادة جيوش ، ومشرعين ، وعلماء ، وفلاسفة ، وأبطالاً - كأبطال الأساطير - سرعان ما يخضعون الإمبراطوريات التى كانت تستعبدهم وتمتص خيراتهم .

لقد كان هذا الحدث العظيم من أعجب الأحداث التى عرفها الجنس البشرى فى تاريخة على الإطلاق ، والسر يعرفه الجميع وهو ظهور خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى اختاره الله لتبليغ هذه الرسالة التى أحدثت انقلاباً فى نفوس العرب ، وبواسطتهم فى المجتمع الإنسانى كله ، ولقد كان هذا الانقلاب غريباً فى كل شىء ، كان غريبا فى سرعته وفى عمقه وفى سعته وشموله وآثاره .

فما كاد الإسلام يظهر حتى اعتنقه المسلمون حين رأوا فيه طوق النجاة للعالم كله من دمار محقق، ومن هنا انطلقوا فى الأرض ينشرون الخير الذى أكرمهم الله به، وأعزهم بعد ذل - على حد قول عمر بن الخطاب : « لقد كنا قوماً أذلاء فأعزنا الله بالإسلام ».

ولم يمض قرن ونصف منذ ظهور الإسلام سنه ٦١١ حتى أسس المسلمون دولة عالمية عظيمة إذ انتصروا على أعظم أمم الشرق والغرب وهم الفرس والروم وفتحوا مصر والشام،كما وصلوا إلى تركستان الغربية ؛ بل وإلى حدود الصين سنه ٣٦هـ على يد القائد المسلم « قتيبة بن مسلم » وانتزعوا إفريقية من القوط ؛ بل هددوا فرنسا فى الغرب والقسطنطينية فى الشرق ، وبذلك وضعوا العالم النصرانى بين فكى كماشة .

ومخرت أساطيلهم(١) التى بنيت بالإسكندرية وموانىء الشام مياه البحر الأبيض المتوسط حتى وصلت إلى جزر اليونان ، وتحدت الإمبراطورية البيزنطية سيدة البحار .

وامتد التوسع الإسلامى فى أوربا حتى توقف إلى حين بهزيمة عبد الرحمن الغافقى وإلى أسبانيا الإسلامية على يد (شارل مارتيل) زعيم مملكة الفرنجة فى موقعة (بواتيه)(٢) قرب مدينة (تور) الفرنسية ١١٠ هـ ٧٣٢ م وهى المعركة المعروفة باسم معركة - بلاط الشهداء(٣) .

ولولا هزيمة عبد الرحمن الغافقى عبر حدود فرنسا لكان للتاريخ الإسلامى شأن غير هذا ، فقد أوصدت أمام المسلمين أبواب أوربا من ناحية الغرب وكان فى نيتهم أن ينشروا الخير والعدل فى أوربا كلها بحيث يصلون إلى القسطنطينية من ناحية غرب أوربا . ولنا أن نقدر ماذا كان يحدث فى التاريخ الإسلامى لو أن هذه الخطوة الجريئة قد تحققت .

واستمرت فتوحات الخير والنور على جبهات أخرى فقد حاولوا فتح روما سنة ٨٤٧ م ثم فتحوا خراسان فى أواخر القرن العاشر الميلادى ، واستمروا فى فتوحاتهم حتى استولوا على مدينة القسطنطينية على يد القائد المسلم محمد بن مراد وهو ابن أربع وعشرين سنة عام ٨٥٧ هـ ١٤٥٣م(٤)

---

(١) اهتم معاوية بن أبى سفيان ببناء أول أسطول إسلامى وقد بلغت قطعه فى عهده (١٧٠٠) قطعة بحرية فتح بها جزيرة قبرص ورودوس ، وبعض جزر اليونان صـ (٣٧) من صراع العرب خلال العصور / الأستاذ عبد الغنى حسن .

(٢) فيشر - تاريخ أوربا فى العصور الوسطى جـ ١ صـ (٧٨) ترجمة زيادة - والعرينى .

(٣) لقد تسببت هذه المعركة فى تأخر أوربا ثمانية قرون ، باعتراف المنصفين من النصارى : يقول المؤرخ الفرنسى العالمى « هنرى دى شامبون » : « لولا انتصار شارل مارتيل الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا ، لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ولنجت أسبانيا من محاكم التفتيش ، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ويقول العلامة لافيس : كم من الأحزان والآلام والجنايات كان يمكن إنقاذ البشرية منها لو لم يوقف شارل العرب عن السير فى فتوحهم راجع جـ١ الفكر الإسلامى للأستاذ أنور الجندى صـ (٣٩٢) مقدمات العلوم والمناهج .

(١) يقول البارون كارادى فو : « إن هذا الفتح لم يقيض لمحمد الفاتح اتفاقاً ولا تيسر لمجرد ضعف دولة بيزنطة ، بل إن هذا السلطان يدبر التدابير اللازمة له من قبل ، ويستخدم له كل ما كان فى عصره من قوة العلم ، فقد كانت المدافع حينئذ حديثة العهد بالإيجاد ومع ذلك استخدم مدفعاً وزن الكرة التى يرمى بها ٣٠٠ كيلو جرام وكان مدى مرماه أكثر من ميل ، ولما زحف محمد الفاتح لفتح القسطنطينية كان تحت قيادته ثلاثمائة ألف مقاتل ومعه مدفعية هائلة وكان أسطوله المحاصر للبلدة من البحر (١٢٠ سفينة بحرية) راجع صـ (١٦١) من كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لأبى الحسن الندوى ، ولاحظ أن هذا التقدم التكنولوجى فى ميدان الحروب قد تحقق للمسلمين فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تحاول اليقظة من ظلام العصور الوسيطة .

وفى سنة ١٥٢٢ م فتح المسلمون فى عهد سليمان القانونى بلغراد وفى سنة ١٥٢٩ حاصر المسلمون مدينة فيينا « عاصمة النمسا » وفى سنة ١٥٣٧ طرد المسلمون البرتغاليين من بحر الهند وكان هذا هو أعلى مد للتيار الإسلامى الذى بدأ فى الانحسار بعد ذلك .

وهكذا أسس المسلمون إمبراطورية إسلامية نشرت الإسلام من تخوم الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ومن أسوار فيينا وجبال البرانس فى فرنسا شمالاً حتى أواسط أفريقيا جنوباً ، وكانوا سادة البحر المتوسط من غير نزاع حتى جعلوه بحيرة إسلامية فلا يباح دخوله لأجنبى وأنشئوا أسطولاً عظيماً عجزت عن سحقه كل أساطيل البندقية ، وأسبانيا والبرتغال ٩٤٥هـ - ١٤٥٧م[١] .

ولم تكن هذه الفتوحات العظيمة من أجل دنيا ، ولا مال ولا أرض ولا سلطان ولا من أجل سلب أو نهب أو استعمار ؛ وإنما كانت من أجل هدف أسمى وغاية أرق من كل ذلك . لقد كانت الفتوحات الإسلامية من أجل إعلاء كلمة الله فى الأرض والقضاء على هذه الطواغيت التى عبَّدت الناس لها ؛ ولتحرير الأرقاء والشعوب المستضعفة وإخراجها من عبادة الأكاسرة والقياصرة إلى عبادة الله الواحد الذى يستحق العبادة . وإخراج الناس من ظلم الأديان المحرفة إلى عدل الإسلام وأمنه ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، كما ورد فى إجابة ربعى بن عامر ، وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة حين أرسل إليهم رستم قائد الفرس ليسألهم عن سر مجيئهم وحروبهم ، وجه هذا السؤال إلى هؤلاء الأبطال الثلاثة فى ثلاثة أيام متوالية فكان الجواب هو : « الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله منا قبلناه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفض إلى الجنة أو الظفر »[٢] .

نعم فمعارك المسلمين وفتوحاتهم كانت من أجل العقيدة ، لم تكن معارك سياسية ، ولا اقتصادية ولا عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها والتحكم فيها ، ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله ﷺ الملك والسيادة والحكم فى مقابل شىء واحد هو أن يتنازل عن عقيدة التوحيد فأبى رسول الله ﷺ ، لأنه لم يأت من

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ (١٦٢) .

(٢) راجع صـ (٦٥) من كتاب إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء للشيخ محمد الخضرى .

أجل هذا ، وإنما أتى من أجل غاية سامية وهى : تعبيد الناس لله ، والقضاء على الطواغيت التى انتزعت حق الله فى الأرض . فعبدت الناس لها وشرعت لهم وحكمت فيهم بغير ما أنزل الله من هنا كانت فتوحات المسلمين فتوحات أخلاقية من أجل سعادة الإنسان الذى أهدرت كرامته وضاعت فى غياهب الأديان المحرفة ، والأنظمة الوضعية الجاهلية . ولم يكن المجاهدون المسلمون يحملون معهم السيف فقط ، بل كانوا يحملون معهم حضارة جديدة ، وتقدماً كبيراً فى العلوم واللغة والآداب والتشريع والإدارة والتجارة إلى غير ذلك من وسائل الرقى والتقدم[1] .

ولذلك كانت الأرض تُطوى تحت أقدامهم طياً ، وكانت الشعوب تستقبلهم استقبال الأبطال المحررين ، لا الغزاة الفاتحين وتقدم لهم العون ، ذلك لما سمعته عن أخلاق المسلمين وعدالتهم فقد وجدت هذه الشعوب فى الإسلام إنقاذا لحريتها ، وضماناً لسلامتها وخلاصاً لها من ربقة العبودية والذل الذى تجرعته كئوساً على يد أكاسرة الفرس وقياصرة النصارى .

وأمام هذه الظاهرة العجيبة وقف أعداء الإسلام يتساءلون عن القوة الخفية التى مكّنت المسلمين من هذه الانتصارات المتوالية مع أنهم أقل عدداً وعدة فى مقابل جيوش متفوقة فى العدد والعدة والحضارة والثروة والخبرة وكل أسباب القوة المادية .

ثم وصلوا إلى السبب الحقيقى وراء انتصارات المسلمين وهو الإسلام ، فالعرب هم العرب وقد عاشوا طويلاً على هامش التاريخ ، فما بالهم اليوم يقتحمون التاريخ ويغيرون مجراه ، وليس هناك شيء قبل البعثة المحمدية كان يؤذن بهذا الاقتحام العجيب .

نعم إنه الإسلام ولا شيء غيره هو القوة الهائلة التى انبعثت من أرجاء الجزيرة العربية .

وتلك هى الظاهرة العجيبة التى طيرت عقول أعداء الإسلام والتى كانت وراء حمى الاستشراق والتبشير الذى جمع كل إمكانياته من العلماء والرحالة والرهبان فى محاولة دائبة لمعرفة أبعاد هذه القوة الخارقة .

وجاءوا صاغرين يتعلمون اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ثم ينقلونها إلى لغاتهم ويدرسونها دراسة متأنية محاولين الإجابة عن هذه التساؤلات .

---

(١) محمد عبد الله عنان – مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام صـ (٢١) .

ما أصل هذا الدين ، وما عناصره ؟ وما أسسه وما مصدره ، وما أهدافه ، ومن رسوله ؟ وما صفاته وأخلاقه ؟ ومن أتباعه وما مدى تمسكهم بدينهم ؟

ووضعوا الإجابة على كل هذه الأسئلة ، ثم وضعوا معها الخطة اللازمة للقضاء على هذه القوة التى يعتمد عليها المسلمون .

فما الخطة التى وضعوها ؟ وما عناصرها وتفاصيلها ، وما الوسائل التى وضعوها لتنفيذها ، وما العناصر التى استخدموها فى التنفيذ ؟

هذا ما نحاول الإجابة عليه فى هذا الكتاب الذى نقسمه إلى مقدمه وتمهيد وفصول . تحدثنا فى المقدمة عن الظاهرة العجيبة ، ونتحدث فى التمهيد عن القوى المعادية ما هى ؟ وما أسباب حقدها على الإسلام ؟

وأما الفصول فقد جمعت فيها أخطر الأساليب التى يواجه بها الإسلام اليوم من أسلوب الغزو العسكرى ، إلى أسلوب الغزو الفكرى ، فالتبشير والاستشراق ، ثم أسلوب تمزيق العالم الإسلامى عن طريق إثارة النزعات القومية ، والفتن الطائفية ، كذلك تحدثت عن إسقاط الخلافة الإسلامية ، وتدخل أعداء الإسلام فى نظم الحكم والتعليم فى العالم الإسلامى .

ثم فصلت أسلوب الفصل بين الدين والدولة ، ومحاولة إبعاد الإسلام عن مجال التطبيق ، كما تحدثت عن أسلوب مسخ الأسرة المسلمة ، وتحديد النسل وضرب الجماعات الإسلامية الملتزمة . وتبنى الفرق المنحرفة .

تحدثت عن كل هذه الأساليب حديثاً مستفيضاً مدعماً بالحجج والوثائق الدامغة .

ولا أهدف من هذا الكتاب إلى أكثر من إثارة الوعى الإسلامى وتنبيهه إلى مدى الأخطار التى تحيط به من جراء الأساليب الخبيثة التى يتبعها معه أعداء الإسلام ، وذلك بهدف اتخاذ الموقف الملائم تجاه هذه الأساليب .

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل ،

المؤلف

أ . د . سعد الدين السيد صالح

الزقازيق في ١١ من ربيع الأول عام ١٤٠٩ هـ

الموافق ٢٢/١٠/١٩٨٨ م

□ تمهيد □
القوى المعادية للإسلام

لقد كتب على المسلمين أن يصارعوا دولاً وقوى اجتمعت عليهم فى مراحل مختلفة من تاريخهم الطويل ، ولكن الله كتب لهم أن يجتازوا المحن ، وأن يخرجوا دائماً من كل ميدان للصراع أصلب عوداً . ولقد نزل بالمسلمين خلال صراعهم ما يهد الرواسى ولكنهم كانوا يهبون من جديد ويأخذون العبرة من أخطائهم .

والشاعر العربى يقول :

من لم تفده عبراً أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى[1]

وفى هذا الكتاب صور حية لألوان الصراع التى يعيشها المسلمون فى هذه الأيام من قبل القوى المعادية للإسلام .

ويتحتم علينا قبل أن نتبين أساليب أعداء الإسلام أن نحدد القوى المعادية للإسلام ؟ وأسباب العداء ؟

والواقع أنه من خلال الأحداث المعاشة نستطيع أن نقول : إن أهم القوى المعادية للإسلام ثلاثة هى :

(١) **الصهيونية** العالمية التى تمثلها إسرائيل وكل المجامع الماسونية والنوادى اليهودية فى العالم مثل نوادى (الروتارى) و(الليونز) و(البنى بريث) (والمائدة المستديرة) وكل الجمعيات والأشخاص والدول التى تعمل على تحقيق أهداف اليهود .

(٢) **الصليبية** العالمية والتى يمثلها الغرب النصرانى بزعامة أمريكا وإنجلترا والفاتيكان ، وسائر الكنائس المنتشرة فى العالم من كاثوليكية وأرثوذكسية ، وبروتستانتية .

(٣) **الشيوعية** الملحدة التى تمثلها روسيا وسائر دول الشرق الشيوعى ، والوثنى فى الهند والصين واليابان ، وكل الأحزاب اليسارية والاشتراكية .

ولكن ما الأسباب التى دفعت هذه القوى الثلاث إلى مواجهة الإسلام ؟

---

(١) محمد عبد الغنى حسن صراع العرب خلال العصور صـ (٣) .

□ أما عن عداء اليهود والنصارى للإسلام فهو قديم قدم ظهور الإسلام والأسباب معروفة وهى :

- ظهور الإسلام على يد نبى من العرب . وقد كانوا يظنون أن النبوات حكر على بنى إسرائيل ، فنزعها الله من بينهم بعد أن فقدوا أهليتهم لها .
- إن الإسلام قد كشف خداع وزيف عقائدهم الباطلة ، وأثبت أن كتبهم محرفة ولا يعول عليها .
- كما أنه قد كشف النقاب عن وجوه الآلهة المزيفة من الأحبار والرهبان والقساوسة الذين نصبوا أنفسهم آلهة على البشر يهددونهم بالنار والسعير فى مقابل ابتذاذ أموالهم وعرقهم .
- ثم كانت القاصمة حين علموا أن الإسلام ليس دينا خاصاً بالعرب ، وإنما هو دين الإنسانية كلها ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ** ﴾[1] .

ومعنى هذا أنه لا يهودية ولا نصرانية ، وإنما على أتباعهما أن ينقادوا تحت راية « لا إله إلا الله .. محمد رسول الله » ومن هنا اعتمل الحقد فى قلوبهم على هذا الدين الجديد الذى عرى نفوس اليهود والنصارى من زيفها وخداعها وحقدها على الإسلام والمسلمين ، حتى أنهم كانوا يتمنون أن يرتد المسلمون كفارا بعد إسلامهم ، كما يقول القرآن الكريم : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ** ﴾[2] .

إلا أن اليهود كانوا أخطر على الإسلام من النصارى ومن أية قوة فى هذه الأرض ولا نقول هذا الكلام من عند أنفسنا وإنما هى تقريرات القرآن الكريم الذى يقول فيهم : ﴿ **لَتَجِدنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾[3] ذلك أن اليهود لا تقتصر عداوتهم للإسلام على المواجهة المادية الظاهرة بل على العكس فهم أضعف وأجبن وأخس خلق الله وإنما تتمثل عداوتهم فيما هو أبعد من ذلك : فى التآمر والكيد والدس فى الخفاء[4] والطعن من الخلف ، وهم العدو الماكر الذى لاتستطيع أن

---

(١) آل عمران [٨٥] .
(٢) البقرة الآية [١٠٩]
(٣) المائدة [٨٢] .
(٤) ويكفى أن نعلم أن هناك ثلاثة من الخلفاء الراشدين قد قتلوا بسبب مؤامرات اليهود وهم : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان .

تستكشف حجمه ولا حقيقته كما أن اليهود هم مخترعو كل المذاهب الهدامة فى تاريخ الإسلام . هم الذين اخترعوا الماركسية ، وهم الذين أقاموا الثورة البلشفية الشيوعية ، وهم الذين ألبوا النصارى فى الحرب الصليبية ، هم الذين أنشئوا البهائية والقاديانية ، هم الذين يملكون المال والذهب ووسائل الإعلام والتوجيه ، وهم وراء كثير من الحركات الفكرية والسياسية التى تهدم الدين من أساسه . وهكذا نلاحظ مدى صدق القرآن حين رتب العداوة فجعل اليهود هم العدو الأول : ثم يأتى بعد ذلك النصارى الذين لم يؤمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتبعوا قساوستهم الذين استمعوا ما أنزل على الرسول ففاضت أعينهم من الدمع حين عرفوا أنه الحق .

يأتى هؤلاء فى الدرجة الثانية من العداوة وقد أشار الرسول ﷺ إلى أن الروم (النصارى) هم أشد الناس على الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة ، أى أكثرهم قوة وعدداً وهكذا تكون شدة عداوة اليهود فى الكراهية والمكر والعمق وشدة النصارى فى القوة العددية والقتالية وهذا ما جاء فى صحيح مسلم : « **تَقُوم السَّاعَةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَداً** » .

وعجيب أمر هؤلاء النصارى !! .

كيف يعادون الإسلام والمسلمين ويصادقون اليهود ؟! كيف يتعاونون مع الصهاينة للقضاء على الإسلام ؟! لقد كان منطق العقل والعدل يحتم عليهم أن يتعاونوا مع الإسلام .

- فلقد ادعى اليهود أن مريم أم نبيهم أو إلههم – كما يعتقدون – زانية ، وبرأها القرآن الكريم بل ضرب بها مثلا للنساء العفيفات الطاهرات ، وأبطل كل دعاوى اليهود .
- لقد أنكر اليهود نبوة عيسى بل وصفوه بالكفر والضلال واعترف القرآن بنبوته .
- لقد قال اليهود : إن قتل النصارى من الواجبات التى يتقرب بها اليهودى إلى الله وصان الإسلام دماءهم . ولا نريد أن نسترسل فى هذه المقارنات وإنما ننصح النصارى بالعودة إلى التلمود اليهودى لكى يقارنوا ما ورد فيه بالحقائق المشرفة التى ذكرها القرآن فى حق عيسى وأمه .

لقد تعاون النصارى مع اليهود حتى أنهم أصدروا وثيقة تبرأ اليهود من دم عيسى مع أن محور عقيدتهم أن اليهود صلبوا عيسى وقتلوه . ولكن الفاتيكان فى سنة ١٩٦٥ م يصدر وثيقة تبرأ اليهود من دم عيسى ، ويخاطب (البابا يوحنا) الثالث والعشرين اليهود

بقوله : « أنا يوسف أخوكم أجل إن هناك فرقاً بين الذى لا يؤمن إلا بالعهد القديم أى (التوراة – يعنى اليهودى) وبين الذى يؤمن أيضاً بالعهد الجديد (أى الإنجيل يعنى النصرانى) ولكن هذا الفرق لا ينقض شيئاً من الأخوة القائمة على أصلنا الواحد : ألسنا جميعاً أبناء أب واحد فى السماوات ؟ فيجب أن يكون بيننا حب مشرق ، حب نشيط فعال »[1] .

يا للعجب !! يعترف بأن اليهود لا يؤمنون بكتابه ، ومع ذلك يخطب ودهم وحبهم !! (إنه الحقد على الإسلام . الحقد الذى أعماهم عن رؤية الحقيقة والذى جعلهم يتعاونون حتى مع الشيوعيين – الذين لا يعترفون بأى دين – على المسلمين ؛ بل إنهم على استعداد لأن يتحالفوا حتى مع الشيطان نفسه فى سبيل محو الإسلام من الوجود !! آه لو تجسم التعصب والحقد رجلاً يمشى على الأرض ! لكان هو الصليبى الذى ضلله المبشرون والمستشرقون فلم يعرف الإسلام على حقيقته ، بل راح يخطب ود اليهود على حساب الإسلام !!

يا قوم : أليس الإسلام هو الذى لعن اليهود وأعلن أن غضبته عليهم ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِم عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً** ﴾[2] بلى . ولكن الصليبية لا تهتم بشىء من ذلك قدر اهتمامها بالقضاء على الإسلام .

ألا ما أصدق القرآن الكريم حين يقول :

﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم**﴾[3] ، وقال أيضا : ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾[4] .

○ وأما عن أسباب عداء الشيوعية للإسلام :

فلأن الأساس الفكرى للشيوعية هو إنكار الأديان واعتبارها مجرد خرافة وتخدير لبنى البشر ، بينما أساس الإسلام هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى كقوة غيبية خالقة رازقة ، حاكمة ، مشرعة . إذاً فكل حقيقة من حقائق الإسلام تهدم باطلاً من أباطيل الشيوعية . وهذا هو سر العداء . ومع أن النصرانية دين أيضاً إلا أن الشيوعية لا تهتم

---

(١) راجع صـ (٢٦٤) وما بعدها من كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية .

(٢) النســاء [١٥٦] .

(٣) البقـرة [١٢٠] .

(٤) البقـرة [٢١٧] .

بها كدين ، ولا تعيرها أى اهتمام ، لأن أتباعها قد انحرفوا عن نصرانية عيسى عليه السلام واخترعوا لأنفسهم عقائد لا صلة لها بوحى السماء . ومن هنا فالنصارى هاربون من دينهم قبل أى شىء آخر - وكنائسهم أصبحت أماكن خربة لا تأثير لها عليهم - حتى أنهم يحاولون الآن جذب الشباب إليها عن طريق الإغراءات الجنسية حيث تعد صالات الرقص والجنس بعد إقامة الصلوات فى أمريكا .[١] .

ومن هنا لم تكترث الشيوعية[٢] بالنصرانية كدين لأنها لا تعوق انتشارها وكم حولوا بلدانا من النصرانية إلى الماركسية ، أما الإسلام فهو العقبة الكئود أمام انتشار الشيوعية فهو الدين الوحيد الذى احتفظ بنفسه كما نزل على رسوله ، منذ خمسة عشر قرناً من الزمان ، لم يحرف ولم يبدل ولم يتعرض لما تعرضت له كتب اليهود والنصارى من التحريف ، أضف إلى هذا أنه الدين الشامل الذى عالج كل مشكلة من مشكلات الحياة اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية .

ومن هنا لا تستطيع الشيوعية أن تنفذ إلى الأسلام ، لأن كل ما تقدمه من حسنات موجود فى الإسلام وهو يمتاز عنها بأنه نفى خبثها ومساوئها .

هذا هو السر فى أن الشيوعية العالمية تركز الآن وبكل ما تستطيع من أجل زحزحة المسلمين عن الإسلام حتى ولو كان ذلك بالقوة القاهرة كما يصنعون مع المسلمين الذين يعيشون تحت ظل الاحتلال الروسى فى سيبيريا والقِرْم والقوقاز والتركستان وكما تصنع الحكومات العميلة للشيوعية .

هذه هى القوى المعادية للإسلام ، والتى اختلفت فى كل شىء - فى العقائد وفى الفكر ، وفى السلوك - ولكنها اتفقت على شىء واحد هو :

- إبعاد المسلمين عن الإسلام من حيث الحقيقة إبقائهم عليه من حيث الاسم .
- خنق كل الظروف والملابسات التى تؤدى إلى نهضة المسلمين سواء كانت فى صورة دعوة أو حركة ، أو دولة . إنه الثالوث الجهنمى الرهيب الذى تآمر على أمتنا ، واصطلح أهله على حساب وجودنا ، وتم وفاقهم على أن يكونوا هم

---

(١) راجع صـ (٨٦) وما بعدها من كتاب الإسلام ومشكلات الحضارة للشيخ سيد قطب .

(٢) من فضل الله تعالى أن انهارت الشيوعية بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب وإن كان عداء روسيا للإسلام مايزال مستعراً بدليل ما يحدث الآن فى البوسنة والهرسك وتعاونها مع الغرب ضد المسلمين .

الجزارون ونحن الضحايا ومن خلال هذه القوى يواجه المسلم بكثير من الفلسفات والنظريات التى تحاول اقتلاع الإسلام من جذوره .

ومن هذه الفلسفات :

- نظرية التطور الدارونية التى تحاول هدم الأديان من أساسها .
- نظرية فرويد الجنسية التى تحول الإنسان إلى حيوان ليس له من هَمٍّ إلا إشباع شهوته .
- الفلسفة البرجماتية النفعية الأمريكية التى تقوم على أساس المصلحة والمنفعة دون اعتبار للقيم والأخلاق .
- الفلسفة الماركسية الملحدة التى تقوم على أساس إنكار كل ما ليس بمحسوس وإثارة الفتن الطبقية .
- الوضعية المنطقية وهى فلسفة مادية تنكر وجود الله وسائر الميتافيزيقا .
- الوجودية الملحدة التى تبالغ فى حرية الإنسان إلى حد إهدار حرية الآخرين وكرامتهم .

ولا نريد أن ندخل بالقارىء فى خضم هذه الفلسفات[1] وبيان ما تنطوى عليه من انحرافات وفضائح ، وإنما نريد أن نستخلص الوسائل والأساليب التى يواجه بها الإسلام من خلال القوى المعادية .

ونبدأ إن شاء الله بأول الأساليب وهو أسلوب المواجهة المادية عن طريق الحروب والغزو العسكرى .

---

(١) لقد عالجنا الوجودية فى كتابنا « الوجودية فى ميزان الإسلام » وعالجنا المنهج الوضعى فى كتابنا « المنطق واتجاهاته ، كما عالجنا نظرية التطور فى كتابنا « العقيدة الإسلامية » وكذلك قمنا بمعالجة الماركسية فى كتابنا « انهيار الشيوعية أمام الإسلام » .

الفصل الأول

□ من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري □

□ الغزو العسكري □

الإسلام دين عالمى لكل ما سبق من الأديان ، ولهذا أرسل الرسول ﷺ إلى الناس كافة ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً** ﴾[1] وأمر بإظهار الإسلام على سائر الأديان ﴿ **هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾[2] واتباعاً لأوامر الله أرسل الرسول ﷺ كتبه إلى سائر الملوك والزعماء فى العالم يطالبهم فيها بالإسلام ، ويحملهم - إن أبوا - إثم شعوبهم ووزرها .

أرسل الرسول ﷺ رسله وكتبه إلى هرقل عظيم الروم وإلى كسرى عظيم فارس والنجاشى ملك الحبشة وغيرهم من الملوك والأمراء[3] .

ولكن هؤلاء الملوك أبوا أن يعبدوا الناس لله ، وحالوا بينهم وبين دعوة رسول الله ﷺ . بل إن منهم من مزق كتاب رسول الله وطرد حامل الرسالة ، وسخر من الرسول ﷺ . فأرسل إليه حفنةً من التراب - وهو كسرى ملك فارس - فبشر الرسول أصحابه بتمزيق ملكه والاستيلاء على أرضه ومنهم من قتل رسل رسول الله ﷺ[4]

ومن هنا وقف رسول الله ﷺ يطلب من هذه الطواغيت أن لاتمنع المسلمين من الدعوة إلى الإسلام . وأن يخلوا بين شعوبهم وبين الإسلام ولكنهم رفضوا وأعدوا العدة لقتال المسلمين حيث أرسل كسرى ملك فارس إلى عامله باليمن (باذان) وكلفه أن يرسل من قبله من يأتيه برسول الله ﷺ مكبلاً فى الأغلال ، وفعلاً أرسل (باذان) رسولين يهددان النبى ﷺ ويتوعدانه - فما كان من الرسول ﷺ إلا أن أخبرهم بقتل كسرى على يد ابنه[5] .

---

(١) سبإ آية [٢٧] (٢) الفتح آية [٢٨] والصف آية [٩] .

(٣) راجع كتاب الرسائل النبوية د . على السبكى .

(٤) د . عفاف صبره - المستشرقون ومشكلات الحضارة صـ (٨٢)

(٥) الرسائل النبوية صـ (١٦٣)

ومن هنا نلاحظ أن أول أسلوب استخدمه أعداء الإسلام فى القضاء عليه هو أسلوب القوة المادية والغزو العسكرى .

وقد واجهوا به الإسلام ثلاث مرات :

المرة الأولى : مع ظهور الإسلام

المرة الثانية : مع نهاية القرن العاشر الميلادى والتى عرفت باسم الحروب الصليبية .

المرة الثالثة : مع بداية القرن التاسع عشر الميلادى والتى عرفت باسم الحروب الاستعمارية الحديثة .

وسوف نعرض سريعاً لهذه المرات الثلاث :

أولاً : مع ظهور الإسلام :

رأينا منهج رسول الله ﷺ فى الدعوة وأنه لم يجبر أحداً على اعتناق دينه وإنما طلب منهم فقط أن يفسحوا المجال للدعوة الإسلامية بين الشعوب وهى حرة فى أن تقبل الإسلام أو تستمر على باطلها بشرط أن تدفع الجزية فى مقابل حماية الإسلام لهم ودفاعه عنهم .

إلا أن الملوك والرؤساء رفضوا الدعوة الجديدة ومن هنا وجه الرسول ﷺ أصحابه إلى القضاء على هذه الطواغيت وبشرهم بالنصر فقال : « **إذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَه ، وإذَا هَلَكَ قَيْصَر فَلا قَيْصَرَ بَعْدَه ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه لَتُنفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى** »[1] .

وقال ﷺ « **إنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُم بَعْدِى مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِقِبْطِهَا خَيْراً فَإن لَهُم رَحِماً وَذِمَّة** »[2] .

ومن هنا انطلق صحابة رسول الله ﷺ يردون العدوان عن أرضهم فقد كان الفرس والروم يحتلون أراضى العرب ويستنزفون خيراتها ويأخذون منهم الإتاوات وبدأت القوى المعادية للإسلام تعد العدة للقضاء عليه والتقى الجمعان فى معارك عديدة كانت النصرة فيها لكلمة الله العليا (الإسلام) وكانت الهزيمة للمعتدين والمستعمرين والمنحرفين عن منهج الله .

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) رواه البخارى .

وكانت أول هذه المعارك معركة تبوك التى أعد فيها الرسول عدته لملاقاة الروم ولكنهم انسحبوا من ميدان المعركة ، وعاد المسلمون منتصرين فرحين بقوتهم التى أذهلت العدو فجعلته يتحصن فى حصونه ولا يخرج لملاقاتهم[1] .

ثم كانت معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة ، ومعهم عدد من الجنود لا يزيد على أربعة وأربعين ألفا على أقصى تقدير التقت هذه القوة بجيوش الروم بقيادة الأمير (تيودور) شقيق (هرقل) وبقوة بلغ عددها ربع مليون جندى يسير أمامهم القسس والرهبان يحملون الصليب ويبشرون جنودهم بالقضاء على الإسلام[2] وبدأت المعركة ولم تستمر سوى يوماً واحداً ولم يطلع صبح اليوم الثامن والعشرين من جمادى الأولى ١٣ هـ حتى كان خالد بن الوليد فى خيمة (تيودور) قائدهم العام .

وانجلت المعركة عن هزيمة مروعة قتل فيها مائة ألف من الروم النصارى وخسر المسلمون ثلاثة آلاف شهيد من خيرة الرجال .

وهكذا انتهت معركة اليرموك بهزيمة الروم وانسحابهم من الشام وهرب هرقل إلى القسطنطينية وهو يقول عليك يا سورية السلام - سلاماً لا لقاء بعده - ونعم البلد هذا للعدو « يعنى أرض الشام لكثرة مراعيها »[3]

وبعد ذلك كانت معركة القادسية بقيادة سعد بن أبى وقاص وعدد قليل من جند الرحمن أمام مائة ألف أو يزيدون يتقدمهم أعظم قوادهم « رستم » وبدأت المعركة فى شوال ١٤ هـ لكى تنتهى كالعادة بهزيمة الكثرة المنحرفة ونصر القلة المؤمنة .

وتقدم البطل المسلم « هلال بن علقمة » إلى خيمة قائد الفرس فقتله واعتلى سريره وصاح « قتلت رستم ورب الكعبة » وكان انتصار المسلمين فى هذه المعركة إيذاناً بالقضاء على بلاد فارس ودخولها فى الإسلام .

ثم كانت بعد ذلك معارك أجنادين ومعارك فتح مصر وفتح الاسكندرية ، التى كتب الله النصر فيها للمسلمين ، ولسنا بصدد كتابة تاريخ المعارك الإسلامية ، إنما نريد فقط أن نشير إلى أول أسلوب استخدمه أعداء الإسلام وهو أسلوب القوة والغزو العسكرى .

---

(١) د . محمود زيادة تاريخ العالم الإسلامى صـ (٣١٢) .

(٢) د . عبد الفتاح شحاته - تاريخ الأمة العربية صـ (١٢١) .

(٣) السابق صـ (١٢٧) .

ثانيا : الحروب الصليبية :

لقد كان للامتداد الإسلامى فى قلب العالم النصرانى أثر كبير فى نفوس النصارى فقد تحررت معظم البلدان العربية التى كانوا يتخذون منها بقرة حلوب ، وفتح المسلمون بيت المقدس وأنطاكية والرها ، بل وأصبحوا على مشارف القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطينية .

من أجل هذا أعد النصارى عدتهم مرة ثانية وجاءوا إلى العالم الإسلامى يحاولون إطفاء نار غلهم وحقدهم على هذا الدين الجديد الذى يسير فى الناس مسرى الأمواج الهائجة فى مجاريها المعبدة .

وقد عرفت محاولتهم هذه باسم الحروب الصليبية لأنهم رفعوا فيها لواء الصليب للاقتصاص من المصحف وقد جرت عادة المؤرخين أو الكتاب الذين تحثوا عن الحروب الصليبية أن يبدؤها بذكر الحملات التى قامت بها كنيسة روما الكاثوليكية والتى بدأها البابا (أريان) سنة ١٠٩٥ م .

ولكن عند التحقيق التاريخى نلاحظ أن الحروب الصليبية قد بدأت قبل هذا التاريخ بمائة عام أو أكثر فقد قامت الكنيسة البيزنطية الشرقية (الأورثوذكية)[١] بمحاولات سابقة للهجوم على العالم الإسلامى بدأها الإمبراطور قسطنطين السابع ، وقام بقيادتها « يوحنا تزيمكسس » الذى قاد حملة سنة ٩٧٢ م واستولى بها على مدينة نصيبين وحقق بعض الانتصارات لظروف مر بها العالم الإسلامى[٢] إلا أن المسلمين وحدوا قواتهم ونادوا فى الناس بالجهاد فهزموا البيزنطيين[٣] فى كثير من المعارك واستمرت

---

(١) حدث خلاف بين الكنيسة الشرقية والغربية حول موضوع الحروب ، فقد كانت الكنيسة الغربية (الكاثوليكية) متمسكة بنصوص الإنجيل فى التسامح ، واعتبار الحروب مذابح عامة تزهق فيها الأرواح البشرية ، الأمر الذى حرمه الرب ، ولم يرض عنه الآباء الأول للكنيسة الغربية ، أما الكنيسة الشرقية فقد سمحت لنفسها بالقتال والحروب ولم تلتفت إلى نصوص إنجيلها ، وبعد فترة انجرفت الكنيسة الغربية فى هذا التيار وقامت بالحروب الصليبية على العالم الإسلامى – راجع صـ(٣) وما بعدها من كتاب مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى د/ عمر كمال توفيق .

(٢) فى هذه الظروف كانت الدولة العباسية تعانى من الانحلال والتفكك حيث تغلبت عليها العناصر الفارسية والتركية وتنازع عليها البوهيون ، والإخشيدون ، والقرامطة ، والفاطميون الذين أسسوا لهم خلافة فى مصر وبذلك انقسم العالم الإسلامى على نفسه ، ومزقته الخلافات المذهبية وحققت فيه نبوءة رسول الله ﷺ ، فقد روى مسلم عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « إذا فتحت عليكم خزائن الفرس والروم أى قوم أنتم ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : نكون كما أمرنا الله تعالى فقال ﷺ : « بل تتنافسون وتتحاسدون ثم تتدابرون وتتباغضون » وهكذا نلاحظ أن أعداء الإسلام لم يكتب لهم النصر على المسلمين فى كل مراحل التاريخ إلا فى فترات تفكك المسلمين وتنازعهم وبعدهم عن أصول دينهم .

(٣) د . عمر كمال توفيق صـ (١٣٩) .

الحرب بينهم سجالا إلى أن جاءت الحملات الصليبية من الغرب الكاثوليكى ، وكانت حملات حاقدة على الإسلام والمسلمين لا هدف لها إلا شيء واحد هو القضاء على الإسلام ولا أدل على ذلك من أن القسس والأحبار والرهبان هم الذين أشعلوها وهم الذين تقدموا الصفوف .

أما عن الحملة الصليبية الأولى فقد حرض عليها البابا (أريان الثانى)[١] سنة ١٠٩٥ م بخطبة ألهب فيها مشاعر الحقد والكراهية عند النصارى تجاه الإسلام وتحركت الحملة الأولى يتقدمها رجال الدين النصرانى وعلى رأسهم (بطرس الناسك) و « جوتييه المعدم » و« جود باسكال » وما أن وصلوا إلى ميدان القتال حتى أبادهم المسلمون عن آخرهم حيث مات منهم ثلاثمائة ألف قتيل[٢] .

ثم جاءت الحملة الثانية بجيوش جرارة . فاستولت على بيت المقدس وقتلت سبعين ألفاً من المواطنين الآمنين ، وقد استغلت هذه الحملة فرصة تفكك العالم الإسلامى حيث انقسمت الخلافة العباسية على نفسها إلى إمارات متناحرة[٣] .

وهنا قيض الله للإسلام من يدافع عنه – من غير العرب – حيث قام المجاهد المسلم « عماد الدين أتابك زنكى » ٥٤١ هـ وحاول أن يوحد كلمة المسلمين ، وجيش الجيوش وهزم النصارى فى معارك كثيرة وفتح حلب سنة ١١٢٨ م ، والرها ١١٤٤م .

ثم قام من بعده ولده الملك العادل : نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ وجهز جيوشه لاسترداد بيت المقدس إلا أنه مات قبل أن يكمل مهمته فخلفه فى ذلك البطل « الناصر صلاح الدين الأيوبى » وهو الرجل الذى وحد العالم الإسلامى ونادى فيه بالجهاد المقدس (وا إسلاماه) حتى وقف المسلمون صفاً واحداً فهزموا النصارى فى موقعة (حطين) ٥٨٣ هـ وحرروا مدينة القدس وأصدروا عفواً عاماً عن أعدائهم ثم حاول الصليبيون أن يعيدوا الكرة مرات ومرات فهب ثلاثة من أكبر ملوك أوربا لتنظيم حملة جديدة وهم : « فيردريك برباروسا » إمبراطور ألمانيا و (فيليب أغسطس) ملك فرنسا و « ريتشارد قلب الأسد » ملك إنجلترا[٤] .

---

(١) فشر صـ (١٧٦) .

(٢) محمد السليمان الجبهان – ما يجب أن يعرفه المسلم صـ (٣٥) .

(٣) الشيخ محمد الغزالى – هموم داعية صـ (٣٥) .

(٤) فشر (١٩١) .

إلا أن هذه الحملة قد فشلت أيضاً أمام قوة المسلمين وعزمهم الذى لا يلين . ولا ييأس أعداء الإسلام وإنما يجمعون قوتهم ويعودون مرة أخيرة إلى العالم الإسلامى وهى الحملة التى قام بها « لويس التاسع » ملك فرنسا ، على مصر من ناحية دمياط .

وما أن وصل لويس التاسع إلى مدينة دمياط حتى أرسل رسالته الشهيرة إلى الملك الصالح « نجم الدين أيوب » والتى جاء فيها « إنا نقتل العباد وندوس البلاد ونطهر الأرض من الفساد فإن قابلتنا بالقتال أوجبت على نفسك النكال ، ورميت رعيتك فى أسر الوبال ، ويكثر فيهم العويل ، ولا نرحم عزيزاً ولا ذليلاً » .

فرد عليه الملك الصالح برسالة جاء فيها « تهددنا بجيوشك وأبطالك ، وخيلك ورجالك ، ألا تعلم أننا نحن أرباب الحتوف وفضلات السيوف ما نزلنا على حصن إلا هدمناه ، ولا طغى علينا طاغٍ إلا دمرناه .. وإذا أتاك كتابى هذا فلتكن منه بالمرصاد على أول سورة النحل وآخر سورة (ص) ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين** ﴾[1] .

وجمع الصالح أيوب قواته واستعد لملاقاة النصارى إلا أن الملك وافته منيته فتقوم امرأته « شجرة الدر » بإخفاء خبر موته وترتب للمعركة فتولى ابنه « توران شاه » الذى يقود الجيوش ويهزم لويس التاسع ويأسره فى دار ابن لقمان بالمنصورة ولا يتركه المسلمون إلا بعد أن دفع النصارى عنه فدية مالية كبيرة[2] .

وكان فشل حملة لويس التاسع إيذاناً بتقلص حملات النصارى على العالم الإسلامى وقد قاموا بعد ذلك بحملات هزيلة على المغرب العربى إلا أنها لم تأت بشىء اللهم إلا مزيد من المذلة والمهانة حيث قتل لويس التاسع فى إحدى هذه الحملات . وقامت دولة المماليك البحرية بعد ذلك بالقضاء على آخر معاقل الصليبيين فى العالم الإسلامى حيث استولى السلطان « الأشرف خليل » على عكا ١٢٩١ م – ٦٩٠ هـ .

وهكذا ظل العالم الإسلامى مائتا عام يئن تحت وطأة كابوس ثقيل من الحقد والكراهية ، ويهاجمه النصارى فى عقر داره لا لشىء إلا لأنه رضى بالله ربا وبالإسلام

---

(١) د . جوزيف نسيم – هزيمة لويس صـ (١٤ ، ١٦) .
(٢) محمد عبد الغنى حسن – صراع العرب خلال العصور صـ (٤٩) .

ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً **﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾**(١) .

بعد أن فشل النصارى راحوا يؤلبون « التتار » على العالم الإسلامى وفعلاً استجاب لهم التتار واجتاح (هولاكو) بغداد سنة ٦٥٦ هـ وقتل فيها ما يقرب من اثنين مليوناً من المسلمين ، وفى سوريا يقتل مليون مسلم ، ثم يتجه إلى مصر وهنا يقف المسلمون صفاً واحداً وراء قائدهم العظيم « قطز » ويلحقون الهزيمة بالتتار فى معركة « عين جالوت » بزعامة ركن الدين بيبرس ولم تكن الهجمة التترية إلا حملة نصرانية جديدة أعان عليها « لويس المهزوم » بدليل أن التتار كانوا يتحاشون مواقع الصليبيين فى العالم الإسلامى مثل (أنطاكية - يافا - عكا) كما أن أم هولاكو كانت نصرانية وكذلك زوجته(٢) .

وعلى أى حال فقد رد الله النصارى والتتار على أعقابهم خاسرين ، لأن المسلمين كانوا يعرفون معنى الجهاد فى سبيل الله .

وبعد ذلك قامت الخلافة العثمانية بالقضاء على سلطان النصارى حتى فى عواصمهم مما جعلهم يعدلون من أسلوب القوة فترة - قوة الخلافة الإسلامية - وما أن هزم الأتراك فى موقعة (سان جوتارد) فى حصار فيينا سنة ١٦٦٨ حتى بدأ النصارى يفكرون فى أسلوب استخدام القوة العسكرية للمرة الثالثة ، ولكن فى هذه المرة خدمتهم الظروف .

- فقد بعد المسلمون عن دينهم وانشغلوا بدنياهم بعد أن فتح الله عليهم ممالك الأرض .
- وأهملـــوا الأخذ بالأسباب العلمية التى تمكنهم من التقدم .
- كما أن العثمانيين الأتراك لم ينصهروا تماما فى المسلمين مما جعلهم يتفاخرون بجنسهم ويتمسكون بلغتهم(٣) فضعف العالم الإسلامى وتفككت وحدته وكان هذا هو سر نجاح الصليبيين فى هذه المرة حيث بدءوا يقطعون أوصال العالم الإسلامى .

---

(١) البروج [٨] .

(٢) صراع العرب صـ (٧٠) .

(٣) راجع صـ (٩٥) من حصاد الغرور - الشيخ محمد الغزالى .

ففى سنة ١٨٧٥ م استولت إنجلترا على الهند وأزالت دولة المغول الإسلامية التى أسسها (تيمور لنك) وفى سنة ١٨٨٢ م احتلوا مصر وفى سنة ١٩١٤ م احتلوا العراق وفى سنة ١٩١٧ م احتلوا فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

ثم قامت فرنسا باحتلال سوريا ولبنان والجزائر وتونس ، كما قامت القيصرية الروسية بالاستيلاء على كثير من البلاد الإسلامية منها : القرم والقوقاز وأذربيجان والتركستان - وسيبيريا - وبخارى - وما زالت هذه الممالك حتى الآن ترزح تحت نير الاستعمار الروسى على الرغم من أنها جمهوريات إسلامية[1] .

وهكذا يقع العالم الإسلامى فريسة للغزو النصرانى الحاقد وعلى الرغم من أن المؤرخين حاولوا أن يصوروا هذه الحروب على أنها حروب استعمارية بحتة تهدف إلى السيطرة الاقتصادية إلا أننا نقول إنها كانت حروباً دينية[2] المحرك الأول لها هو الثأر من الإسلام والمسلمين ، فقد كان لهزيمتهم المرة فى الحروب الصليبية أبعد الأثر فى نفوسهم حتى أن اللورد اللنبى قائد الجيوش النصرانية فى الحرب العالمية الأولى حين دخل إلى فلسطين سنة ١٩١٧ م قال عبارته التى تؤكد الحقد على الإسلام وهى « اليوم انتهت الحروب الصليبية » نعم بعد ستة قرون مازال النصارى يتذكرون هزيمة المسلمين لهم ، بل إن لويد جورج وزير الخارجية البريطانى أطلق على الحرب العالمية الأولى اسم « الحرب الصليبية الثانية » ، كما أن الجنرال غورو بعد أن تغلب على جنود ميسلون عن دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين - الذى أذلهم فى الحروب الصليبية وركله بقدمه قائلاً « ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين »[3] .

وعلى المسلمين أن يعلموا أن الغرب النصرانى كله إنما يقيم علاقاته معنا - الآن - على أساس أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بيننا وبينه وهذا ما أكده يوجين روستو مستشار الرئيس الأمريكى السابق (جونسون) حين قال : « يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب بل

---

(١) د . على جريشة - أساليب الغزو الفكرى صـ (١٢٧) وما بعدها . من فضل الله أن تصدر الطبعة الثانية للكتاب فى الوقت الذى انهارت فيه الشيوعية وتحررت هذه الدول الإسلامية من نير الاستعمار الروسى .

(٢) راجع كتاب « الغرب والشرق فى الحروب الصليبية إلى حرب السويس » للأستاذ محمد على الغنين ويقول الكاتب الفرنسى جان جاك روسو فى كتابه العقد الاجتماعى : « إن الذين خاضوا الحروب الصليبية ليسوا مسيحيين وإنما هم جنود القساوسة ومواطنوا الكنائس فقد قاتلوا من أجل الوطن الروحى « الكنيسة » صـ (٢٢) .

(٣) جلال العالم - قادة الغرب يقولون صـ (٢٨) .

هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية .. لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة ، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى ، إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى ، فلسفته ، ونظامه ، وعقيدته ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام »[١]

وقد آثرنا أن ننقل هذه النصوص لكى نؤكد على خطأ هؤلاء الذين خدعونا فصوروا حروب النصارى على أنها مجرد حروب استعمارية ، وقد كان هذا الخداع حتى لاتتحرك العاطفة الدينية عند المسلمين فيهبوا للدفاع عن دينهم لأنه من مصلحة النصارى ألا يفهم المسلمون هذه الحقيقة وليدافع المسلمون عن وطنهم كما يشاءون ، فإن الدفاع بدافع الوطنية لا يهم النصارى ، وأخشى ما يخشونه أن تتحرك عند المسلمين عاطفة الدين ، وعلى أى حال فلم يستسلم العالم الإسلامى للغزو النصرانى الحديث بل واجه المعركة بقوة ، وعلى الرغم من أن المعركة لم تكن متكافئة - حيث إن الغرب النصرانى كان يحارب بالأسلحة الحديثة بينما المسلمون لا يملكون غير الأجساد المتراصة يقدمونها فداء لدينهم وعقيدتهم - إلا أنهم استطاعوا إجلاء النصارى عن العالم الإسلامى ، ولم يبق مستعمراً من بلاد المسلمين إلا البلدان التى احتلتها روسيا[٢] .

وفشل أسلوب القوة فى القضاء على المسلمين للمرة الثالثة ، وهنا وقف أعداء الإسلام يتساءلون عقب كل معركة انهزموا فيها عن سر قوة المسلمين .

★ ★ ★

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٦ .

(٢) الحمد لله أن هذه البلدان قد تحررت اليوم .

◻ البحث عن سر قوة المسلمين ◻

ما سر قوة المسلمين ؟

سألوا أنفسهم هذا السؤال عقب كل معركة انهزموا فيها أمام المسلمين . كيف ينتصر المسلمون وهم قلة في العدد والعدة على من هم أكثر منهم عددا وعتادا ؟

وكان أول من طرح هذا السؤال هو هرقل قيصر الروم (النصارى) الذى أذهلته الهزائم المتوالية لجيوشه على يد المسلمين ، فجمع قواده وراح يؤنبهم ويسألهم : من هؤلاء الذين تقاتلون ؟ أليسوا بشراً مثلكم ؟ فوقف قائد الجيوس الرومانية وقال له أنا أخبرك يا سيدى : إنهم بشر ولكنهم ليسوا كالبشر ، إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار ، إنهم يصلون ويصومون ولا يشربون الخمر ولا يزنون ، ولو سرق ابن ملكهم لقطعوا يده . وما منهم من أحد إلا ويتمنى أن يموت قبل أخيه .

فقال هرقل والله إن كانوا كما تقول ليملكن موضع قدمى هاتين ، وكان المسلمون كما قال قائد القوات فملكوا موضع قدمى هرقل ، وخرج من بلاد العرب وهو يردد هذه العبارة الشهيرة « سلام عليك يا سوريا سلاماً لا لقاء بعده »

إذاً فسر قوة المسلمين هو إيمانهم بعقيدتهم وتطبيقهم لشريعتهم صلاةً وصياماً وعبادة وابتهالاً وعدالة واتقاءً لما حرم الله من شرب الخمر والزنا وغير ذلك . وكل هذا ما يمكن أن نلخصه فى تمسك المسلمين بعقيدتهم ، وهذا ما يشير إليه قول رسول الله ﷺ « **إنَّ رَبِى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإنَّه لاَ يُرَدُّ ، وإنِّى أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ ألا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّة وَألاَّ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً سُوى أَنْفُسِهِم يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا** » أى أن قوة البشر لو اجتمعت كلها ضد المسلمين ما نالت منهم شيئاً ما داموا قد تغلبوا على هوى نفوسهم والتزموا أوامر الله وانتهوا عن نواهيه .

فالمسلمون لا يخشى عليهم من الأعداء الخارجين ما داموا هم قد تغلبوا على هوى نفوسهم وطبقوا شريعتهم تطبيقاً عملياً .

وحينما نقارن هذا الحديث الشريف بواقع المسلمين اليوم نلاحظ أنه منطبق عليهم تماماً ، فلم يكن تخلف المسلمين وتأخرهم بسبب من القوى المعادية وحدها . بل كانت هناك أسباب أخرى نبعت من داخل المجتمعات الإسلامية نفسها وأهمها التحلل والتفسخ الذى أصاب المجتمعات الإسلامية .

قد يعزو البعض تخلف العالم الإسلامى إلى أساليب أعداء الإسلام من التبشير والاستشراق وغيرها ، ولكننا نقول : إن هذه الأساليب لم تستمد قوتها إلا من ضعف المسلمين ، ولم تستمد وجودها إلا من اختفاء الإسلام من حياة المسلمين ، ويوم يتمسك المسلمون بإسلامهم فلن يكون لهذه الأساليب قيمة ، فقد كتب الله على المسلمين ألا يسلط عليهم عدوا يستبيح بيضتهم – سوى أنفسهم .

✵ وتساءل الفرس نفس السؤال : عقب هزائمهم ؟ وأرسلوا إلى بلاد المسلمين من يبحث عن هذا السر – حيث وصل إلى المدينة ابن الدهقان الأكبر ، وأحد العاملين بمعبد النار المقدسة ، وبهرام رئيس الجيوش الفارسية ، دخلوا إلى المدينة فلم يجدوا أحداً من المسلمين يتحدثون معه ، وتساءلوا أين ذهب المسلمون ؟ وإذا بالجواب يأتيهم : إن المسلمين فى المسجد يصلون فى جماعة وقد تركوا ديارهم وتجارتهم ، وكل شىء ، ثم عاشوا بين المسلمين فترة وشاهدوا أميرهم عمر ابن الخطاب – كواحد منهم – نائماً بجوار المسجد بلا حرس ولا حاشية ، وشاهدوه يعدل بين الناس ويقيم الحد على ابنه !!

لقد أذهلهم هذا الدين الذى صنع هؤلاء الرجال وعرفوا سر انتصار المسلمين بدينهم والتزامهم بتعاليمه ، فلم يملك هؤلاء الثلاثة إلا أن أعلنوا إسلامهم .

هكذا وصل أعداء الإسلام قديماً إلى أن سر قوة المسلمين هو دينهم .

يقول المؤرخ النصرانى « فشر » إن الدين قد أمد حركة العرب بقوة ذاتية أكسبتها الحياة والدوام . ولولا هذه القوة التى نشأت عن الرابطة الدينية الجامعة ، لافتقر العرب إلى التكتل الذى لا تحدث الانتصارات بدونه ، ولولا ما سرى بين العرب من روحية متسامية عن مجرد الشهوة للحرب والغنيمة ، لما استطاعوا أن يظفروا برضى الشاميين والمصريين والفرس والبربر عن حكمهم ، ثم إنه لا شك أن قسطاً غير قليل من نجاح العرب فى فتوحهم وحروبهم إنما يرجع إلى ظهور دين جديد فى قلب بلادهم »[1] .

وبهذا حدد النصارى سر قوة المسلمين فى معاركهم قديماً .

✵ وبعد الحروب الصليبية كرر النصارى نفس سؤال هرقل ، وكان الجواب هو نفس

---

(١) تاريخ أوربا – العصور الوسطى صـ (٦٣) .

الجواب ، فالإسلام هو المصدر الوحيد لهذه القوة ، فهو الذى جعل المسلمين يدخلون المعارك مسترخصين الدنيا وما فيها واثقين من إحدى الحسنيين إما النصر على الأعداء وإما الاستشهاد فى سبيل الله ، كما لاحظ النصارى – أثناء الحروب الصليبية – أن الإسلام هو الذى وحد بين المسلمين وأعطاهم القوة الحقيقية ، فلقد هب للدفاع عن الإسلام مسلمون ليسوا من العرب ومنهم صلاح الدين الأيوبى ، ووقف فى وجه المغول رجل ليس من العرب أيضاً وهو « سيف الدين قطز » إذا كانت هناك قوة خفية هى التى صهرت هذه الأجناس فى بوتقة واحدة هى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وقد لمس الجنود الصليبيون بأنفسهم صفاء العقيدة الإسلامية وعدالة أهلها ، وحسن أخلاقهم حتى أن بعضاً منهم بهرته أخلاق المسلمين فأسلموا وتركوا معسكراتهم وانضموا إلى معسكرات المسلمين[1] .

✵ وبعد خروج النصارى من العالم الإسلامى فى العصر الحديث سألوا نفس السؤال للمرة الرابعة وكان الجواب هو نفس الجواب : فلقد كان الإسلام وراء كل العنت والإرهاق الذى واجه النصارى أثناء استعمارهم للعالم الإسلامى .

يقول باول شمتز : « إن القيود التى كبلت الشرق عشرات السنين تمزقت نتيجة تفاعل قوى كامنة فى طبيعة هذه الشعوب ، لا يعرفها إلا من درس عقائدها ، وأخلاقها ، وتاريخها ، وغاص فى مجتمعاتها ، بحثا عن منطلق هذا الإباء للهزيمة وهذا الرفض للسيطرة مهما كانت قوة المستعمر وجبروته » .

« لقد خرج من أودية الأنقاض التى خلفتها الحرب العالمية فى منطقة العالم الإسلامى ، شبح تمطط كما تقول الأسطورة : مات الطائر وحرق ثم خرج من التراب الذى خلفته النار طائر أسرع من الذى مات فى كل مكان باذراً بذور الثورة ضد الأطماع الاستعمارية داعياً إلى الاحتماء بالعقيدة ، وتجميع المسلمين حول أيدلوجية إسلامية جديدة لمواجهة الخطر القادم من الغرب »[2] .

نعم فالإسلام وحده هو الذى بث فى المسلمين روح النهضة وروح المقاومة للمستعمر النصرانى .

---

(١) راجع صـ (١٢) من كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية صـ (١٤٩ - ١٥٠)

✵ ففى مصر نبعت مقاومة المستعمرين من بين العلماء المسلمين أمثال : عمر مكرم وعلماء الأزهر الذين كانوا يبثون فى المسلمين روح الجهاد والمقاومة بل كانوا يتقدمون الصفوف ويتلقون فى صدورهم طلقات الرصاص دفاعاً عن دينهم وعقيدتهم .

✵ وفى الهند وباكستان كانت المقاومة للمستعمرين يقودها أصحاب الاتجاهات الإسلامية ، مثل محمد إقبال وأبو الأعلى المودودى وأبو الحسن الندوى وغيرهم .

✵ وفى ليبيا كانت المقاومة للاستعمار الإيطالى تنبع من الإسلام حيث قاد المعركة هناك عالم ومحفظ للقرآن الكريم هو : عمر المختار ، ومعه أحمد السنوسى مؤسس الحركة السنوسية الإسلامية والتى قاومت العدوان الإيطالى والتحمت معه فى معارك كثيرة؛ بل انتصروا وهم قله فى العدد والعدة .

✵ وفى تونس كان الإسلام هو مصدر المقاومة للمستعمرين كما يقول شمتز : « إن العلماء المسلمين قد أضرموها ناراً حامية ، تخرج من المسجد قاذفات اللهب ، يقذف بها الشعور الدينى فى وجه المستعمر الأوربى ، وكم لاقت السلطة الفرنسية فى الأعوام الأخيرة من ضربات خرجت من المسجد مدفوعة بما يعبئه هذا الدين فى نفوس أتباعه من حقد على الاستعمار الأوربى »[1]

✵ وفى المغرب كان محمد الخامس يعبر عن روح الإسلام وقوته فى مقاومته للفرنسيين حتى قال جى موليه رئيس وزراء فرنسا السابق : « إن الحركة الإسلامية التى تتسع فى أفريقيا هى التى تهدد الإمبراطورية الفرنسية فى الغرب »[2] .

✵ وفى الجزائر كان المجاهد المسلم عبد القادر الجزائرى يتقدم الصفوف ، ويذيق الفرنسيين أشد ألوان العذاب ، وقدمت حرب التحرير الجزائرية مليوناً من الشهداء المسلمين . يقول الكاتب الفرنسى « كوليت » إن الإسلام عنصر فعال فى دفع الجزائريين إلى طلب التحرر ، لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر .

---

(١) المصدر السابق صـ (٣١٣) .

(٢) أحمد عبد الوهاب حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر صـ (١٧٤) .

وهكذا انتصر شعب الجزائر لأنه جاهد باسم الإسلام ومن قبل انتصرت شعوب كثيرة لأن الإسلام كان القوة المحركة لجهادها[1] .

✵ وفى فلسطين كان المحرك الأول للقلاقل فى وجه المستعمر ، هو الإسلام وكان رجال الدين هم قادة المعارك وهم الذين يعبئون شعور المسلمين ضد المستعمر النصرانى ، يقول باول شمتز : « اشترك علماء الدين فى الحركات الوطنية وكانوا قوادها فقد تزعم شيخ له مكانة فكرية وروحية فى المجتمع الحوادث التى وقعت فى سنة ١٩٣٦ م واستمد الفدائيون من هذه الزعامة قوة دفعتهم إلى التفانى فى سبيل قضيتهم وعدم المبالاة بما يصيبهم ، لأنهم يعتقدون : « أن الموت فى سبيلها شهادة يثاب عليها بالجنة ، ولم تهن عزيمتهم ولم تخر قواهم فى أحلك الظروف ، وأدق المواقف ، لم يفتروا لحظة عن تذكر الله والاتصال بعقيدتهم عن طريق أداء العبادات والإكثار من السنة وقراءة القرآن

لقد روى أن أحد الفدائيين الذين حكم عليه بالإعدام كان يقرأ القرآن عندما ذهب السجانون إليه ليقتادوه إلى المقصلة ووصفته الصحافة العربية ودور الإعلام فى العالم الإسلامى بأنه مجاهد فى سبيل الله وأنه مثال الشهادة التى يتطلع إليها كل مسلم فى سبيل الدفاع عن دينه »[2]

هكذا يلحظ أعداء الإسلام أن السر الوحيد فى قوة المسلمين هو الإسلام ذاته بعقيدته وشريعته وشعائره وقرآنه وسننه .

يقول الأسقف (الفردى) فى كتابه (الكنيسة والعالم) : « إن سر القوة الخارقة للعادة التى يظهرها الإسلام يرجع إلى إدراك هذا الدين وجود الله بإرادته العليا ، وسيادته المطلقة على الكون فوق إنه كامن فى وحدانيته ، فهذا الإيمان هو الذى منح المسلمين فى عصورهم الزاهية روح الانقياد وازدراء الموت الذى لم نعرفه فى أى نظام آخر .. هذا بالإضافة إلى أن العقيدة الإسلامية خالية من التعقيدات والتجريدات فهى من ثم فى متناول إدراك الشخص العادى إنها تملك فعلاً قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس »[3]

---

(١) السابق صـ (١٧٥) .

(٢) الإسلام قوة الغد صـ (١٥٨)

(٣) راجع صـ (٧١) (الله أو الدمار) للأستاذ سعد جمعه – رئيس الوزراء الأردنى السابق .

ومن هنا كان الخوف من العقيدة الإسلامية كما يقول أشعيابومان إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى ، ولهذا الخوف أسباب منها :

- إن الإسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عددياً بل هو دائماً فى ازدياد واتساع .
- ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب ، بل إن من أركانه الجهاد .
ولم يتفق قط أن شعباً دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانياً .
- وإنه ما من دولة حاولت التغلب على المسلمين واتفق أن ظفرت إلا خسرت أضعاف ما خسره المسلمون فى ذلك الكفاح[1] .

لهذا شعر الغرب النصرانى بخطورة الإسلام عليهم ، بل إنه أصبح فى نظرهم هو الخطر الوحيد والذى يفوق فى أبعاده الخطر اليهودى والشيوعى والخطر الأصفر معاً .

يقول لورنس براون : « لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف . لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى ، والخطر الأصفر (باليابان) وبالخطر البلشفى ، إلا أن هذا التخويف كله لم نجده كما تخيلناه ، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد . ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا . أما الشعوب الصفر فإن هنالك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها ، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيويته : إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى[2]

أيها المسلمون أفيقوا من غفلتكم فدينكم هو أشد القوى خطورة على العالم الغربى .

ها هم أعداء الإسلام يقدرون الإسلام حق قدره ويعرفون مدى قوته وأبعاده فعودوا إلى دينكم ، حتى تعود لكم كرامتكم ومجدكم الذى زال منذ أربعة قرون .

وهكذا بالبحث والاستقراء فى كل مراحل التاريخ الإسلامى كان الإسلام هو سر قوة المسلمين ، لم ينتصروا إلا حينما تمسكوا به ، ولم ينهزموا إلا حينما تخلوا عنه وانشغلوا بدنياهم ، وقد أدرك أعداء الإسلام هذه الحقيقة ومن هنا كان عليهم أن يضعوا خطة جديدة للقضاء على المسلمين .

---

(١) د . مصطفى الخالدى وعمر فروخ – التبشير والاستعمار صـ (١٣١) .
(٢) السابق صـ (١٨٤) .

فقد وقر فى قلوبهم أن مواجهة المسلمين بالقوة لا فائدة منها ، فقد جربوها ثلاث مرات و لم تفلح ، بل كانوا دائماً هم الخاسرون حتى فى المعارك التى انتصروا فيها كانت خسارتهم أفدح من خسارة المسلمين .

إذاً فالمواجهة المادية لا فائدة منها ، وعليهم أن يبحثوا عن أسلوب آخر لمواجهة المسلمين .

□ الخطة الجديدة لضرب المسلمين □
الغزو الفكري

ما داموا قد حددوا السبب الحقيقى للظاهرة ، فإن العلاج والمقاومة يكون من السهولة بمكان ، وقد عرفوا سر قوة المسلمين وهو : عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية .

إذاً لابد أن توجه الحرب إلى الإسلام نفسه كدين وعقيدة ومنهج حياة وعادات وتقاليد ، ولابد من زعزعة الإسلام فى قلب المسلم وتخريب العقيدة فى نفوس المسلمين أو بمعنى آخر قالوا : لابد من القضاء على الإسلام كعقيدة وشريعة ونظام ليسهل القضاء على المسلمين كقوة .

ذلك أن العقيدة فى الكيان الاجتماعى بمثابة القلب من الجسد الإنسانى ، فإذا انتزعت هذه العقيدة من أمة ما تحولت إلى جسد ميت لا حياة فيه ، وتحولت الأمة المتماسكة إلى مجموعة من الأفراد لا رابط بينهما ولا ضابط .

ولكن كيف يقضون على العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين ؟ هنا لعب النصارى مع المسلمين دور النشال خفيف اليد فهو أبرع من الهجّام الذى يقتحم البيت ويعرض نفسه للخطر .

ولقد جربوا معنا دور الهجّام فى الحروب الرومانية والحروب الصليبية ففشلوا تماما . وحينئذ قرروا أن يلعبوا معنا دور النشّال يتحدثون معنا كأصدقاء باسم العلم والثقافة فى شئون عامة ، وفى أثناء هذا النقاش يحاولون إقناعنا بنظريات زائفة تتعارض بطبيعتها مع الإسلام ، وبهذه المحاولة الخبيثة يغزون العقيدة نفسها(١) .

أى أنهم حولوا الغزو العسكرى إلى غزو فكرى ، ذلك أن الفكر لا يقاوم إلا بفكر مثله ، ولا يمكن أن يقاوم بالسلاح ، ولا تستطيع الجيوش الجرارة أن تجعل إنساناً واحداً يعدل عن فكرته بالقوة(٢) .

---

(١) محمد عطية خميس - مؤامرات على الأسرة المسلمة .

(٢) د . عبد المعطى بيومى ود . أحمد الشاعر - الإسلام والتيارات المعاصرة صـ (١٣٩)

وهنا يعد النصارى جيوشاً من نوع آخر ، لم تعد تحمل المدافع فسلاحها هو القلم والكتاب ولم تعد تلبس الزى العسكرى فلباسها هو مسوح الرهبان ، ولم تعد تسير فى خطوات منتظمة بادية للعيان ، فطريقها هو الدس فى الخفاء والدخول من الأبواب الخلفية .

لقد كان الجيش الجديد هو كتائب وفرق ولواءات من المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب من المفكرين والصحفيين والإذاعيين . وكل من يملك أداة التوجيه الفكرى فى العالم الإسلامى جند فى معركة الغزو الفكرى مع العالم الإسلامى ، هذه المعركة التى تستهدف تصفية الإسلام بتؤدة وأناة وبلا جلبة ولا ضوضاء .

وقد كانت هذه الخطة الخبيثة من توجيه الزعيم النصرانى - المأسور - والمقتول على يد المسلمين - بعد العفو عنه بفدية (لويس التاسع) ملك فرنسا .

يقول المؤرخ النصرانى « جوانفيل » الذى رافق لويس : إن خلوة لويس فى معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق فى السياسة التى كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين ، وقد انتهى تفكيره إلى :

- إن النعرة الدينية فى الغرب لم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين ، فالحروب الصليبية أنهكت قوى الغرب البشرية والمالية ، ثم إن قوى الصليبيين فى الشرق أخذت فى الاضمحلال والانهيار ومات فى قلب الصليبى ذلك الحافز الروحى الذى كان يحفزه على خوض الحروب ، ولا مطمع له فيها غير نصرة المسيحية .
- كما أشار لويس إلى موقف مندوب البابا وحرصه الدائم على فوز الكنيسه بأكبر نصيب من غنائم الحروب الصليبية .
- ثم تساءل لويس : هل فى وسع المسيحية أن تواصل وحدها الاضطلاع بمحاربة الإسلام ؟ وكان جوابه : أنه لم يعد فى وسع الكنيسة أو فرنسا وحدها مواجهة الإسلام وإن هذا العبء لابد أن تقوم به أوربا كلها لتضييق الخناق على الإسلام ، وتقضى عليه فيتم لها التخلص من هذا الحائل الذى يحول دون تملكها لآسيا وأفريقية .

وهنا يضع لويس خيوط المؤامرة الجديدة على الإسلام والتى تقوم على الأسس التالية :

أولاً : تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات

الغرض ، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذى يستخدم فى المعركة .

وكان سلاح الحملات الجديدة هو الدس بين العرب بعضهم وبعض وإثارة الخلافات فى الأوساط الإسلامية والعمل على بقاء نارها مستعرة بين المسلمين وهنالك ينهار الإسلام من تلقاء نفسه .

ثانيـــــاً :تجنيد المبشرين الغربيين فى معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ، ثم القضاء عليه معنوياً واعتبار هؤلاء المبشرين جنوداً للغرب .

ثالثـــــاً :العمل على استخدام مسيحى الشرق فى تنفيذ سياسة الغرب .

رابعـــــاً :العمل على إنشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق الإسلامى يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية ، وقد اقترح لويس لهذه القاعدة الأماكن الساحلية فى لبنان وفلسطين[١] .

وهكذا غير لويس من أسلوب المواجهة مع الإسلام ، فأخر دور السيف وقدم دور الخديعة ، وجند جيشاً من المبشرين لتحويل المسلمين عن إيمانهم كما أشار إلى ضرورة استخدام نصارى الشرق فى الكيد للمسلمين ، وضرورة دراسة أحوال المسلمين عن طريق المستشرقين[٢] .

وقد سار الأوربيون بالفعل فى طريق تنفيذ وصية لويس حيث أعدوا جيوشاً من المستشرقين والمبشرين الذين قاموا بحركة تشويه للإسلام بهدف تشكيك المسلمين فيه ، كما قاموا بإنشاء قاعدة نصرانية لهم فى لبنان ، ويهودية فى فلسطين بالإضافة إلى ما قاموا به من تمزيق وحدة العالم الإسلامى عن طريق إشاعة النعرات العصبية فى العالم الإسلامى .

يقول المستشرق (هانوتو) وهو مستشار سياسى لوزارة المستعمرات الفرنسية فى أواخر القرن التاسع عشر : « لقد تركزت أهداف الحروب الصليبية قديماً فى استرداد بيت المقدس من المسلمين البرابرة ولا يزال مما يزعج الغرب المسيحى » ، بقاء لواء الإسلام منتشراً على مهد الإنسانية ، ولذا يجب أن نعمل على نقل المسلمين إلى الحضارة

---

(١) راجع صـ (١٦٢) وما بعدها من كتاب معركة المصحف للشيخ محمد الغزالى .

(٢) الشيخ محمد الغزالى – ظلام من الغرب صـ (١٥٦) .

الأوربية بقصد رفع الخطر الكامن فى الوحدة الإسلامية وأفضل طريق لتثبيت ولاية المستعمر الأوربى على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامى ، وتصويره فى نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية والتناقضات الشعوبية والقومية والجغرافية مع شرح مبادىء الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن قيمها الأصيلة ، وتمجيد القيم الغربية والنظام السياسى والسلوك الفردى للشعوب الأوربية »[1] .

هذا هو الأسلوب الجديد فى مواجهة الإسلام وهو أسلوب الغزو الفكرى الذى يفوق بعشرات المراحل أسلوب الغزو العسكرى ذلك أنه يمتاز بما يأتى :

١ - **الخداع** :فالعدو من خلال هذا الغزو لا يقف أمامك عيانا بيانا ، بل هو متخفى يأتيك من وراء حجاب ويداهمك بدون شعور منك ، قد يأتيك فى صورة مقال جذاب ، أو كتاب بغلاف براق ، أو برنامج إذاعى أو تليفزيونى ، أو فيلم أو مسلسل ، بل إنه قد يأتيك من خلال واحد من أبناء جلدتك ووطنك ؛ بل ودينك أحياناً .

٢ -**الخطورة** : الغزو الفكرى أخطر بكثير من الغزو العسكرى لأنه عميق التأثير فى الشعوب المغزوة إذ يمتد تأثيره عشرات ؛ بل مئات السنين أحيانا . والشعب الذى يحارب بالغزو الفكرى يتصرف بمحض اقتناعه هو كما يريد الغازى بلا تعب ولا مجهود ، فهو بمثابة القنبلة التليفزيونية التى يطلقها الجندى من مكانه ويوجهها حيث شاء فتصيب الهدف وهو جالس فى مكانه .

٣ - **البساطة** : فالغزو الفكرى سهل وبسيط وأقل تكلفة من الغزو العسكرى الذى يكلف كثيراً من الدماء والطاقات[2] . إن المسلمين اليوم يعيشون معركة الغزو الفكرى بين الأفكار والقيم الإسلامية ، وبين الأفكار والقيم النصرانية واليهودية والشيوعية .

هذه المعركة التى ستقرر مصير العالم الإسلامى إما أن يكون أو لايكون ، إما أن يحافظ على عقيدته ودينه وقيمه وأخلاقه وعاداته وتقاليده ، وإما أن يضيع إلى الأبد مع الانصهار فى بوتقة الثقافة الغربية .

ومما يزيد فى ضراوة المعركة أن معظم الطبقة التى تملك زمام البلاد الإسلامية من المفكرين والسياسيين مع القيم الغربية قلباً وقالباً ، لأن مصالحها الشخصية والسياسية فى صبغ العالم الإسلامى بالصبغة الغربية وانتزاعه من الصبغة الإلهية ﴿ **صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَة** ﴾ ومن هنا فالمعركة هى معركة الشعوب الإسلامية وحدها والله معها ، وسوف نفصل فيما يأتى أساليب الغزو الفكرى ونبدأ بالتبشير .

---

(١) راجع ص (٦٦) من « الله أو الدمار » .

(٢) الإسلام والتيارات المعاصرة صـ (١٣٥) .

الفصل الثاني

□ التبشير الصليبي □

سوف نتحدث فى هذا الفصل إن شاء الله عن التبشير الصليبى من ناحية تعريفه ، وتاريخه ، ومؤتمراته ، وجمعياته ، والتنظيم المادى له ، ثم نتحدث عن أهدافه الحقيقية والمعلنة ، ووسائله وطرقه ، وأخيراً نبين نتائج حركة التبشير .

ما التبشير الصليبي ؟

التبشير هو الدعوة إلى النصرانية ومحاولة دفع الناس إلى الدخول فيها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

والنصرانية دين خاص ببنى إسرائيل ولا يجوز الخروج به من نطاقهم ، وهذا ما نص عليه عيسى عليه السلام حين قال : « ما جئت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة » كما قال لبعض أتباعه الذين أرسلهم إلى الدعوة للنصرانية : « إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[١] إلا أن أتباع عيسى من بعده قد خالفوا منهجه وحاولوا تنصير سائر الأمم سواء كانوا من بنى إسرائيل أم من غيرهم .

وفى العصر الحديث استغلوا فكرة التبشير أسوأ استغلال حيث اتخذوها سلاحاً يخرجون به المسلم من إسلامه حتى ولو لم يدخل فى النصرانية ، وبذلك يتحول مفهوم التبشير من أسلوب هداية للضالين – كما أراد عيسى – إلى أسلوب تضليل وإبعاد عن منهج الله – كما أراد أتباعه .

---

(١) إنجيل متى إصحاح (١٠) عدد (٦) .

□ تاريخ التبشير □

بعد أن فشلت آمال النصارى فى السيطرة على العالم الإسلامى عن طريق الحروب الصليبية أرادوا أن يثيروها حرباً جديدة عن طريق التبشير ، لذلك فإن تاريخ التبشير الصليبى يرجع إلى تاريخ فشل الحروب الصليبية .

وفى تاريخ التبشير عدد من الأشخاص الذين كانت لهم بصماتهم الواضحة على هذا التاريخ ومنهم :

- لويس التاسع : ملك فرنسا الذى أدرك بعد هزيمته على يد المسلمين أن طريق السيف لا فائدة منه ، فحول المعركة إلى طريق التبشير ، وأشار على البابا أنوسنت الرابع بإنشاء أول جمعية للتبشير سنة ١٢٥٣ م .
- روجر بيكون : (١٢١٤ - ١٢٩٤م) الذى دعى إلى ضرورة تعليم اللغة العربية من أجل تنصير المسلمين ، وقد تتلمذ على يد مفكرى الإسلام ونقل كثيرا من كتب التراث الإسلامى التى كان لها أبعد الأثر فى نهضة أوربا .
- ريموند لول : (١٢٣٥ - ١٣١٦ م) الذى تعلم اللغة العربية وجال فى بلاد الإسلام وناقش كثيراً من علماء المسلمين ولهذا الرجل جهود واضحه فى تاريخ التبشير منها :
  - أنه استطاع أن يقنع ملوك ميورفه بإنشاء كلية للثالوث المقدس تكون مهمتها إعداد المبشرين .
  - وبفضل جهوده قرر مجمع فيينا (١٣١١) إنشاء ستة معاهد لتعليم اللغة العربية واللغات الشرقية .
  - بل استطاع هو أن يحصل على إذن خاص من الملك يعقوب صاحب أرغونة للتبشير فى مساجد برشلونة محتمياً بالسلطة النصرانية فى أسبانيا[1] .

وقد حاول النصارى توجيه جهودهم التبشيرية إلى المغول ، فلما اعتنق المغول الإسلام من تلقاء أنفسهم زال أمل كبير من آمال النصارى فوجهوا جهودهم إلى تحطيم الدولة العثمانية على اعتبار أن المغول - بعد إسلامهم - هم الذين أسسوها ورفعوا لواء الإسلام عالياً .

---

(١) د . عمر فروخ « التبشير والاستعمار » صـ ١١٥ وقارن صـ ١٣ من الغاره على العالم الإسلامى .

✵ وفى سنة ١٨١٠ م أنشأ المجلس الأمريكى للتبشير ، وقد أرسل أول بعثاته إلى مالطه وأسس بها أول مطبعة تبشيرية (١٨١٥) ، ثم اتجهوا إلى القدس وبيروت التى أنشئوا بها مطبعة أخرى سنة ١٨٣٤ قامت بطبع الكتاب المقدس ونشره فى أنحاء العالم الإسلامى . وفى عام ١٨٦٦ أنشأت البعثة الأمريكية أخطر مراكز التبشير فى العالم الإسلامى على الإطلاق وهى « الكلية السورية الإنجيلية » والتى عرفت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية[١]

وقد استمرت حركة التبشير بعد ذلك إلى أوائل القرن العشرين حيث تفرع منها أسلوب آخر هو الاستشراق بعد أن انكشفت وفشلت فى تحقيق كثير من أهدافها .

▫ تاريخ التبشير في مصر ▫

ركز النصارى جهودهم على مصر فشعبها شعب متمسك بالإسلام وفيها الأزهر الشريف حامى حمى الإسلام ولذلك اهتم النصارى بمصر مبكراً ففى ١٢١٩ م قدم إليها القديس « فرانس » فى محاولة للتبشير بالنصرانية فيها [٢] .

كما أنشأ الإنجليز فى مصر ستة معاهد للتبشير وأنشئوا مكتبة عامة وعدداً من الصحف والمستشفيات[٣] .

وفى سنة ١٨٨٢ تأسس فى مصر معهد علمى للتبشير تابع لجمعية تبشير الكنيسة وله أربع فروع : الأول (قسم طبى) والثانى (مدرسة للأولاد) والثالث (للبنات) والرابع (لنشر الإنجيل) وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية ولهم مكتبة خاصة بهم .

وفى سنة ١٨٩٢ م أنشئت فى مصر جمعية تبشير شمال أفريقيا وفتحت لها فروعاً فى الإسكندرية وشبين الكوم وأهم أعمال هذه الفروع هى :

✵ فتح المدارس لتعليم الإنجيل ونشره بين المسلمين .

✵ توزيع المؤلفات التبشيرية على المسلمين .

✵ الدروس الأسبوعية والندوات والمحاضرات التى يقوم بها القسس .

---

(١) أنور الجندى - الفكر الاسلامى - المجلد الأول صـ (٢١٠)

(٢) د . عفاف صبرة - المستشرقون ومشكلات الحضارة صـ (٢٤) .

(٣) الغارة على العالم الإسلامى صـ (٩٠) .

وفى سنة ١٨٩٨ تأسست الجمعية العامة لتبشير مصر وأنشئت لها معاهد فى الدلتا والسويس ولها مدارسها الخاصة ومجلة شهرية وأقل إرساليات التبشير أهمية فى القطر المصرى الإرسالية الهولندية التى توطنت فى قليوب وأنشأت لهم مدارس متعددة وعدداً من الملاجىء للأيتام[١] ثم قامت حركة التبشير فى مصر بإنشاء عدد من الكنائس والمعاهد الكاثوليكية لها ومنها على سبيل المثال :

١ - المعهد الشرقى بدير الدومنيكان بشارع العباسية بالقاهرة .
٢ - معهد دار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة .
٣ - المعهد الفرنسى بالمنيرة .
٤ - مدارس الفرنسيسكان بالفجالة .
٥ - مدارس الفرير بالخرنفش .

وهذه المؤسسات كلها ملحقة بها مطابع كمطبعة النيل المسيحية بالزيتون[٢] وأضف إلى هذه المراكز كلها دار الجامعة الأمريكية التى تعد أخطر مراكز التبشير على الإطلاق فى مصر خاصة وفى العالم الإسلامى بصفة عامة .

□ موقف المبشرين من الجامع الأزهر □

الأزهر هو حصن الإسلام المنيع وحامى حماه فى كل أنحاء العالم الإسلامى ولذلك كان خوف المبشرين من الأزهر وأبنائه ومحاولتهم وضع خطة لمواجهته وقد استعرض المبشرون موضوع الأزهر فى مؤتمر القاهرة المنعقد سنة ١٩٠٦ م بزعامة زويمر على ضوء ما ورد فى كتاب المبشر (فيلمنج) :
« وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين » .

وقد تحدث المؤتمرون فى هذا المؤتمر عن أهمية الأزهر وما له من النفوذ وإقبال الألوف من الشباب المسلمين عليه من كل أقطار العالم وتساءلوا عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة إلى الآن . ثم أجاب بعضهم بأن :

١ - المسلمين رسخ فى أذهانهم أن تعليم العربية فى الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر من غيرة .

---

(١) المرجع السابق صـ (٣٣) .
(٢) إبراهيم خليل أحمد « الاستشراق والتبشير » صـ (٥٣)

٢ - المتخرجين من الأزهر معروفون بسعة الاطلاع .
٣ - كما أن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجاناً .
ولكن ما أسلوب مواجهة الأزهر :
هنا يقترح المبشرون عدداً من الوسائل منها :
أولاً : إنشاء جامعة نصرانية فى مصر تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى العالم على اختلاف مناهجها لتتمكن من مواجهة الأزهر بسهولة وتتكفل هذه الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية[١]
ثانياً : على المبشرين أن يتوجهوا بنشر الكتب التبشيرية بين طلبة الأزهر فى مصر على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام وأن الصابىء الأزهرى - أى المرتد إذا اتفق - يكون عوناً للمبشرين على زيادة التغلل فى العالم الإسلامى .[٢]

ثالثاً : على المبشرين أن يعملوا على منع جامعة الأزهر من نشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب أفريقيا ، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل أفريقيا .
رابعاً : أشار (كرومر) المندوب البريطانى فى مصر إلى ضرورة إنشاء مدرسة للقضاء الشرعى - تنافس الأزهر وتخرج أجيالاً أكثر مرونة مع الاستعمار الإنجليزى ، وقد استغل كرومر الشيخ محمد عبده فى تنفيذ هذا الامر - وقد قام سعد زغلول بالتنفيذ حين تولى وزارة المعارف سنة ١٩٠٦[٣]-

ولا شك أن المبشرين بهذه الأفكار إنما يحطمون رءوسهم بأيديهم على صخرة عاتبة فمن منهم يستطيع أن يقترب من الأزهر ومن طلابه ويتحدث أمامهم بهذا الهراء الذى يدعون أنه دين وعقيدة ؟ ولكنها آمال وأحلام مستحيلة المنال . والتحقيق .

ولقد اعترفوا هم بذلك حين قالوا « إن التبشير بين الأزهريين لا يزال تجربة فقط »[٤] .

---

(١) الغاره على العالم الإسلامى صـ (٢٤) ويقال أن أساس تكوين الجامعة الأمريكية فى مصر كان تنفيذا لتلك الوصية - قارن صـ (٣٣) من أساليب الغزو الفكرى .
(٢) عمر فروخ صـ (٢١٢) .
(٣) محمد محمد حسين - الإسلام والحضارة الغربية صـ (١٠٣) .
(٤) المرجع السابق صـ (١٦٨) .

ولكن على أى حال فالمطلوب من أبناء الأزهر الشريف أن يتسلحوا بالعلم ، وأن يفهموا عقائد خصومهم حتى يتمكنوا من تسفيهها ، وفضح زيفها ، كما عليهم أن يسبقوا النصارى إلى مجاهل أفريقيا فهناك حتى الآن قبائل وثنية ما زالت تعبد الحيوانات ومظاهر الطبيعة وعليهم أن يسبقوهم إلى الهند التى ما زالت حتى الآن تعبد الأبقار[1] .

على الأزهر أن يملأ كل هذا الفراغ وأن ينقذ العالم من ضلال المبشرين . خصوصاً وأن للأزهر مكانة ومهابة فى قلوب الناس ، وهذه المكانة للأزهر يعترف بها المبشرون حيث يقول أحدهم : « إن العمامة البيضاء فى أفريقيا أخطر علينا من القنبلة الذرية » ويقول آخر لا يتأتى لنا الاستقرار فى هذه البلاد ما دام الأزهر موجوداً[2]

وللأسف الشديد أن مخططات أعداء الإسلام لإضعاف الأزهر قد أثمرت ثمارها .

- فقد أوعزوا إلى (محمد على) أن يستولى على أوقاف الأزهر وكان له أوقاف لا تحصى عاش منها كريم النفس رافع الرأس يقول كلمة الحق مهما كان تأثيرها على الحكام لا يخشى فى الله لومة لائم . وبعد أن استولت الدولة على أوقاف الأزهر ، بدأت تتحكم فى أرزاق العلماء حتى خضع الدين لأمور السياسة والحاكمين[3]
- كما أوعزوا إلى أجهزة الإعلام بالسخرية من علماء الأزهر عن طريق الأفلام والمسرحيات التى تظهر ابن الأزهر فى صورة رثة مضحكة وذلك حتى يضعف تأثيره فى الناس ، وكانت هذه خطة اليهود التى تحدثوا عنها فى البروتوكولات ولذلك يجب على الدولة إن أرادت الخير للإسلام أن تعيد أوقاف الأزهر إليه ، حتى يستقل العلماء فى أرزاقهم فلا يكون لأحد سلطان عليهم فيقولوا كلمة الحق مهما يكن وقعها وبذلك تعود للإسلام كلمته .

كما أنه على أجهزة الإعلام أن تكف عن السخرية برجل الدين وإظهاره بصورة غير كريمة .

أما أبناء الأزهر فيجب عليهم أن يمثلوا الأزهر خير تمثيل : سلوكاً وعلماً لأن الناس ينظرون إليهم نظرة خاصة تختلف عن نظرتهم إلى أبناء الجامعات الأخرى ، والأخطاء

---

(١) راجع كتاب الألوهية وصلتها بالعالم فى الديانة الهندية - د . ضياء الدين الكردى صـ (٦) وما بعدها .

(٢) د . عبد الحليم محمود - مقدمة أبو البركات الدردير صـ (٣٧) .

(٣) المرجع السابق صـ (٨) .

البسيطة التى يقع فيها أبناء الجامعات الأخرى قد لا تستلفت نظر الناس أما أبناء الأزهر فكل خطواتهم محسوبة عليهم فى نظر الناس .

وكل من حاد من أبناء الأزهر عن الاستقامة سلوكاً وعلماً ، فإنه فى مقت الله وغضبه ، وإثمه عند الله أكبر من إثم غيره ، لأن الرسول ﷺ يقول : « **لاَ يَنْبَغِى لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَ مَع مَنْ وَجَدَ ، وَلاَ يَجْهَلَ مَعْ مَنْ جَهِلَ وَفِى جَوْفِهِ كَلاَمُ اللهِ** » .

على أبناء الأزهر أن يعلموا أن مسئوليتهم أمام الله كبيرة ، لأن عليهم تقع مسئولية الدعوة لله ، وحماية الإسلام من مؤامرات خصومه .

ولا نطلب منهم أكثر من أن يتحلوا بالعلم – فهو سلاحهم الأول وأن يتمثلوا أخلاق الإسلام قولاً وعملاً وسلوكاً – فهى الغاية القصوى من الإسلام كما يقول الرسول الكريم « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ** » ولن تتم مكارم للأخلاق إلا عن طريق القرآن الكريم فعلى أبناء الأزهر أن يعلموا أن حفظهم للقرآن الكريم هو حفظ للأخلاق ، وتعلمهم له هو تعلم للأخلاق ، والتزامهم بتعاليمه وآدابه وعقائده هو قمة الأخلاق التى هى أساس بناء الأمم السليمة كما يقول الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فيا أبناء الأزهر ويا حماة الإسلام :

إن الاسلام الآن على مفترق الطرق إما أن يكون أو لايكون ، وقد بدأت اليقظة الإسلامية فى العالم كله فعليكم أن تتحملوا المسئولية كاملة فى سبيل دفع المسيرة إلى الأمام ، لأن القوى المعادية تحاول بكل ما تستطيع من قوة الباطل أن ترد المسيرة إلى الخلف ، وأن تميت اليقظة الإسلامية .

□ الجمعيات والمؤتمرات التبشيرية □

أنشأت الدول النصرانية عدداً من الجمعيات التبشيرية المنظمة التى أوكلت إليها مهمة تنصير المسلمين .

وكانت أول هذه الجمعيات هى الجمعية التى أسسها لويس التاسع سنة ١٢٥٣م وفى سنة ١٧٩٥ م تأسست جمعيةُ لندن التبشيرية بفضل جهود المستر (كارى) وانتشرت فكرة إنشاء الجمعيات فى ألمانيا والدنمارك وهولندا والسويد والنرويج وسويسرا وغيرها من بلدان أوربا النصرانية .

وفى سنة ١٨٥٥ أُسست جميعة الشبان المسيحية وفى سنة ١٨٩٥ تأسست دورُ جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين وهى تهتم بدراسة أحوال التلاميذ بكل الأقطار وقد التحق بها مائة ألف طالب وأستاذ يمثلون أربعين قوماً ومنها انبثقت جمعية تبشير الشبان سنة ١٩٠٢ وجمعية تبشير الكهول سنة ١٩٠٧ م[1] ولكى تتوحد جهود هذه الجمعيات المتفرقة قرر النصارى عقد مؤتمرات دورية تضع الخطة الموضوعية لتنصير المسلمين وتتابع تنفيذ هذه الخطة ونتائجها ، وصاحب هذه الفكرة هو القس « جوستاف فرانك » الذى وصف بأنه أعظم مخطط تبشيرى ، والذى أشار على النصارى بعقد مؤتمر تبشيرى كل عشر سنوات وتشكيل لجنة مركزية تربط أعمال هذه المؤتمرات .

وكانت أول المؤتمرات التبشيرية مؤتمر الهند الأول سنة ١٨٥٥ ثم مؤتمر البنجالور سنة ١٨٨٩ ومن بعده مؤتمر مدراس سنة ١٩٠٠ .

وفى اليابان عقد أول مؤتمر تبشيرى سنة ١٨٧٢ ، وفى الصين عقد مؤتمر المبشرين ١٨٧٧ ، وفى أفريقيا عقدوا عدداً من المؤتمرات سنة ١٩٠٠ ، سنة ١٩٠٩م ، وفى مصر عقد مؤتمر تبشيرى سنة ١٩٠٦ وفى سنة ١٩١٠ عقد مؤتمر أدنبرج التبشيرى وفى سنة ١٩٢١ « تكون المجلس التبشيرى الدولى » والذى ضم القادة المسيحيين فى شرق آسيا .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى صـ (١٤ ، ١٥) .

وفى سنة ١٩٥٨ عقد المؤتمر المسيحى الأفريقى[١] وأخيراً سنة ١٩٦١اتحدت المجالس التبشيرية مع مجلس الكنائس العالمى[٢] من أجل حرب الإسلام والقضاء عليه .

ونحن لا نذكر هذه المؤتمرات لمجرد السرد التاريخى وإنما لكى يعى المسلمون الحركة المنظمة ضدهم ، فقد عقدت هذه المؤتمرات أساساً من أجل القضاء على الإسلام ولنستعرض معاً جدول أعمال مؤتمر واحد من هذه المؤتمرات لكى تتأكد لنا هذه الحقيقة وهو مؤتمر القاهرة المنعقد سنة ١٩٠٦ بزعامة القس زويمر وكان جدول الأعمال يتلخص فيما يأتى :

« ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالم الإسلامى ، الإسلام فى إفريقية الإسلام فى السلطة العثمانية ، الإسلام فى فارس ، الإسلام فى الملايو الإسلام فى الصين ، النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين شئون نسائية إسلامية »[٣]

انظر أيها المسلم إلى هذا التخطيط والإحكام فى القضاء على الإسلام فى كل مكان . نعم فالقلب يقطر دماً حين يستعرض هذه الخطط المنظمة من أجل القضاء على الإسلام . والمسلمون فى واقعهم مشغولون بدنياهم .

خبرونى بالله عليكم كم مؤتمر وكم جمعية عقدها المسلمون للتبشير بالإسلام أو حتى مقاومة جهود الجمعيات والمؤتمرات النصرانية ؟!!

وهل تعلم أيها المسم أن قادة الغرب النصرانى كانوا من أهم أعضاء هذه الجمعيات والمؤتمرات النصرانية ، هل تعلم أن روزفلت رئيس أركان أمريكا الأسبق كان من أعضاء مؤتمر أدنبرج وأن المستر براين خطيب أمريكا المشهور والذى رشح نفسه لرئاسة أمريكا مراراً وتكراراً كان عضواً أيضاً بهذا المؤتمر[٤] .

---

(١) أحمد عبد الوهاب « حقيقة التبشير » صـ (٢٠٦) وما بعدها .

(٢) راجع صـ (٢٧١) من دفاع عن العقيدة والشريعه الشيخ محمد الغزالى .

(٣) الغارة صـ (٢١) .

(٤) السابق صـ (٤٤) .

كذلك ضمت جمعيات التبشير زعماء الاستعمار فى العالم الإسلامى ومنهم :

– الكردينال « لافيجرى » فى تونس والمارشال « ليوتى » فى المغرب واللورد « كرومر » والقائد « غردون » فى السودان[1] .

وإذا كان قادة العالم الغربى قد وهبوا أنفسهم لخدمة دينهم وانضموا إلى جمعيات التبشير ومؤتمراته فإننى أسأل مَنْ مِنْ حكام المسلمين صنع ما صنعه حكام الغرب ؟ والجواب : لا أحد !!

ولاشك أن ضم زعماء النصارى إلى حركة التبشير إنما كان يقصد منه دفعها إلى الأمام ومدها بالأموال وهذا ما يمكن أن نفهمه حين نستعرض التنظيم المالى لحركة التنصير .

□ قرارات مؤتمرات التبشير □

انتهت هذه المؤتمرات إلى كثير من القرارات الهامة فيما يتعلق بمنهج العمل وأسلوبه ، وصفات المبشرين الذى يجب أن يرسلوا إلى هذه المهمة ومن هذه القرارات :

١ – قرار التعليم فى كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجهاً نحو النشء الصغير من المسلمين (..) فإن بزوغ روح الإسلام فى الناشىء الحديث يبتدىء باكراً من عمره ، فيجب والحالة هذه أن يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين قبل أن يتكامل نمو عقليتهم فليس هناك طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من المدرسة [2] فهى أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الحضارة الغربية ولذلك لابد من التوسع فى إنشاء المدارس المسيحية فى المدن التى يكثر فيها المسلمون[3] .

٢ – يجب أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها والمقصود بهذا القرار أن يربى النصارى جيلاً من المسلمين على فكرهم وثقافتهم وبالتالى سوف يتحول هؤلاء إلى دعاة مخلصين لأهداف المبشرين .

---

(١) الجندى « الفكر الإسلامى » صـ ١٠٨ .

(٢) السابق صـ ٢١٤ .

(٣) دفاع عن العقيدة صـ ٢٦١ للشيخ محمد الغزالى .

٣ – نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين .

٤ – على المبشر أن يتعلم اللغة العربية واللهجات العامية وأن يدرس القرآن والإنجيل عارفاً بمحل المناقشة وأن يكون خبيراً بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية .

٥ – يجب علينا أن ننشىء جسراً فوق الهاوية التى تفصل بين العناصر وللتوصل إلى ذلك يجب أن ننتفع من وجود الطلبة المسلمين فى أوربا[١] خصوصاً وأن عدد المسلمين الذين يزورون باريس سنوياً يزيد على عدد المسلمين الذين يحجون مكة[٢] .

٦ – لابد أن نرسم خطة لتنصير العالم قاطبة فى مدة ٢٥ سنة[٣] .

٧ – يجب إنشاء النوادى العامة التى تجمع بين الجنسين والاعتناء بالمباريات الرياضية وأعمال الترفيه ولهذا الغرض أنشأنا جمعية الشبان المسيحين وجمعية الشابات المسيحيات من أجل الوصول إلى الشباب المسلم .

٨ – وعلى المبشرين أن يتعرفوا على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حولهم ثم يسعوا إلى الإصلاح فى الظاهر سعياً إلى التأثير على الرأى العام[٤] .

٩ – على المبشر ألا يثير نزاعاً مع مسلم ، ولا يحرضه على الموافقة والتسليم بمبادىء النصرانية إلا عرضا وبعد أن يشعر المبشر أن المسلم أصبح مهيئاً لذلك نفسياً وعقلياً .

١٠ – إن المبشر الذي يعد نفسه لمجادلة المسلمين يجب أن تتفق فيه الصفات الخلقية والاستقامة التامة علي المزايا العقلية وأن يكون مقتنعاً بصحة البراهين التي يحتج بها ، وأن يضع الأمل بالفوز على خصمه نصب عينيه ، ويجب علي المبشر أن يتذرع بالصبر والسكينة ، وألا يخالج نفسه أقل ريب في أنه هو الذي سيفوز[٥] .

---

(١) الغارة صـ (٢٢ ، ٣٢ ، ٣٦)

(٢) الجندى صـ (٢١٥) .

(٣) الغارة صـ (٩٧) .

(٤) فروخ صـ (١٩٢) .

(٥) الغارة صـ (٣٠) .

١١ - الغاية تبرر الوسيلة : من مبادىء التبشير أن الغاية تبرر الوسيلة أى أنهم لكى يصلوا إلى غايتهم لا يجدون أى حرج فى سلوك أخس الوسائل ، ومن هنا حاولوا أن يتقربوا من الناس بأى طريق حتى ولو كان سبيلهم إلى ذلك تغيير عقيدتهم مؤقتاً لكى تتفق مع عقائد من يدعونهم[١] فالمسيحية تعتقد أن الإله واحد فى ثلاثة ولكن المبشرين عليهم أن يتسامحوا مع الوثنيين الذين يعتقدون فى تعدد الآلهة فيقولون لهم إن الإله يتشكل فى مظاهر مختلفة .

وإذا كانوا يدعون بين المسلمين الذين يعتقدون فى تنزيه الإله عن الولد والبنوة ليس عندهم مانع أن يأولوا البنوة تأويلا روحياً حتى ولو خالفوا بذلك صميم عقائدهم .

بل إنهم لا يجدون أى حرج فى اعتناق المذاهب الشيوعية إذا كانوا يبشرون بين الشيوعيين وعليهم أن يطعنوا الرأسمالية ويلعنوها - مع أنها مذهبهم - إذا كان ذلك يفتح لهم قلوب الاشتراكيين والشيوعيين وهكذا على المبشر أن يتلون بلون المدعوين من أجل الوصول إلى قلوبهم ، وقد جاء في كتاب « طرق العمل التبشيرى بين المسلمين » ما نصه «لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون فى الدرجة الأولى بأننا نحبهم فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم يجب على المبشر أن يحترم فى الظاهر جميع العادات الشرقية والإسلامية حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث النصرانية بين من يصغى إليها ، حتى لا ينفر منه أولئك الذين يؤمنون هذا الإيمان فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يريد أن يدعوهم إليه » .

ويقول واطسون : « يجب أن يظل المبشرون برآء كالحمام ولكن هذا لا يمنعهم أيضاً أن يكونوا حكماء كالحيات »[٢] .

انظر أيها المسلم إلى هذه المبادىء والتعليمات وقارن بينها وبين مبادىء الإسلام فى الدعوة ، فالإسلام يأمر الداعية بأن يكون جريئاً فى الحق لا يخشى فى الله لومة لائم ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ ذلك أن الإسلام عقيدة سماوية صحيحة ومن هنا فإن المسلم يصدع بها أمام أى إنسان أيا كان مذهبه وأيا كانت عقيدته أما هؤلاء فقد كانوا يخشون أن يصرحوا أمام المسلمين بحقيقة عقائدهم وذلك دليل على بطلانها .

---

(٢) راجع صـ (٦٠) من كتاب مشكلات العقيدة النصرانية للمؤلف .

(١) عمر فروخ صـ (٥٢) .

هل رأيت قوماً يخشون أن يصرحوا أمام الناس بحقيقة الدعوة التى يبشرون بها ؟!!
أولئك هم المبشرون .

□ التنظيم المالى لحركة التبشير □

يعتمد المبشرون فى تحقيق أهدافهم وتمويلها على ما تقوم به المؤسسات الدينية والسياسية والتجارية فى الغرب كما يقوم ملوك وأمراء وأثرياء الغرب النصرانى بالتبرعات والإنفاق على حركة التبشير[1] .

وقد وردت على صناديق إرساليات التبشير أموال كثير منها ٦٠ مليون فرنك فى السنة تدخل فى صناديق جمعيات التبشير البريطانية والإيرلندية . ٦٧ مليون فرنك لصندوق الجمعية الأمريكية و ٧٠ مليون فرنك للجمعيات الأُسترالية[2] وقد رصدت دولة الفاتيكان عدة ملايين من الجنيهات للتبشير فى العالم الإسلامى .

كما رصد الاستعمار أموالاً كثيرة فى ميزانيات الدول المستعمرة وقدمت الكنيسة الرومانية أموالاً لا حد لها من أجل التبشير »[3] .

وإذا نظرنا إلى حجم نفقات جمعيات التبشير علمنا مدى ضخامة الإيرادات . فقد جاء فى إحدى مجلات التبشير وهى (مجلة الشرق المسيحى) إن إرساليات التبشير الإنجليزية والإيرلندية تنفق فى السنة ٢ مليون ومائة ألف جنيه فى سبيل التبشير وجمعيات التبشير الأمريكية والكندية تنفق ٢ مليون جنيه .

وجمعيات التبشير الأُسترالية تنفق ثلاثمائة ألف من الجنيهات[4] هذه اتفاقات عدد بسيط من الجمعيات التبشرية فإذا عرفنا العدد الهائل لهذه الجمعيات عرفنا مدى خطورة التنظيم المالى لحركة التبشير .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحركة وتنبأ بمستقبلها المظلم فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾[5]

---

(١) إبراهيم خليل أحمد . الاستشراق والتبشير صـ (٧٧) .
(٢) الغاره صـ (٤٦) .
(٣) الفكر الإسلامى صـ (٢٠٨) .
(٤) الغارة صـ (٤٤) .
(٥) سورة الأنفال [٣٦] .

□ أقسام العمل التبشيري □

ينقسم العمل التبشيرى إلى ثلاثة أقسام :

١ - التبشير بين الجماعات : وهو ما يحدث فى المدارس والجامعات والمستشفيات والندوات العامة والإذاعة .

٢ - التبشير مع الفرد الواحد : وهذا القسم لا يختارون له إلا من يتحلى بالصبر والمداهنة حتى يأنس إليه الضحية .

٣ - العمل التبشيرى الصامت : وذلك بتوزيع الكتاب المقدس والنشرات الدينية والصور وتوزيع الكتب التى تطعن فى الإسلام وتهاجم نبيه عليه الصلاة والسلام[1]

□ أهداف التبشير □

لقد أعلن المبشرون أن مهمتهم هى محاولة نشر النصرانية والقضاء على الوثنية وسيادة تعاليم المسيح الروحية ، إلا أن الواقع كان غير ما أعلنه هؤلاء فوظيفة التبشير الحقيقية والتى لم يعلنوا عنها كانت أخطر من ذلك بكثير ، فلم تكن مهمة دينية ولا سيادة تعاليم روحية وسوف نتأكد من ذلك حين نعلم من هم المبشرون ؟ وما هى الجهات التى أرسلتهم ؟

المبشرون هم فى الحقيقة سماسرة وجواسيس من ذوى الأطماع الشخصية والمصالح الخاصة التى عجزوا عن تحقيقها فى بلادهم فخرجوا إلى العالم تحت ستار التبشير حيث تأتيهم الدولارات بلا حساب ولا صلة لهم بالدين ، بل إنهم أشد الناس افتقاراً إلى الفضائل المسيحية التى يبشرون بها ، فقد ارتكبوا باسم الدين كل المنكرات والمحرمات التى نهاهم عنها الدين[2] وهذا ما شهد به بعض الذين انخدعوا بمظهر المبشرين فوقعوا فى شراكهم .

يقول أحد كبار موظفى حكومة غانا : « بعد تفكير عميق قررت ألا تكون لى صلة بأى كنيسة فالكنائس لا تكاد تساعد فى حل مشكلات غانا الروحية ، وكل ما يلوح أنه يهمها هو جمع المساعدات المالية ، إن شبابنا يريدون شيئاً لا يحصلون عليه ،

---

(١) إبراهيم الخليل أحمد صـ (٧٢) .

(٢) الله أو الدمار صـ (٦٩) .

ولا أستطيع أن أرغمهم على الذهاب إلى الكنيسة ليستمعوا إلى مبادىء لا يؤمن بها المبشرون أنفسهم »[1] .

هذه هى حقيقة المبشرين الذين لا صلة لهم بما يبشرون به ، أما عن الجهات التى أرسلتهم فى مهمة التبشير فهى دول أوربا وأمريكا !! إنه العالم النصرانى اسماً الملحد حقيقة ، إنها الدول التى أبعدت الأديان من مجال الحياة ، ولم تعد تعرف للروح معنى ، دول معبودها الدولار والإسترلينى والحديد والذهب والبترول وهذا ما قاله واحد كان منهم وهداه الله إلى طريق الحق هو الأستاذ « ليوبلد فاس » الذى أسلم وسمى نفسه « محمد أسد » يقول فى كتابه الإسلام على مفترق الطرق : « إن الرجل العادى فى أوربا ، ديمقراطياً كان أو فاشيا ، رأسماليا كان أو اشتراكيا ، عاملاً باليد أو رجلاً فكرياً ، إنما يعرف دينا واحدا وهو عبادة الرق المادى أما كنائس هذا الدين فهى المصانع الضخمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية ودور الرقص ، وأما كهنتهم فهم رؤساء الصيارف والمهندسين ، والممثلات وكواكب السينما وأقطاب التجارة والصناعة .

ويقول : إن الحضارة الغربية لا تجحد الله فى شدة وصراحة ، ولكن ليس فى نظامها الفكرى موضع لله فى الحقيقة ولا تعرف له فائدة ولا تشعر بحاجة إليه[2] .

وهناك شهادة أخرى أدل على اضمحلال الدين المسيحى واستنكاف أهله من الانتساب إليه ، وهى للأستاذ (جود) رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن يقول فيها : « سألت عشرين طالباً وطالبة كلهم فى أوائل العقد الثانى من أعمارهم : كم منهم مسيحى بأى معنى من معانى الكلمة ، فلم يجب بـ « نعم » إلا ثلاثة فقط وقال سبعة منهم : إنهم لم يفكروا فى هذه المسألة أبداً . أما العشرة الباقية فقد صرحوا أنهم معادون للمسيحية ، وأنا أرى أن هذه النسبة بين من يؤمن بالمسيحية ويدين بها وبين من لا يؤمن فى هذه البلاد ليست شاذة ولا غريبة إن الأحوال والآثار فى هذه البلاد لتدل على أن الكنيسة النصرانية ستموت فى القرن الآتى »[3] .

نعم هذا هو حال دول أوربا وأمريكا التى لا تعرف للروح معنى ومع ذلك غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وتعاليم دينية

إن هذه الدول النصرانية التى أهملت تماماً كل تعاليم المسيح عقيدة وأخلاقاً تدعى

---

(١) الرب والله وجوجو – جاك مندلسون صـ (٣٠) ترجمة إبراهيم سعد .

(٢) راجع صـ (١٩٩) من ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟

(٣) السابق صـ (٢٠١) .

أنها تبشر بها بين الناس ، وكان من الأولى أن يعود المبشرون إلى بلادهم يردون أهلهم إلى دينهم الذى فروا منه .

إذا لم تكن وظيفة التبشير هى ما أعلنوه ، وإنما كان هذا الإعلان تغطية للأهداف الحقيقية التى تحركوا من أجلها والتى سنكشف عنها فيما يأتى :

□ الأهداف الحقيقية للتبشير □

لقد تمثلت الأهداف الحقيقية للتبشير فى إضعاف العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين ، وخلق تخاذل روحى ومعنوى وشعور بالنقص عندهم ، وتقطيع أواصر الوحدة والإخاء والترابط بين المسلمين ، وإثارة الفتن والقلاقل فى العالم الإسلامى ومعاونة الاستعمار العالمى .

وسوف نلقى الضوء على هذه الأهداف

أولاً : القضاء على الإسلام فى نفوس المسلمين :

لقد كانت المهمة الأولى التى قامت من أجلها حركة التبشير هى القضاء على مصدر القوة الأساسية التى يعتمد عليها المسلمون وهى : « العقيدة الإسلامية » بما تحمله من قيم وأخلاق وفداء وتضحية ، لذلك حاولوا إضعاف القيم الإسلامية عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحاً يضعف فى المسلم تمسكه بالإسلام ويقوى فى نفسه الشك فيه كمنهج سلوكى[1] .

وهذا ما جاء فى خطاب المبشر الأمريكى (زويمر) الذى ألقاه فى مؤتمر القدس المنعقد ١٩٢٨ م حيث قال : « أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ، لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء إن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين فى المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم وإنما مهمتكم أن تخرجوا

---

(١) راجع صـ (٢٠٩) من الفكر الإسلامى – الأستاذ أنور الجندى .

المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى فلا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام لقد أعددتم فى ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية[١] .

ويقول شاتيليه : « أن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التى تبذل فى سبيل التربية النصرانية »[٢]هكذا يعترف المبشرون بأهم الأهداف الحقيقية وهو انتزاع العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين وتحويلهم إلى مُسخ آدمية لا تحمل من الإسلام إلا اسمه .

ثانياً : القضاء على وحدة العالم الإسلامي :

لقد أدرك الغرب النصرانى أن وحدة المسلمين وتماسكهم كانت وراء انتصارهم على الغرب لذلك حاولوا عن طريق التبشير إثارة الفتن والاضطرابات داخل العالم الإسلامي ولذلك قال القس (سيمون) : إن للتبشير عاملاً مهما فى كسر شوكة الوحدة الإسلامية ، ويجب أن نحول بالتبشير مجارى التفكير فى هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل فى المسلمين[٣]

لذلك قام المبشرون ببث الفتن الطائفية داخل المجتمعات الإسلامية حتى أن المبشر (زويمر) قد اندس بين أبناء الأزهر فى زى طلبة العلم ، ثم راح يوزع منشورات توقع الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط وقد أثارت هذه الحادثة ضجة كبرى فى الصحافة المصرية سنة ١٩١٩ م ، وكذلك كان المبشر « هنرى لامنس » يقوم بأعمال مماثلة فى الشام[٤] .

ثالثاً : محاولة وقف انتشار الإسلام :

فلقد هال النصارى أن ينتشر الإسلام فى بلادهم ، وأن تسقط آخر معاقلهم فى الشرق ، وأن يقيم الإسلام سداً منيعاً فى وجه انتشار النصرانية ، بل إن قوة الإسلام

---

(١) راجع صـ (١٦١) من حقيقة التبشير - أحمد عبد الوهاب

(٢) الغارة على العالم الإسلامى صـ (١٠)

(٣) د . عمر فروخ صـ (٣٧)

(٤) الله أو الدمار صـ (٦٩) .

جعلته ينتشر حتى بين النصارى أنفسهم ، لذلك حاولوا عن طريق التبشير أن يقفوا أمام المد الإسلامى ، وهذا ما نبههم إليه لويس التاسع سابقاً حين قال لابد من تجنيد المبشرين لمحاربة الإسلام ووقف انتشاره[١] .

رابعاً : تشويه الإسلام في نظر الشعوب الأوربية :

لقد عاد المحاربون النصارى من الحروب الصليبية وهم يحملون صورة طيبة عن معاملات المسلمين وسماحة الإسلام ونقاء عقيدته وصفائها لذلك خاف رجال الكنيسة من الإسلام فقام المبشرون بمحاولة خبيثة لتشويه صورة الإسلام وسمعة المسلمين فى نظر شعوب أوربا بهدف حجب الإسلام عن أوربا والحيلولة دون نفاذه إليها[٢] .

ولما كانت شعوب أوربا وحكومتها لا تعرف شيئاً عن الإسلام ولا تصدر أحكامها عليه إلا من خلال الصورة التى يرسمها المبشرون[٣] لذلك قام المبشرون . بما يأتى :

أولاً : نقلوا صورة سيئة لأوضاع المسلمين ، وأحوالهم فادعوا أنهم متخلفون ، وأصحاب عقائد وثنية يعشقون الملذات ، ويدمنون المخدرات ، ويغرمون بالنساء[٤] .

ثانياً : نقلوا صورة زائفة لوضع النصارى فى العالم الإسلامى ، فادعوا أن النصارى مظلومون تحت ظل الحكم الإسلامى . وهكذا راح المبشرون ينشرون هذه الافتراءات على أقوامهم .

- حتى يوغروا صدورهم على المسلمين .
- وحتى يبرروا حملاتهم التبشيرية على العالم الإسلام .
- ولكى تدوم لهم الدولارات التى تأتى إليهم من جماعات غافلة عن الحقائق[٥] ولقد اعترف المنصفون منهم بتشويه صورة الإسلام حيث يقول :

(كارادى فو) « إن محمداً ظل وقتاً طويلاً معروفاً فى الغرب معرفة سيئة ، فلم توجد خرافة ولا فظاظة إلا ونسبوها إليه »[٦] .

---

(١) عماد شرف - حقائق عن التبشير صـ (١٠) .
(٢) د . على جريشة « أساليب الغزو الفكرى » صـ (٢٢) .
(٣) د . غلاب نظرات استشراقية فى الإسلام صـ (٣) .
(٤) إبراهيم خليل أحمد صـ (٦٢) .
(٥) عمر فروخ صـ (٤٥) .
(٦) د . غلاب صـ (٩) .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : « بدأ هؤلاء جميعاً بشخصية الرسول ﷺ طعناً وتشكيكاً وتشويها وقلبا للقيم والحقائق ، ثم انطلقوا إلى مبادىء الإسلام وراحوا ينقضونها بزعمهم مبدأ مبدأ وعروة وعروة ناقدين مشككين مستعينين بكل الأساليب « اللاعلمية » لتحقيق هدفهم ، ومتوسلين بكل الطرق « اللاموضوعية » لبلوغ هذه الأمنية[1] .

ولقد تسببت تشويه صورة الإسلام فى نظر الشعوب الأوربية فى الجهل به وبالتالى معاداته (فالناس أعداء ما جهلوا) .

خامساً : خلق نوع من الهزيمة النفسية بين المسلمين :

لقد أدرك المبشرون عظمة الثقافة الإسلامية التى أعطت المسلمين العزة والقوة فأيقنوا أن أمة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخضع أو تذل ، ومن هنا كانت مهمتهم تشويه هذه الثقافة والحط من شأنها فى نفوس أصحابها حتى يخلقوا نوعاً من التخاذل والهزيمة النفسية فى وجدان المسلمين ، كيلا تتجه إرادتهم يوما ما إلى العودة إلى الإسلام[2] فراحوا يقارنون بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية ليخرجوا دائماً بتفضيل الآداب والعلوم الغربية على الآداب والعلوم الإسلامية ، وذلك بهدف خلق التخاذل والشعور بالنقص فى نفوس المسلمين ، فيخضعون للمدنية الغربية[3] وبذلك يفتحون للتبشير المسيحى طريقاً إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة عن دينهم[4] .

سادساً : معاونة الاستعمار الغربي والتجسس على العالم الإسلامي :

المبشرون هم طلائع الاستعمار ، وهم عيونه وأرصاده ، مهمتهم توطئة ظهورنا لدولهم وشعوبهم وحكوماتهم ، ثم تحويلنا إلى مطايا يركبونها وأبقارا يحلبونها .

هل يتصور إنسان أن هذا القسيس الذى يلبس مسوح الرهبان ويحمل الإنجيل بيده يعمل بالتجسس لحساب الاستعمار الغربى .

---

(١) د . عماد الدين خليل . لعبة اليمين واليسار صـ (٤٩) .
(٢) السابق صـ (٤٨) .
(٣) عمر فروخ صـ (٢٥) .
(٤) الإسلام فى وجه التغريب صـ (٣٧١) أنور الجندى .

هذا ما أثبتته الوثائق والاعترافات على لسان المبشرين أنفسهم والمستعمرين الذين أرسلوهم .

يقول المبشر الأمريكى : جاك مندلسون : « لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية » وقال نابليون : « إن فى نيتى إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً فى أسيا وأفريقيا ، وسأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار ، إن ملابسهم تحميهم وتخفى أية نوايا اقتصادية أو سياسية »[1] وبعد النصوص تأتى الوقائع حيث يقول أحمد عرابى : إن القسس والرهبان كانوا يستطلعون أحوال الجيش المصرى فى السودان ويبلغونها إلى (يوحنا) ملك الحبشة مما أدى إلى سحق الجيش المصرى فى هذه المعارك[2] ولا أدل على ذلك من أن الاستعمار كان يستخدم نفوذه فى حماية حركة المبشرين :

- فكان اللورد كرومر فى مصر يسجل فى تقاريره السنوية خطوات التبشير وأعماله واقتراحاته لتوسيع نطاقه .
- كما أعلن بلفور وزير خارجية بريطانيا تأييده لحركات التبشير فى تصريح جاء فيه : إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها فى كثير من الأمور الهامة ولولاها لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيراً من العقبات[3] .
- وحينما أرادت الدولة العثمانية إغلاق مراكز التبشير (حين لاحظت أن هذه المراكز تثير الفتن وتتجسس على البلاد) وقفت القنصليات الأجنبية بجوار المبشرين وضغطت على الخلافة الإسلامية من أجل ترك هذه المراكز ، وحدث مثل ذلك فى مصر حينما أراد الخديوى إسماعيل أن يغلق مدارس المبشرين ، تدخلت القنصلية الأمريكية والإنجليزية وحملت الحكومة المصرية على التراجع[4] .

وقد سبق أن بينا أن معظم قادة الغرب النصرانى كانوا أعضاء فى حركات التبشير مما يدل على مدى التعاون بين التبشير والاستعمار ، فقد مزج المبشرون الدين بالسياسة إلا أن الدين عندهم كان وسيلة فقط أما السياسة فكانت هى الهدف الحقيقى والكتاب

---

(١) الرب والله وجوجو صـ (٢٠٩) .

(٢) راجع صـ (١٠٩) وما بعدها من « ظلام من الغرب للشيخ الغزالى » .

(٣) الجندى « الفكر الإسلامى » صـ (٢٠٨) .

(٤) د . عمر فروخ صـ (١١٨) .

المقدس عندهم لم يكن أكثر من وسيلة لاستلاب الأرض من أصحابها وهناك مثل شائع بين أهل روديسيا يقول :

« عندما جاء الرجل الأبيض إلى بلادنا لم يكن معه إلا الكتاب المقدس وكانت معنا الأرض أما الآن فإن الأمر بالعكس من ذلك ، لقد أصبحت الأرض لدى الرجل الأبيض ولم يبق لدينا غير الكتاب المقدس »[1] ومعنى هذا أن المبشرين خدعوا هذه الشعوب وسيطروا على أرضهم بواسطة التبشير .

سابعاً : خدمة الصهيونية العالمية :

قامت حركة التبشير بدور خطير بالتمهيد لاغتصاب فلسطين من يد المسلمين وتسليمها لليهود ، حيث قام المبشرون بفتح سبع وعشرين جمعية تبشيرية فى فلسطين وحدها ، وقد أخذت هذه الجمعيات على عاتقها معاونة اليهود فى الوصول إلى غرضهم .

وذلك أن من أهداف حركة التبشير كما بينا القضاء على وحدة العالم الإسلامى والعمل على تفرقه ، ومن هنا التقت الإرادات الآثمة - اليهود يريدون إقامة دولتهم والمبشرون يريدون تمزيق العالم الإسلامى وإنشاء قاعدة حربية لهم فى قلبه كما أوصى بذلك لويس التاسع .

من هنا قامت مراكز التبشير فى فلسطين بمحاولة إماتة الروح الإسلامية عند المسلمين عن طريق - نواديها وملاعبها التى كانت تجمع فيها المسلمين واليهود معاً يلعبون ويتسامرون وهذا ما يهيىء الطلاب المسلمين فى فلسطين لقبول نزول اليهود فى بلادهم وهذا ما يشير إليه الدكتور عمر فروخ بقوله : « إن الألعاب الرياضية كانت تخدم قضية المبشرين وتخدم الصهيونية فى فلسطين خدمة عظيمة حتى اندفعت مدارس التبشير تؤله الروح الرياضية وتشجع التسامح فى ميادينها إلى أبعد الحدود ، تسامحاً كان يراد منه قتل الشعور القومى [2] .

وعجباً لمن يدعون أنهم يريدون أن ينشروا دين المسيح على ربوع الدنيا ثم يسلمون مهد المسيح نفسه إلى أعداء المسيح الذين حاولوا قتله .

---

(١) محمد السليمان الجبهان صـ (١٠١) .

(٢) التبشير والاستعمار صـ (١٨٣) .

ثامناً : الربح المادي والمكسب التجاري :

لم تكن حركة التبشير خالصة لوجه الله وإنما كانت تخفى وراءها أغراضاً أخرى منها – استخدام التبشير كأسلوب تجارى يدر على القائمين به الأرباح الطائلة – لذلك نجد أن شركة الهند الشرقية الهولندية قد قامت بتأسيس مدرسة للاهوت وربت فيها اثنى عشر قسيسا للخدمة فى أندونيسيا وسيلان وكان كل مبشر من هؤلاء يتقاضى عمولة نقدية عن كل شخص يدخله فى النصرانية .

- وفى الهند اشتغلت البعثة السويسرية التبشيرية بالأعمال التجارية ، فكان لها مصانع بلاط ونسيج وغيرها من المشروعات .
- وفى أفريقيا اكتشف أن الكنيسة التبشيرية ما هى إلا مشروع تجارى ، وأن الأطفال الأفريقيين يؤخذون إلى مدارس التبشير لا من أجل التعليم بل للعمل فى مزارع الإرساليات[1] .
- وفى مصر كانت الإرساليات التبشيرية تملك أربعة عشر ألفاً من الأفدنة ، يساوى مائة وعشرين مليونا من الجنيهات ويرد لها سنويا ما قيمته نحو مليون من الجنيهات فى صورة بضائع ، وتبلغ إيرادات هذه البعثة سنوياً أربعة ملايين من الجنيهات[2] .

فقد كان المبشرون يستغلون الإعفاءات الجمركية على ما يستوردونه من الخارج لحاجتهم الخاصة . فاتخذوا من هذا الأمر فرصة للربح والتجارة حيث كانوا يستوردون البضائع المختلفة ثم يبيعونها للتجار الوطنيين ، وقد لاحظت تركيا هذا الأمر فألغت الاعفاءات الجمركية للمبشرين .[3]

وهكذا يلعب المبشرون أخبث الأدوار فى تاريخ الإسلام وهى أدوار الخيانة والعمالة والتجسس والاستغلال ، وهم الذين لبسوا مسوح الرهبان ورفعوا شعارات المحبة والتسامح والمودة ، بينما كانوا فى واقع الأمور جنوداً لحرب صليبية جديدة إلا أنهم استخدموا أسلحة من نوع آخر .

---

(١) أحمد عبد الوهاب صـ (١٤٣) .
(٢) أنور الجندى الفكر الإسلامى صـ (٢١٨) .
(٣) الغارة على العالم الإسلامى صـ (٨) .

وأخيراً فإن الغاية الحقيقية للتبشير ليست هى إدخال المسلمين فى النصرانية – لأنهم يعلمون أن هذا الأمر بعيد المنال – وإنما هى (الإفساد) إفساد المسلمين عقائديا وخلقيا ، وزعزعة العقيدة فى نفوسهم من أجل تفكك وحدة الأمة الإسلامية .

✵ فليس مهما أن يعتنق المسلمون النصرانية كعقيدة وإنما المهم هو ألا يتمسك المسلمون بعقيدتهم .

✵ ليس مهما أن تدخل النصرانية إنما المهم أن تكون غربياً فى سلوكك وفى أخلاقك وفى عاداتك وتقاليدك . يقول شاتيليه : « إن إرساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الإسلامية ، من حيث إنها تبث الأفكار الأوربية »[1] .

✵ ليس مهما أن تؤمن أن المسيح هو الله وأنه المخلص وإنما المهم هو أن تتحرر من أخلاق الإسلام وقيم الإسلام فى كل مجال من مجالات حياتك وبعد ذلك سوف تصل إلى النصرانية وهذا ما يشير إليه القس (استورد كوفورد) بقوله : « إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطراً من المدنية النصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، وما دامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل ، فإن الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها »[2] .

هذه هى أهداف التبشير الحقيقية التى حاولوا تحقيقها بكل الأساليب والوسائل . وهذا ما سوف نفصله فى الصفحات التالية :

□ أساليب التبشير وطرقه □

تمهيد

قام المبشرون بدراسة متأنية لأحوال المسلمين جعلتهم يضعون أيديهم على مواطن القوة ومواطن الضعف عندهم ، وبناء على ذلك وضعوا الخطة المحكمة

---

(١) د . عمر فروخ صـ (٥٦) .
(٢) السابق صـ (٧٢) .

للقضاء على الإسلام والتى استخدموا فيها كل الطرق والأساليب التى توصلهم إلى غايتهم ، ولا نريد أن نتحدث عن الأساليب المكشوفة ، من أمثال : بناء الكنائس الشاهقة بمبانيها الضخمة ومواقعها المتميزة وتوزيع الإنجيل على أوسع نطاق وبرخص التراب ، وإقامة الندوات المكشوفة ، وإنما نريد أن نتحدث عن أساليب أخرى استخدموا فيها المكر والخديعة والمداهنة[1] .

والمطلع على أساليب أعداء الاسلام بصفة عامة يلاحظ أنهم استخدموا كل الوسائل ، من القوة العسكرية الغاشمة إلى اللين والتسامح والمحبة .

لقد استخدموا العلم والطب والسياسة والخدمات الاجتماعية ، كما استغلوا الثقافة والآداب والمطابع والصحافة ،لقد استغلوا القسيس والطالب ، والأستاذ وحتى العامة من الناس فى الوصول إلى أغراضهم ولقد استخدموا الموعظة الدينية كما استخدموا العزف على الموسيقى والفانوس السحرى[2] وها نحن نفصل بعضاً من هذه الأساليب .

□ استخدام الطب كوسيلة للتبشير □

الطب مهنة إنسانية وضرورة لا غنى للبشر عنها ، ومن هنا تأتى أهمية الطبيب وأمانته وأخلاقه ، ولذلك حينما يتخرج الطبيب فى كليته يقسم يميناً تسمى يمين أبقراط بأن يقوم على خدمة المرضى ومنفعتهم ، ويبعد عنهم ما يضرهم ويحفظ سرهم ، ولا يساعد على إجهاض امرأة[3] إلى آخر بنود القسم إلا أن المبشرين قد حولوا هذه المهنة النبيلة إلى وسيلة خسيسة من وسائل التنصير التى استغلوا فيها آلام الناس ومعاناتهم وساوموهم على دينهم وعقيدتهم .

واستمع إلى ما يقوله أحد المبشرين فى هذا الصدد « حيث تجد بشرا تجد آلاما وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب ، وحيث تكون الحاجة للطبيب فهنالك فرصة مناسبة للتبشير »[4] .

---

(١) لقد قامت حركة التبشير بطبع وتوزيع ما يزيد على ألف مليون نسخة من العهدين القديم والجديد ترجمت إلى ألف ومائة وثلاثين لغة وقدرت التكاليف بسبعة آلاف مليون دولار . راجع صـ (١٨) من ما يجب أن يعرفه المسلم - محمد سليمان الجبهان .

(٢) الغارة صـ (٢٢) .

(٣) راجع نص القسم فى طبقات الأطباء جـ ١ صـ (٢٥) .

(٤) عمر فروخ صـ (٥٩) .

ويقول الطبيب (بول هاريون) فى كتابه « الطب فى بلاد العرب » : « إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عمان) بأسرها ، فلقد وجدنا فى بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى »[1] .

من هنا قام المبشرون بإنشاء المستشفيات والمستوصفات ومراكز العلاج فى أنحاء العالم الإسلامى فى مصر والسودان وأفريقيا وتركيا ولم يخل بلد إسلامى من مركز طبى للمبشرين بل إنهم أنشئوا فى مصر وحدها عشرات المراكز الطبية منها مستشفى هرمل الإنجليزى والملاصق للقصر العينى - لحاجة فى نفس يعقوب - والمستشفى الإيطالى بالعباسية والمستشفى الألمانى ومستشفى منوف بالمنوفية ومستشفى أسيوط الأمريكى ، ومستشفى الجرمانية بأسوان وغيرها من المراكز[2]

ويراعون فى إقامة هذه المستشفيات المميزات التالية :

١ - الموقع الجغرافى الممتاز فلابد أن يقع فى دائرة شعبية وكل الطرق تؤدى إليها دون عناء .

٢ - المظهر والمعاملة الحسنة عن طريق النساء اللائى يقمن باستقبال المريض بالابتسامات والترحيبات ومحاولة إيهامه بأنهن أحرص منه على صحته .

٣ - الإمكانيات : فلابد أن يكون هذا المركز على أعلى مستوى من الإمكانيات والأجهزة الحديثة حتى يجتذب المرضى .

وسائل التبشير في المستشفى :

يتوافد المرضى على العيادة الخارجية ويقوم الكاتب وهو واعظ إنجيلى بتحرير بطاقة للمريض ، كما تقوم الممرضة بمعرفة شخصية المريض وظروفه الخاصة وحالته الاجتماعية والمالية وتصل هذه المعلومات إلى مكتب قسيس المستشفى لتبويبها وتصنيفها .

ثم يأتى واعظ من قبل قسيس المستشفى فيلقى قصة دينية قصيرة على جمهور المرضى .

---

(١) السابق صـ (٢٧٧) .

(٢) إبراهيم خليل أحمد « الاستشراق والتبشير صـ (٣٩)» .

أما بالنسبة للذين يصرح لهم بدخول المستشفى فإنهم يستمعون إلى درس دينى كل يوم ، ثم توزع على المرضى النشرات لقراءتها ومن يتعشمون فيه أنه قد تأثر بهذه المواعظ يعقدون له ندوات خاصة بمكتب القسيس أو بمنزله ، وقد يغدقون عليه من الأموال والهبات ما يجعله ينسى دينه وعقيدته[١] .

وأما فى أفريقيا فقد كانوا يستخدمون حيلا أخرى فى التبشير منها :

أنهم كانوا يحملون البعثات الطبية فى سيارات تذهب بهم إلى النجوع والكفور وقبل ذهابها - يعلنون بين الناس عن وقت حضورها فيأتى المرضى على أمل الشفاء ثم تصل البعثة الطبية فتجد المرضى يصرخون من الآلام فلا يلتفتون لعلاجهم وإنما يبدءون أولاً بالتبشير وقراءة الأناجيل - حتى أنه كان بعض المرضى يموتون فلا يلتفتون إليهم بل يستمرون فى مهمتهم الأساسية وهى الدعوة إلى النصرانية بين المرضى والموتى[٢] .

فمبدأ هؤلاء الأوغاد أنهم مبشرون أولا وقبل كل شىء ثم يأتى الطب والعلاج بعد ذلك[٣] .

واستمع إلى نصيحة إحدى المبشرات (إيراهاريس) وهى تنصح الطبيب الذاهب فى مهمة تبشيرية : « يجب أن تنتهزوا الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز (تبشر) لهم بالإنجيل إياك أن تضيع التطبيب فى المستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق - ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه »[٤] .

وهكذا حول المبشرون الطب وهو واحدة من أكرم المهن الإنسانية إلى وسيلة خداع وفتنة لفقراء المسلمين فى دينهم ، حتى كانوا فى الحبشة لا يعالجون المريض قبل أن يركع على الأرض ويطالب من المسيح أن يشفيه ، لقد كانوا بحق ذئاباً فى جلود نعاج وثعابين فى صورة حمائم .

---

(١) المرجع السابق صـ (٧٤) .
(٢) فروخ صـ (٦٢) .
(٣) الغارة على العالم الإسلامى صـ (٢٥) .
(٤) فروخ صـ (٦٣) .

□ استخدام أعمال الخير والخدمات الاجتماعية □

ـ قام المبشرون بإنشاء ملاجيء للأيتام ومراكز رعاية اجتماعية للفقراء والمحتاجين والمفروض أن هذه الأعمال تكون لوجه الله كما كانوا يشيعون ، ولكنهم استخدموها فى الوصول إلى أغراضهم الدنيئة ، يقول المبشر « رايد » : إننا نحاول أن ننقل المسلم من محمد إلى المسيح ، ونحن لا نحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لنا فى الإنسانية ، ولولا أننا نريد أن ننقله إلى صفوف النصارى لما ساعدناه[1] .

ومن هنا استغل النصارى فقر المسلمين وحاجتهم فى مجاهل أفريقيا حتى أن البعثات التبشيرية فى السنغال كانت توقع عقوداً مع الأسر الفقيرة تقدم البعثات بموجبها إلى هذه الأسر مساعدات عينية ضئيلة من أرز وخبز فى كل شهر على أن يكون لها حق اختيار أحد أطفال الأسرة دون الخامسة من عمره ثم يربى تربية مسيحية ويرسل إلى فرنسا لاستكمال تعليمه العالى ، ثم يستخدم بعد ذلك هو الآخر فى أعمال التبشير أو يستخدم فى تحقيق مصالح الغرب النصرانى .

وللأسف الشديد أن (سنجور) رئيس جمهورية السنغال السابق كان من هؤلاء الأطفال الذين وقعوا فريسة للتبشير النصرانى ومعنى كلمة سنجور « سان جورج » مع أن أبويه وإخوته مسلمون[2] .

وهكذا يستخدم المبشرون أعمال الإحسان والبر استخداماً سيئاً فما كانوا يحسنون ولا ينفقون إلا بمقدار ما ينتظرون من فوائد عاجلة حتى كان من أسس التبشير عندهم : أن أعمال الخير يجب أن تستعمل بحكمة فلا تنفق الأموال بدون حساب ، بل يجب أن تعطى الأموال للبعداء ثم يقل دفعها تدريجيا كلما زاد اقتراب هؤلاء إلى الكنيسة ، فإذا دخلوها منعت عنهم أعمال الخير ، ثم يجب ألا نبالغ فى الناحية الخيرية على كل حال[3] .

ومن هنا كان على المسلمين أن يراجعوا أنفسهم فى علاقاتهم مع الغرب النصرانى والذى يدعى أنه يرسل إلينا المنح والهبات ، فهو لا يرسلها إلا لمصلحته ومنفعته .

---

(١) السابق صـ (١٩٣) .

(٢) السابق صـ (٤) .

(٣) السابق صـ (١٩٤) .

□ استخدام الطلبة وعامة الناس في التبشير □

لقد لاحظ النصارى نفور الناس من القسس والرهبان بمظهرهم البغيض المقبض فحاولوا أن يستغلوا نماذج أخرى تساعدهم على مهمتهم مثل الطلاب والأساتذة وعامة المثقفين (من النصارى) يقول المبشر « جون موط » : إن المظهر البرىء فى الطالب والأستاذ والعامة من الناس لا يصرف المسلم عن سماع أقوال هؤلاء بينما الثوب الذى يظهر فيه المبشر يعمل على تنفير القلوب[1] .

كما استخدم النصارى الطلاب الذين يذهبون فى بعثات إلى أوربا كمبشرين بالقيم والعادات والتقاليد النصرانية فى العالم الإسلامى[2] .

□ استخدام الرشوة □

المبشر لا يتورع عن استخدام أى شىء ، وحينما كانت تخيب أساليبهم كانوا يعمدون إلى الرشوة يفسدون بها ضمائر الذين يستميلونهم فقد اتخذوا سماسرة يجلبون لهم المحتاجين من الذين كانوا يقبلون تغيير دينهم ، وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهباً[3] .

□ استخدام المكتبات والصحافة □

لقد استغل المبشرون جميع أوجه النشاط الإنسانى للتبشير حتى تلك التى لا يتوقع أن تستخدم فى هذا الأمر ، ومن هذه الأوجه إنشاء المكتبات لبيع الكتب الدينية والثقافية الموجهة وبأرخص الأسعار والغرض من ذلك استجلاب الناس ، ومحادثتهم أثناء البيع[4] وقد وضع المبشرون فى خطتهم أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص .

✵ طلبة الأزهر فى مصر على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام .

---

(١) السابق صـ (١٦٧) من حقيقة التبشير – أحمد عبد الوهاب .

(٢) راجع صـ (١٦٧) من حقيقة التبشير أحمد عبد الوهاب .

(٣) عمر فروخ .

(٤) الغارة على العالم الإسلامى صـ (٢٣) .

❁ طبقة النساء حيث إن المرأة المسلمة محجوبة عن المجتمع فيجب أن توضع لها كتب تتفق مع عقليتها ودرجة تفكيرها .

كما أنشأ المبشرون عدداً من الصحف اليومية والأسبوعية ومنها صحيفة « بشائر الإسلام » « والشرق والغرب » وكانتا تصدران فى مصر كما حاولوا استخدام الصحافة الوطنية فى العالم الإسلامى ، وقد أعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا فى أى بلد إسلامى[1] .

وبعد ثلاث سنين من إنشاء هذه المكتبات والصحف وصل المبشرون إلى النتائج التالية :

الأولى : أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين ومشاعرهم وعواطفهم .

الثانية : أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم (هكذا يدعون) .

الثالثة : أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم فى وداد المسلمين وميلهم إلى ما تطمع إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى ، يمكنهم أن يدخلوا إلى قلوبهم[2] .

□ استخدام النوادي والجمعيات □

أنشأ النصارى عدداً من النوادي الرياضية والجمعيات لاجتذاب الشباب المسلم ومحاولة الاحتكاك به ، ومن هذه الجمعيات جمعية الشبان المسيحية وجمعية الشابات المسيحيات ، وقد أنشئوا لهما فروعاً فى كل أنحاء العالم الإسلامى .

يقول المبشر (أديسون) : «إن عوامل التعليم المسيحى فى مصر تزيد قوتها بمؤسستى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات وهما مؤسستان غير طائفيتين (أى إنهما يقبلان أعضاء من جميع الأديان والمذاهب) إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة ، وخصوصاً فى القاهرة والإسكندرية ، وهى تقدم (للمسلمين) مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية ، وفى هذا اقتراب من المسلمين (بالتبشير)[3]

كما تقوم هذه الجمعيات بتنظيم لقاءات فكرية ومحاضرات عامة الهدف منها معروف ، وتقيم ليالى أنس وسمر وحفلات ، ومطاعم ولوكندات للنوم ، وأسباب

---

(١) عمر فروخ صـ (٢١٣) .

(٢) الغارة صـ (٢٣) .

(٣) عمر فروخ صـ (٢٠١) .

تسلية تستهلك وقت الشباب ، وكل ذلك ليس مقصوداً لذاته ، وإنما المقصود هو أن تجتذب هذه المظاهر أناسا يستمعون إلى صوت المبشر ، ولكى يجد حب الغرب طريقه إلى قلوب المسلمين .[١]

لذلك قامت هذه الجمعيات فى مصر بمعارضة أى اتجاه يهدف إلى تكتل المسلمين ووحدتهم وتولت فروعها فى صعيد مصر إثارة الشغب الطائفى[٢]

□ الاهتمام بالمرأة المسلمة □

لا شك أن المرأة المسلمة هى عصب الأسرة وأى تأثير عليها إنما ينعكس بالضرورة على أطفالها ، لهذا ركز المبشرون على المرأة المسلمة يقول أحدهم : « وبما أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها ذكورا وإناثا بالغ الأهمية ، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة ، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية »[٣]

ولهذا استقدم المبشرون أعدادا غفيرة من المبشرات النصارى فى محاولة إلى الاقتراب من المرأة المسلمة .

وقد بحث المبشرون موضوع المرأة المسلمه فى كثير من مؤتمراتهم[٤]ووضعوا الأساليب اللازمة لذلك ومنها :

إنشاء نوادى نسائية ، ووضع كتب موجهة إلى المرأة المسلمة تحاول إبعادها عن دينها وعقيدتها وإغرائها بتقليد المرأة الغربية ، كما قاموا باستغلال حاجة النساء المطلقات والأرامل فأنشئوا لهن بيوتاً خاصة وحاولوا تنصيرهن ، بل إنهم قد استخدموا المتنصرات منهن بعد ذلك كمبشرات بين أقوامهن . كذلك حاولوا دفع الشباب إلى الزواج بالنصرانيات حتى يكون لهن تأثير على الأسرة المسلمة فالقاعدة العامة فى هذا الأمر هى أن زواج المسلم (بالكتابية) - مع أنه حلال شرعاً - يسلب البيت الإسلامى جوه الروحى ويبدل كثيراً من المثل العليا فيه والغالب أن مثل هذا البيت لا ينشأ على اللغة

(١) السابق صـ (٢٠٨) .
(٢) الشيخ محمد الغزالى - التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام صـ (٢٩) .
(٣) راجع صـ (١٨٨) من حقيقة التبشير .
(٤) راجع صـ (٢٦) وما بعدها من « الغارة على العالم الإسلامى »

العربية (ولا يستثنى من ذلك إلا بعض الرجال الذين يحافظون على دينهم وأخلاقهم الإسلامية على الرغم من زواجهم بالأجنبيات ، فقد رأينا أولادا من أمهات غير مسلمات ومع ذلك فهم ذو محافظة على الشعائر ، وغيرة على الإيمان لأن الأب نفسه حريص على عقيدته ومحافظ على إسلامه) إلا أن هذه الحالات نادرة .

والواقع أن شيوع الزواج بالأجنبيات فى مجتمع ما من الخطورة بمكان ، وتتمثل هذه الخطورة فيما يأتى :

أولا : حينا تكثر الزوجات غير المسلمات فى المجتمعات الإسلامية ، تتخلخل هذه المجتمعات وتضعف فيها الحياة الإسلامية .

ثانيا : كما يسلب الزواج بالأجنبيات المجتمع الإسلامى عدداً من الرجال فيزيد فيه عدد النساء فيخلق لنا مشكلة اجتماعية أو يعقد المشكلة الناشئة فى مجتمعنا من زيادة عدد النساء على الرجال ، وبذلك يحلون مشاكل المجتمع الغربى على حساب المجتمع الإسلامى .

ثالثاً : وتبلغ الخطورة مداها حين نعلم أن نفراً من القادة العرب ومن القائمين على رأس الحركات القومية متزوجون بأجنبيات ، فكيف يستطيع هؤلاء أن يكونوا ذوى بأس وصلابة فى كفاحهم القومى بينما أولادهم يرثون من الحمية الفرنسية أو الإنجليزية أو الأمريكية من أمهم مقداراً كالمقدار الذى يرثونه من الحمية الإسلامية من أبيهم[1] .

□ استخدام القوة □

حينما تلوح الفرصة للمبشر لا يتوانى عن اغتنامها ولا يتورع عن سلوك أى طريق من أجل اقتناصها ، فمع أن منهجهم العام هو اللين والبساطة والحكمة إلا أنهم فى أحيان كثيرة استخدموا القوة المسلحة فى التبشير فقد قام اليسوعيون الفرنسيون سنة ١٩٣٠ م بجمع عدد كبير من العلويين فى جنينة أرسلان بسوريا وحملوهم على الإقرار بالمذهب الكاثوليكى بالقوة المسلحة[2] وفى العراق اعتمد التبشير على الأساليب الدموية الخسيسة[3] وفى الحبشة وأرتريا والصومال كان النصارى يستخدمون أفظع أساليب التنصير[4] .

---

(١) عمر فروخ صـ (٢٠٧) .

(٢) السابق صـ (١٢٢) .

(٣) إبراهيم خليل أحمد « التبشير والاستشراق » صـ(٤٢) .

(٤) راجع صـ (٨١) وما بعدها من كفاح دين للغزالى ، صـ (١٧٧) من حصاد الغرور وصـ (٤١) من معركة المصحف للغزالى .

ومع ذلك يقول الأستاذ إبراهيم خليل أحمد - الذى كان أحد المبشرين وأسلم - إن جماعة كبيرة من أولئك المقهورين على تبديل دينهم خرجوا من الكنيسة التى عمدوا فيها إلى المساجد ليعودوا إلى إيمانهم [1] وأما فى الهند فقد كان المبشرون الأسبان يستخدمون وسائل غاية فى الوحشية مثل خرق العيون والحرق أحياء . وقد حاول أحد الرهبان إقناع الزعيم الهندى « هاتيهاى » باعتناق الدين النصرانى وأخبره بأنه إذا تعمد وقبل الدخول فى النصرانية سوف يذهب إلى الجنة ، فسأله الزعيم الهندى وهل فى هذه الجنة نصارى أسبانيون فأجابه الراهب . نعم . فما كان من الهندى إلا أن قال : « إذن لا أريد أن أذهب إلى مكان أصادف فيه أبناء هذه الأمة المتوحشة »[2]

□ المؤتمرات المشتركة □

شعر المبشرون بعدم جدوى جهودهم التى يبذلونها فى البلاد الإسلامية ، ولذلك اخترعوا هذا الأسلوب الخبيث الذى حاولوا عن طريقه كسر ما يسمى بالجمود والتعصب فى مجال التبشير .

فبدأ مجلس الكنائس العالمى[3] يدعو إلى مؤتمرات مشتركة أطلقوا عليها اسم (مؤتمرات الأديان) وهى مؤتمرات مشبوهة يتولى الدعوى إليها أذيال الغرب النصرانى الذين تربوا على موائده وفكره من المسلمين ، ويشترك فى انعقادها مسلمون لا عقيدة لهم ولا دين مع نصارى مخلصين كل الإخلاص لدينهم والدعوة إليه .

ولقد تضمنت مجموعة الوثائق التى صدرت عن المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان صفات أولئك المتحاورين من النصارى وجاء فيها : « يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار ، يعرفون كيف يصغون إلى الآخرين وأن يوقظوا الاهتمام فى النفوس وأن يكونوا معلمين للإيمان المسيحى ، رجال دين يستطيعون أن يتيحوا الفرص للعمل الإرسالى ، وأن يبعثوا فيه الحياة »[4] .

---

(١) التبشير صـ (٢٤٦) .
(٢) فروخ صـ (١٢٤) .
(٣) د . أحمد سمايلوفتش صـ (١٣٩) .
(٤) راجع صـ (١٧٣) من حقيقة التبشير - أحمد عبد الوهاب .

هؤلاء رجال بهذه الصفات يجتمعون مع بعض المنتسبين إلى الإسلام فيتحاورون عن الإسلام والنصرانية وبالتأكيد أن الحوار سوف يكون لصالح النصرانية .

ومن هذه المؤتمرات انبعثت الدعوة الماسونية لتوحيد الأديان والتى انخدع بها الشيخ محمد عبده وألف جمعية أطلق عليها « جمعية التقريب بين الأديان » وهو بلا شك على حساب الإسلام لأنه وحده الدين الصحيح وغيره محرف ولابد فى التقريب من تنازل ، وتنازل المحرف لا يضيره ، أما تنازل الصحيح فهو الذى يضيره[1] .

وعلى أى حال فقد كان أبرز هذه المؤتمرات :

المؤتمر الإسلامى المسيحى الذى عقد فى أسبانيا أخيراً والذى انعقد نظير له فى تونس ولندن وداكار[2] .

أهداف المؤتمرات المشتركة :

أعلنت هذه المؤتمرات عن هدف عام وهو وقوف المتدينين فى وجه الملحدين والماديين ، ولكن الغرب النصرانى كان يضمر أهدافاً في غاية الخبث وهي :

١ - تكميم الأفواه التى تنادي بالإسلام كدين عام للبشرية ، وأن ما سواه من الأديان لا قيمة له ولا يترتب عليه النجاة في الآخرة ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ وبذلك يعقدون شبه هدنة بين الإسلام والنصرانية ، بينما المبشرون ماضون في حملاتهم المسعورة على الإسلام وفى الدعوة إلى دينهم بكل ما يستطيعون من قوة . وهذا ما قاله الدكتور محمد رشيد وزير الشئون الدينية السابق - بأندونيسيا فى مؤتمر الأديان المنعقد بجاكرتا سنة ١٩٦٧ م : « إن التسامح الذى ينادى به المسيحيون الآن هو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت ، وهم يرون إخوانهم مستهدفين لمحاولات التنصير وما يستجد فى سبيله من مختلف وسائل الإغراء المشروعة وغير المشروعة[3] .

٢ - كسر جدار التعصب (والمراد بالتعصب هنا هو تمسك المسلمين بإسلامهم وعدم سماحهم للمبشرين بالوصول إلى أغراضهم) .

---

(١) أساليب الغزو الفكرى صـ (٢٠٢) .

(٢) الجبهان - ما يجب أن يعرفه المسلم صـ (١٨) .

(٣) حقيقة التبشير صـ (١٧١) .

٣ - الدعوة من خلال هذه المؤتمرات إلى المبادىء المناهضة للإسلام ، وذلك ما حدث في أحد المؤتمرات التي انعقدت بالإسكندرية ، حيث تحدث النصارى عن ضرورة الفصل بين الدين والدولة[١]

موقف الإسلام من هذه المؤتمرات :

لاشك أن الإسلام يرفض مثل هذه المؤتمرات ذلك أنه لا يمكن الجمع والتوفيق بين التوحيد والتثليث ، ولا بين ما نزل من السماء وما نبع من مستنقعات الماسونية إلا إذا أمكن الجمع بين المتناقضين .

إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعاً على أساس من العقيدة فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة ، ومن ثم لا يمكن أن يقوم تعاون أو ولاء - تناصر - بين المسلم والنصراني حتى ولو كان هذا التناصر للوقوف في وجه الإلحاد كما ادعوا وكيف يتناصران وليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه[٢] .

وهذا ما يمكن أن نفهمه من قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُم أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُم خَرَجْتُم جِهَاداً فِى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى ، تُسِرُّونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ وأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُم وَمَا أَعْلَنتُم ، وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾[٣] .

والآية وإن كانت قد نزلت في حاطب بن أبي بلتعه ومحاولته التودد إلى المشركين ، فإنها عامة في قطع الولاية والتناصر بين المسلمين وبين كل من يكفر بدينهم ويخرجهم من ديارهم ويفتنهم في عقيدتهم وأية فتنة أشد من محاولة تمييع الإسلام وزلزلة أصوله وقواعده تحت عنوان براق هو التقريب أو التوفيق بين الأديان ، وأى ظلم للمسلمين أشد من إخراجهم من ديارهم في فلسطين على يد اليهود وتآمر النصارى ؟ فهل يبقى بعد ذلك مجال لقبول فكرة التقريب بين الأديان ؟

---

(١) راجع صـ (٣١) وما بعدها من كفاح دين .
(٢) فى ظلال القرآن جـ ٢ صـ (٩١٤) .
(٣) سورة الممتحنة الآية [١] .

إن دين النجاة واحد هو الإسلام وهو وحده يقف فى وجه الإلحاد والأديان المحرفة على السواء . وهذا ما تحقق واقعياً فقد وقف أتباع النصرانية مع الملحدين صفاً واحداً حينما كانت المواجهة ضد المسلمين فى ألبانيا وفى الحبشة ، وفى لبنان وفى أفغانستان .

إن النصارى لا يعنيهم حرب الملحدين قدر ما يعنيهم حرب المسلمين فهو العدو الأساسى لهم وأما هذه الأهداف التى أعلنوا عنها من هذه المؤتمرات فقد كانت لمجرد الخداع والإيهام وتمييع اليقظة الإسلامية التى ظهرت فى العالم الإسلامى ومن هنا تكون الدعوة لهذه المؤتمرات من جانب المسلمين أو حتى مجرد الاستجابة لها عبث وخروج على مقررات القرآن التى أبطلت النصرانية واليهودية وألزمت أهلها باتباع الإسلام **﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾**[1] **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُود والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُم أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَولَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾**[2] وهذا هو سر موقف الأزهر من هذه المؤتمرات حيث رفض المشاركة فيها[3] .

□ البعثات الخارجية □

حاول النصارى أن يستخدموا هذا الأسلوب مع خيرة الشباب المسلم الذين استقدموهم من بلادهم لأهداف ظاهرية هى التعليم والتثقيف والحصول على الشهادات العليا فى تخصصاتهم ولكن الأهداف الحقيقية كانت هى تشكيك هذا الشباب فى دينه وعقيدته مع محاولة جذبه إلى الثقافة الغربية .

ومن هنا افتتحوا فى بلادهم أقساماً للدراسات الإسلامية والعربية فى جامعات فرنسا وإنجلترا وألمانيا وأمريكا وغيرها ، وقد تولى التدريس فى هذه الأقسام المستشرقون والمبشرون والحاقدون على الإسلام من اليهود الذين أخذوا على عاتقهم أن يغيروا فكر وعقيدة هذا الشباب بحيث يعود إلى بلاده وهو محمل بالشبهات على الإسلام ، يدير ظهره لمصادر الثقافة الإسلامية وهى القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامى ، ويولى وجهه وفؤاده شطر المصادر الغربية لحضارة الإسلام يدرسها ويصدق ما جاء بها من مفتريات على الإسلام .

---

(١) آل عمران آية [٨٥] .
(٢) سورة المائدة [٥١] .
(٣) كفاح دين صـ (٢٧) .

والذى يشكك فى أن هذا هو الهدف الأساسى من هذه البعثات عليه أن يسأل نفسه ما الفائدة التى تعود عليهم من هذه المنح التى تتكلف الواحدة منها عشرات الآلاف من الدولارات إن لم تكن هى تكوين جبهة داخلية فى البلاد الإسلامية تقوم بالدعوة إلى الثقافة الغربية بين المسلمين . وقد بدأت هذه البعثات فى مصر منذ عهد محمد على الذى أرسل عدداً من المبعوثين إلى فرنسا لدراسة القانون ، ومنهم رفاعة الطهطاوى العالم الجليل الذى ذهب بعقل مسلم وعاد بعقل غير العقل الذى ذهب به .

❁ فقد عاد يتحدث عن الرقص الذى شاهده فى فرنسا بأنه نوع من العياقة ، لا الفسق والعصيان .

❁ وتحدث عن المشاعر الوطنية وأحلها محل المشاعر الدينية وراح يثير الجاهلية القديمة فيتحدث عن مصر الفرعونية بدلاً من الحديث عن مصر الإسلامية[1]

وقس على رفاعة الطهطاوى كل من ذهبوا إلى هناك - إلا من عصم ربى - فقد أفرزت هذه البعثات دعاة الفكر الغربى من أمثال أحمد خان فى الهند ، وضياء كوك الب فى تركيا ، وطه حسين وأحمد لطفى السيد ، وقاسم أمين وزكى نجيب محمود فى مصر . ونحن لا ننكر أن عدداً كبيراً من المبعوثين قد ضحكوا على النصارى وبمجرد أن انتهت مدة بعثتهم عادوا إلى بلادهم وتركوا هناك أفكارهم ومناهجهم وشبههم ورجعوا مخلصين لإسلامهم ، ومن أمثال هؤلاء مالك بن نبى فى الجزائر ، ومحمد إقبال فى الهند ، والدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد غلاب والدكتور محمود زقزوق وغيرهم كثير من مصر .

ذلك أن المبعوث كان هناك بين نارين إما أن يساير أعداء الإسلام فى آرائهم عن الإسلام فيعود برسالته ، وإما أن يقف أمامهم فيعود بخفى حنين .

وقد بلغ من خطورة هذه البعثات وما نتج عنها أن المؤتمر العالمى للدعاة المنعقد بالمدينة المنورة سنة ١٩٧٧م قد درس موضوعها ثم أوصى بما يأتى :

منع الابتعاث إلى الدول غير الإسلامية إلا فى حالة الضرورة القصوى التى لا يوجد لها مثيل فى جامعات البلاد الإسلامية الأخرى . وفى حالة الابتعاث يختار أفضل المبعوثين خلقاً ويحاط بتقارير سرية عن إيمانه وخلقه وسلوكه مع إلزام الطالب بالزواج قبل البعثة[2] .

---

(١) أساليب الغزو الفكرى صـ (٣١) .

(٢) دعاة لا بغاة صـ (٢٢٣) .

□ إنشاء المدارس والجامعات الأجنبية □

التعليم هو أخطر الأمور فى حياة الأمم فبسببه ترتفع الأمم إلى القمم الشامخة وبسببه أيضاً تنحدر إلى القيعان الهاوية .

من الممكن أن يكون التعليم وسيلة من وسائل التقدم والرقى ، ومن الممكن أن يكون وسيلة من وسائل التأخر والتخلف .

وقد عبر الفيلسوف المسلم محمد إقبال عن هذا فقال : « إن التعليم هو (الحامض) الذى يذيب شخصية الكائن الحى ، ثم يكونها كما يشاء إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أى مادة كيماوية ، وهو الذى يستطيع إن يحول جبلاً شامخاً إلى كومة تراب[1] .

وقد أدرك المبشرون خطورة التعليم فاتخذوا منه أسلوباً لاستعباد الأفراد والأمم ومسخهم من دينهم وعقيدتهم وطبعهم بالطابع الغربى . كما يقول اللورد كرومر « إن المصرى الذى خضع للتأثير الغربى ، فإنه وإن كان يحمل الأسم الإسلامى لكنه فى الحقيقة ملحد ارتيابى ، والفجوة بينه وبين عالم أزهرى لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهرى وبين أوربى »[2] .

لهذا قام المبشرون بإنشاء المدارس والجامعات الأجنبية فى أنحاء العالم الإسلامى فأنشئوا لهم مدارس فى استانبول عاصمة الخلافة الإسلامية وفى لاهور بالهند ، وفى القاهرة ولبنان ، حتى كان لهم فى سوريا وحدها مائة وأربع وسبعون مدرسة منتشرة فى المدن والقرى[3] وفى لبنان أعداد هائلة من المدارس الأجنبية والكليات المختلفة الكاثوليكية والأورثوذكسية والبروتستانتية .

۞ كما اهتموا بمدارس البنات بصفة خاصة ، فقد فتحوا أول مدرسة للبنات فى الإمبراطورية العثمانية فى بيروت سنة ١٨٣٠ كما فتحوا مثلها فى السودان والهند وأفغانستان وكان اهتمام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات أشد حيث قالوا : إن التبشير يكون أتم حبكاً فى مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الأحوال المواتية والفرص السانحة .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ (١٦٩) .

(٢) السابق صـ (١٠٦) .

(٣) جلال العالم – قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام – أبيدوا أهله صـ (٦٢) .

❁ لأنها تجعل الصلة بالطالبات أوثق .
❁ ولأنها تنتزع الطالبات من نفوذ حياتهن الإسلامية لكى يعشن حياة مسيحية .

ويفرح المبشرون إذا اجتمع فى مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة ، لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ فى بيوتهن أعظم ولذلك تقول المبشرة « آنا مليغان » : لقد استطعنا أن نجمع فى صفوف كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وبالتالى ليس هناك طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة[1] .

ولا شك أن المرأة هى المدرسة الأولى التى يتربى فيها النشء فإذا ما فسدت هذه المدرسة فسد الجيل كله وتحول المجتمع المسلم إلى كومة من البشر مجردة من القيم الإسلامية الأصيلة ولهذا كان اهتمام المبشرين البالغ بمدارس البنات .

كما اهتموا بصفة خاصة بالحضانات وروضات الأطفال واعتبروا دخول طفل فى مدارسهم صيداً ثميناً لا يقدر بمال نظراً لما فى الأطفال الصغار من قابلية التشكيل بالشكل الذى يريدونه .

ولذلك يقول المبشر (جون موط) : يجب أن نؤكد فى جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار ، فهو عمدة عملنا فى البلاد الإسلامية ، وأن الأثر المفسد فى الإسلام يبدأ باكراً جداً !! من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية[2] من أجل هذا قام المبشرون بنشر الحضانات وروضات الأطفال فى أنحاء العالم الإسلامى ومنها : مدارس الفرير ومدارس راهبات سيدة الرسل ، ومدارس القديس يوسف ، وسوف نذكر فيما يأتى بعضاً من هذه المدارس والكليات الخطيرة المنتشرة فى مصر :

---

(١) عمر فروخ ص (٧٨) .
(٢) فروخ صـ (٦٨) .

أولا : كليات ومدارس أمريكية (تابعة للمذهب البروتستانتي) :

١ - كلية التجارة بالعطارين بالإسكندرية .
٢ - مدارس الأمريكان بالقاهرة .
٣ - مدارس الأسقفية الإنجليزية بسراى القبة .
٤ - الجامعة الأمريكية (التى أنشئوها لمزاحمة الأزهر) .
٥ - كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس .
٦ - مدرسة الأزبكية للبنات بالقاهرة .
٧ - كلية البنات الأمريكية بأسيوط .
٨ - كلية البنات الأمريكية بالأقصر[١] .

ثانيا : كليات ومعاهد تابعة للمذهب الكاثوليكي :

١ - المعهد الشرقى بدير الدومنيكان بالعباسية بالقاهرة .
٢ - معهد دار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة .
٣ - المعهد الفرنسى بالمنيرة .
٤ - مدارس الفرنسيسكان بالفجالة .
٥ - مدارس الفرير بالخرنفش[٢] .

ولهذه المدارس فروع فى كل أنحاء مصر .

ويراعى عند إنشاء هذه المراكز الأمور التالية :

١ - أن تكون فى موقع جغرافى ممتاز من البلاد ، وخذ على سبيل المثال الجامعة الأمريكية فهى فى قلب القاهرة فى ميدان التحرير كل الطرق توصل إليها بينما جامعة القاهرة فى منطقة نائية بالجيزة ولابد للوصول إليها من عبور النيل ، فإذا ما تعطلت المواصلات مثلاً فإن ذلك يؤدى إلى تخلف الطلاب عن محاضراتهم[٣] .

---

(١) إبراهيم خليل أحمد صـ (٢٩) .
(٢) السابق صـ (٥٣) .
(٣) السابق صـ (٥٦) .

٢ - المظهر العام - فلقد أعطيت هذه المدارس من الإمكانات ما جعلها تتبوأ المكانة الأولى فى قائمة المعاهد العلمية ، فأساتذتها على درجة عالية من الكفاءة وتطبق فى إدارتها أحدث النظم التربوية والإدارية ، ومبانيها على أحدث طراز وهيئة طلابها تسر الناظرين والتزامهم بالسلوك والآداب الاجتماعية يشد انتباه المتعاملين معهم . وكل هذا بهدف لفت أنظار المسلمين إلى هذه المؤسسات وانتمائهم إليها .

□ أهداف المدارس الأجنبية □

❋ كان الهدف من إنشاء هذه المدارس هو :

١ - بناء جيل جديد مهجن نصفه مسلم والنصف الآخر نصرانى ، فهو مسلم بشهادة الميلاد فقط لكنه يرفض الإسلام كتطبيق وواقع عملى ، كتربية وقوانين ، كقيم وتقاليد ثابتة .

وبمعنى أوضح فقد كان الهدف هو إنشاء أجيال جاهلة بربها ورسولها مجردة من أى معرفة بأحكام الكتاب والسنة ، أجيالاً تتنكر لشخصيتها الإسلامية ، وتبغض دينها ، وتجهل تقاليدها ، وتنظر إلى تاريخها الحافل بالأمجاد بنظرة الاحتقار ، وتعتبر حضارتها الرائعة شيئاً أكل عليه الدهر وشرب ، وتقتنع بأن ثقافتها قد تقادم عليها العهد ، وتؤمن بأن نظامها للفكر والعمل لا يصلح للعصر الحاضر ، ويترسخ فى ذهنها وقلبها ، أنه إذا كانت هناك معارف فهى التى تدون فى الغرب ، وإذا كانت هناك حضارة فهى التى مهدها الغرب وموجز القول : أنه إذا كان هناك شيء يتسم بالمثالية الجديرة بالتأسى ، وبالتصور الإنسانى الجدير بالتقدير والاعتناء فهو ما عند الغرب[1] .

ومن هنا يخرجون جيلاً بلا عقيدة يسهل توجيهه إلى أى اتجاه كان .

يقول « جُبْ » عن هدف هذه المدارس : « إنها لن تفرز إلا هياكل بشرية خالية من الفضائل والأفضال والأخلاق والمثل ، لأنها لتفريخ مسوخ آدمية متنكرة لدينها ووطنها وأبناء جلدته » ، ولا عجب فى ذلك إذ يكفي المرء أن يطلع على

---

(١) أبو الأعلى المودودى - بين يدى الشباب صـ (٣١) ط الرياض سنة ١٩٨٣

الدروس التى تلقن للطلاب ، والكتب التى يدرسونها ليعرف أى طعنة نجلاء توجه إلى فلذات أكبادنا ، وأى دس رخيص على الإسلام تحقن به أدمغتهم .

٢ - تغريب المجتمع الإسلامى ذلك أنهم فشلوا فى تنصير المسلمين ، فأرادوا أن يعوضوا عن ذلك بإنشاء الكليات الأجنبية وعن طريقها سوف تتسرب إلى المثقفين المسلمين الآراء والقيم والأفكار المسيحية ، ثم تنتقل منهم إلى سائر المجتمع الإسلامى .

٣ - إعداد قادة الرأى فى البلاد[١] فقد رسموا خطتهم على أساس أن يتولى خريجو هذه المدارس أسمى المناصب فى الدول الإسلامية ، وبهذا استطاعوا أن يسلموا مقاليد الحكم والتوجيه لأبناء صنعوهم بأيديهم فكانت النتيجة أن تنكر معظمهم للإسلام وهاجم الداعين إليه[٢] .

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى : « إن السياسة التى اتبعها الاستعمار فعلاً فى توظيف المتخرجين من هذا النظام فى تسيير دفة الحكومة ، وفى المجالات الاقتصادية على أنه قدر ما يكون المرء متجرداً من آثار الإسلام قدر ما يتقلد أرقى المناصب . ولا شك أن هذه السياسة الإجرامية لم تدون ولم تطبق فى شكل قانون ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى صياغتها وإدراجها فى لوائح الموظفين ، بيد أن الوضع السائد والتخطيط الإدارى كانا يتجهان جملة وتفصيلاً إلى أن الموظف كلما ينسلخ فى حياته العملية من الصبغة الإسلامية ، وينطبع بطابع الحياة الغربية كلما يجد الفرص مواتية والحظ حليفه فى إحراز التقدم »[٣] .

فهذه المدارس هى التى خرجت أمثال : كمال أتاتورك اليهودى الملحد ، الذى هدم الخلافة الإسلامية[٤] وسيد أحمد خان فى الهند الذى صبغ الهند الإسلامية بالصبغة الغربية ، وشاه إيران الذى فصل إيران عن الإسلام ، وحاول أن يجعلها قطعة من أوربا[٥] .

---

(١) عمر فروخ صـ (٧٩) .
(٢) د . محمد شامة - أثر البيئة فى ظهور القاديانية صـ (٥٨)
(٣) بين يدى الشباب صـ (٣٢) .
(٤) الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (٥١ ، ٥٣) .
(٥) السابق صـ (٧١ ، ١٣٧) .

وغير هؤلاء كثير من الذين قاموا بتحقيق ما عجز عنه أعداء الإسلام عن طريق القوة والقهر . ومن هنا يقول المسيو (آتين لامى) : « إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشاراً ، فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنائه هى تربية بنيه فى مدارس المسيحية ، وإلقاء بذور الشك فى نفوسهم من عهد النشأة ، حيث نفسد عقائدهم الإسلامية من حيث لا يشعرون وإن لم يتنصر منهم أحد ، فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين ، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الإسلام ، مما إذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها »[1] .

ومعنى هذا أن هذه المدارس إنما تخرج نوعاً من المنافقين الجدد الذين وصفهم القرآن بأنهم : ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ** ﴾[2] وبأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر . وهؤلاء حقاً أخطر على الإسلام من أولئك المرتدين الذين اعتنقوا النصرانية ، لأنهم بذلك قد حددوا مواقفهم ، ويستطيع المسلم أن يأخذ حذره منهم ، أما هذا الذى يدعى أنه مسلم ، وهو فى الواقع غير ذلك ، فإنه من أخطر ما يكون على المجتمع المسلم ، وهكذا استطاع النصارى بهذا الأسلوب الماكر أن يوجدوا للإسلام داخل حصنه المنيع عدوه اللدود ، لأنهم يوجهون النشء إلى التحلل من مبادىء الإسلام ، وإلى موالاة الغرب النصرانى وتقديسه ، وتلك هى أفضل الطرق لمحاربة الإسلام بأهله دون جلبة ولا ضوضاء ، لهذا قالوا : « إن تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد للإسلام عدوه اللدود[3] وقد نجحت هذه المدارس فعلاً فى إنشاء أجيال مخنثة ، تصل إلى أعلى الدرجات العلمية ، وهى لا تعرف أركان دينها ولا سننه ، ولا تعرف فروضه ولا واجباته ، بل إنها تعتبر كل ذلك نوعاً من التخلف والرجعية .

وقد فطنت بعض الجمعيات الإسلامية إلى خطورة هذه المدارس فأنشأت مدارس على غرارها فى الدقة والنظام والمظهر ، ولكنها تلقن الطالب أولاً مبادىء دينه وأصول عقيدته ، ومن هذه المدارس التى أنشأتها جمعيات الشبان المسلمين ومؤسسات الجمعية الشرعية والتى سدت عجزاً واضحاً فى هذا المجال ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق القائمين عليها إلى المزيد والانتشار كَماً وكيفاً .

وأخيراً فإننا نوجه نصيحة عامة إلى جمهور المسلمين :

(١) محمد عطية خميس ، مؤامرات على الأسرة المسلمة .

(٢) النساء [١٤٣] .

(٣) السابق .

إن الإسلام يحتم عليكم ألا ترسلوا فلذات أكبادكم إلى هذه المدارس الأجنبية التى تسلبهم دينهم وعقيدتهم . فقد حرم الرسول ﷺ أن يتلقى المسلم تعليمه على يد النصارى أو اليهود وقال :« **لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ** » فما بالك إذا اتضحت أهدافهم فى هدم الإسلام ، إن الجرم يكون أكبر والحرمة تكون أعظم . خصوصاً إذا وجد البديل الأفضل .

□ خصائص الدراسة في المدارس والجامعات الأجنبية □

تتميز الدراسة فى هذه المراكز التبشيرية بالخصائص التالية :

١ - الدراسة فيها دينية بحتة موجهة إلى خدمة المخططات التبشيرية ، فلم تهتم إطلاقاً بالتعليم العلمى التجريبى الذى يساعد على تقدم الأمم ونهضتها ، وإنما ركزت كل جهودها على التعليم النظرى المجرد . يقول (هنرى جب) : « إن التعليم فى مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح ، وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية ، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء .. فإننا لا نتردد فى أن نقول : إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى إلى مدى علمانى محض ، مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج لا الجمعيات التبشيرية التى تسعى إلى أهداف روحية فحسب »[١] .

ولذلك كانت هذه المدارس تجبر طلابها على دخول الكنيسة يومياً ، وعلى الاستماع إلى دروس التوراة والإنجيل حتى ولو كانوا مسلمين ، وحينما احتج طلاب الجامعة الأمريكية فى بيروت من المسلمين على دخولهم الكنيسة ، أصدرت الجامعة منشوراً قالت فيه : « إن هذه الكلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحى ، هم اشتروا الأرض ، وهم اقاموا الأبنية وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده فنعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ . وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقاً ماذا يطلب منه »[٢] ترك الإسلام واعتناق النصرانية !!

---

(١) عمر فروخ صـ (٦٧) .

(٢) د . محمد البهى - المبشرون والمستشرقون صـ (١٠) .

٢ – يدرس الطلاب كتباً تطعن فى الإسلام وتصور رسول الله ﷺ على أنه مجرد مدعٍ للنبوة وأن القرآن من عندياته وغير ذلك من وجوه الطعن والتشكيك[1].

٣ – لا تخضع الدراسة فيها للمنهاج الرسمى لمدارس البلاد الإسلامية ولا تهتم بالناحية الوطنية للبلاد بل هى على العكس تحاول أن تنتزع الدارس من وطنه وتربطه بالغرب المسيحى ، وتبعده عن الإسلام بقدر ما تقربه من النصرانية وتحببه فى حضارة الغرب بقدر ما تبغضه فى حضارة الشرق[2]

فالطالب الذى يتخرج من هذه الجامعات ، بالإضافة إلى فقدانه لدينه ، يفقد حبه لوطنه ، ونسأل أى طالب تخرج من معهد فرنسى أو أمريكى عن أى أنهار أمريكا وفرنسا عن صادراتها ووارداتها ، عن أدبائها وشعرائها عن تاريخها وماضيها سوف يجيب على الفور . ولكن نسأله عن أقرب بلد إسلامى إليه . بل نسأله عن البلد الذى تربى فيه ، نسأله عن تاريخ الإسلام عن صحابة رسول الله ﷺ عن أبطال الإسلام العظام عن مفكريه وأدبائه ، نجده جاهلاً كل الجهل بكل هذا ، وهنا مكمن الخطورة فهذه المدارس الأجنبية فى العالم الإسلامى إنما تشكل استعماراً من نوع جديد ، هو الاستعمار الروحى والفكرى ، ولذلك يقول أحد المفكرين المسلمين : « لا يجب أن نفرح بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلادنا ، بل يجب أن نبتهج ونفرح بجلاء المعاهد الأجنبية عن تفكيرنا وأرواحنا ، فالجلاء عن الفكر والروح هو الجلاء الحقيقى »[3].

٤ – المعلمون فى هذه المدارس من الأجانب ، وإذا دعت الحاجة إلى معلم وطنى فليكن مسيحياً فى الدرجة الأولى ، ولكن يجب أن يكون متمرناً على التبشير وتحاول هذه المدارس بقدر ما تستطيع الاستغناء عن المدرس المسلم .

وإذا احتاجت إليه فله معاملة خاصة وتحركاته ومحاضراته تقع تحت رقابة شديدة منهم ، يقول المبشر (دانى) : « ثم يتسع الشك على كل حال حينما نأتى إلى استخدام معلم غير مسيحى ليعلم موضوعات لا نجد لتعليمها معلماً مسيحياً ، مهما كانت براعته لأنه لا يتفق مع أهدافنا فى التبشير بالمسيحية بين الطلاب »[4].

(١) راجع صـ (٧٢ ، ٧٤) من عمر فروخ .

(٢) د . يوسف القرضاوى – الحلول المستوردة صـ (٢٣) .

(٣) راجع صـ (١٥) من كتاب ظلام من الغرب للشيخ محمد الغزالى .

(٤) راجع صـ (٦٨) من فروخ .

□ خطورة الكليات الأجنبية في العالم الإسلامي □

بالإضافة إلى خطورة هذه الكليات على الإسلام . والتى بيناها فيما مضى هناك أخطار أخرى تتمثل فيما يأتى :

أولاً : خطورتها على الوحدة الوطنية والإسلامية

فقد قامت هذه الكليات بحمل لواء الدعوة إلى القوميات والعصبيات التى مزقت العالم الإسلامي[1] .

وقد حدث هذا فى لبنان عن طريق الجامعة الأمريكية هناك ، فقد نشأ فى ظل هذه الجامعة (أنطون سعادة) مؤسس الحزب القومى السورى الذى نادى بالنعرات القومية التى تفرق بين أبناء الوطن الواحد ، ومن خلال الكلية اليسوعية الفرنسية خرج حزب الكتائب وتبنى دعوة مضادة وقال : إن اللبنانيين أمة منفصلة عن الأمة السورية . وحاول إحياء القومية الفينيقية ، وحدث بين الحزبين ما حدث من المناوشات والمعارك الصحفية التى تكشفت من خلالها خطورة الجامعات الأجنبية فى الدول الإسلامية . فقد جاء فى جريدة العمل – لسان حال منظمة الكتائب – ما نصه : « ولكم أشرنا إلى أن فى الجامعة الأمريكية فى بيروت بؤرًا ملأى بالدَّسِ على لبنان وكيانه ، إن أكثر الضالين اللبنانيين ضلوا بين أحضانها إن المحنة التى اجتازتها البلاد ينبغى ألا تجدد ولو اقتضى الأمر اعتقال كل اللاجئين الأشرار (أساتذة الجامعة) وإلى إقفال الجامعة الأمريكية »[2] .

وهكذا نستطيع أن نصل إلى جذور المأساة الحالية فى لبنان أنها الكليات الأجنبية التى مزقت أبناء الوطن الواحد فكرياً وأشاعت الفرقة بينهم ، وهذا هو دورها فى كل بلد إسلامى لذلك يجب على المسلمين فى أنحاء الأرض إغلاق الجامعات الأجنبية – والاكتفاء بالجامعات الوطنية – لأن الجامعة أداة توجيه فلا ينبغى أن تكون فى يد أجنبى لأنه يعمل دائماً وأبداً لصالح وطنه لا لصالح أوطان المسلمين .

يقول الدكتور عمر فروخ : « لقد تعثر الشرق فى حياته السياسية والقومية لأن المدارس الأجنبية المختلفة قد مزقت أبناء الوطن الواحد طوائف مختلفة فشتتت أهدافهم

---

(١) راجع صـ (٢١١) من الفكر الإسلامي للمحادى .

(٢) عمر فروخ صـ (٩١) وما بعدها .

وباعدت بين الطرق إلى تلك الأهداف ، إن التعليم قوة توجيهية عظيمة فلا يجوز أن تكون فى أيد أجنبية تلعب بها وتستغلها لمآرب وأغراض أجنبية ، إن التعليم الوطنى الموحد ، ولو كان ناقصاً بعض النقص أفضل من التعليم الأجنبى المتنافر ولو كان كاملاً كل الكمال »[1] .

ثانيا : خطورتها على الأمن القومي :

فقد استخدمت هذه الكليات الأجنبية بمختلف مذاهبها وجنسياتها فى أعمال التجسس على العالم الإسلامى ، وكانت الجامعة الأمريكية فى مصر وفى لبنان مصدراً أساسياً لنقل المعلومات وأحوال البلاد إلى أعدائها من النصارى واليهود ونحن لا نلقى الدعوات على عواهنها وإنما هى اعترافات أحد رجال المخابرات الأمريكية .

يقول مايلزكوبلاند : « وكانت الجامعة الأمريكية فى بيروت ومثيلاتها فى إستانبول (روبرت كولدج) وفى القاهرة (الجامعة الأمريكية) تمارس التأثير المباشر والرئيسى على المنطقة فيما يختص بالمصالح الأمريكية »[2] .

ونكتفى بهذا القدر من بيان خطورة المؤسسات التبشيرية الموجودة فى العالم الإسلامى ، ونحاول أن نلقى ضوءاً سريعاً على النتائج العامة لحركة التبشير .

□ نتائج حركة التبشير □

لا شك أنه كان للتبشير نتائج وآثار فى غير بلاد المسلمين تختلف تماما عنها فى بلدان العالم الإسلامى .

فقد استطاعوا فى غير البلدان الإسلامية والعربية أن يستغلوا جهل الناس وتأخرهم وفقرهم وحاجتهم وخصوصاً فى الشرق الأقصى « الهند والصين » وفى أواسط أفريقية ، فقد أعلن الهولنديون عن تنصير مائة ألف فى جاوا وأربعين ألفاً فى أميون[3] وهناك أعداد غفيرة دخلت فى النصرانية من الدول الأفريقية ، كما نجح المبشرون فى تنصير أربعة أخماس الفلبينيين ، ثم اتجهوا إلى جزر أندونيسيا يحملون الخطة ذاتها ، وقد محوا المعالم

---

(١) السابق صـ (١١٢) .
(٢) لعبة الأمم صـ (٢٦) .
(٣) أحمد عبد الوهاب صـ (١٤٢) .

الإسلامية من (سنغافورة) وهناك خطة موضوعة لإزالة الإسلام من أفريقية مع نهاية القرن العشرين ويشرف على تنفيذ هذه الخطة بابا الفاتيكان الذى يتابع بنفسه مدى نجاح الخطة المرسومة[1] وقد ورد فى بعض التقارير التبشيرية التى نشرت أخيراً نتائج حركة التبشير فى أفريقيا وسوف ننقل بعضاً من فقرات هذا التقرير لكى نكون على بينه من أخطار حركة التبشير .

« سوف تكون سنة ٢٠٠٠ فخراً لأفريقيا دون بقية القارات الأخرى إذ يصبّح أكثر سكانها من المسيحيين ، لأن النسبة الحالية للارتداد إلى المسيحية قد بلغت مليون نسمة سنوياً باستمرار » .

« إن الإحصاء العددى لسكان أفريقيا سنة ١٩٧٦ بما فيهم عرب الشمال بلغ ٤٣١ مليون نسمة ، والكنيسة الكاثوليكية تملك مليوناً ونصف مليون كنيسة فى جنوب أفريقيا وأعضاؤها يبلغون ٤٦ مليونا حسب إحصائية قام بها الفاتيكان »

« فى الحبشة يباشر العمل فى محطة الإذاعة نفر من الأخصائيين وصوت راديو (إذاعات الإنجيل) مجهزة بأشرطة التسجيل ويعمل فى كل الميادين ويذيع فى الاستديوهات الفرعية الصغيرة فى كل من أثيوبيا وأفريقيا الجنوبية الغربية والكاميرون وإمبراطورية أفريقيا الوسطى ومدغشقر ونيجيريا وتنزانيا وتملك المؤسسات التبشيرية فى أفريقيا عشر طائرات إرسالية مهماتها نقل الأطباء والممرضات لعلاج المرضى فى الأحراش وقد أنشأت خمسة عشر مستشفى »[2] .

هذه بعض نتائج التبشير وإمكانياته فى مجاهل إفريقيا الوثنية .. وإن كانت معظم البلدان التى اعتنقت النصرانية مع الغزو العسكرى لها على وشك خلع العقيدة النصرانية لأنها فى نظرهم جزء أصيل من السيطرة الاستعمارية[3] .

أما فى العالم الإسلامى فقد أخفقوا تماماً فى تحقيق أهم أهدافهم وهو نقل المسلمين إلى النصرانية اعتقاداً وعملاً . فقد كان الإسلام هو العدو الأول للمبشرين كما قال المبشر (بلس) « إن الدين الإسلامى هو العقبة القائمة فى طريق تقدم التبشير بالنصرانية فى أفريقيا ، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا ، لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من

---

(١) الشيخ محمد الغزالى – هموم داعية ص ٥٣ وقارن ص (١٥٧) أيضاً حيث يشير إلى أن الفلبين كانت مجموعة جزر تابعة لأندونيسيا وكانت إسلامية مائة فى المائة ثم تغلغل فيها الغزو النصرانى حتى وضع عليها اسم « فيليب » ملك أسبانيا فأصبحت الفلبين .

(٢) راجع صـ (٩٨ ، ١٠٢) من كتاب الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر للشيخ الغزالى .

(٣) فروخ صـ (٢٥٥) .

جهل السكان ولا من وثنيتهم وخصمنا الوحيد هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ فى أفريقيا »[١] .

وقد جاء فى تقرير اللجنة المنبثقة عن مؤتمر أدنبرج عن حالة الإسلام فى أفريقية ما نصه : « إن الموقف صار فيه حرجاً لسرعة تقدم الإسلام من مركزه الواسع فى الشمال ومواقعه التى فى السواحل إلى الجنوب والغرب الأفريقى ، والمبشرون كانوا قد أخطئوا فى تقديراتهم السابقة لأنه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التى كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة هى إما إسلامية محضة وإما أنها على أهبة الدخول فى الإسلام[٢] .

وهكذا يتبين لنا استحالة وصول المبشرين إلى أهدافهم مع وجود المسلمين المتمسكين بإسلامهم ، أو على حد تعبير المفكر الألمانى باول شمتز : « حينما حل الإسلام ضاعت جهود المبشرين المسيحيين وفقدوا الأمل فى تحويل روح وثنية إلى المسيحية »[٣] .

ونحن لا ننكر أن المبشرين قد نصروا بعض المسلمين فى سورية ولبنان[٤] وبعض أفراد فى دول أخرى من العالم الإسلامى ولكن هؤلاء الذين تنصروا باعتراف المبشرين أنفسهم لم يكونوا مسلمين حقيقة وإنما كانوا واحداً من ثلاثة :

١ – إما صغيراً لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ؟ وهؤلاء هم الذين تربوا فى دور الحضانة وفى الملاجىء النصرانية من أبناء الإسلام .

٢ – وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوت يومه وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

٣ – وإما صاحب مصلحة يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية[٥] نعم فشل المبشرون فى تنصير مسلم واحد من أولئك المتمسكين بإسلامهم ، ولكن علينا أن نتذكر أن تنصير المسلمين لم يكن هو الهدف الأوحد ، وإنما كانت هناك أهداف أخرى ، ونحن نعترف أنهم حققوها بالفعل وهى : محاولة إبعاد المسلمين عن إسلامهم بالدعوة إلى العلمانية والتغريب ، وطبع المجتمعات الإسلامية بالطابع الغربى ، وبذلك تبعد عن الطابع الإسلامى .

---

(١) الغارة صـ (١٥) .
(٢) السابق صـ (٤٧) .
(٣) الإسلام قوة الغد صـ (٣٥١) .
(٤) فروخ صـ (٥٣) .
(٥) الجبهان صـ (١٠٥) .

إن هذه هى المهمة الكبرى التى أشار إليها (زويمر) بقوله : « لقد أعددتم فى ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار .. لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه فى دنياه إلا للشهوات .. إن مهمتكم قد تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا فى أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله »[1]

إن قلب المسلم ليتمزق حين يقرأ هذه الحقائق ويقارنها بحال المسلمين فيجدها منطبقة تماماً عليهم ، فقد انهدم الإسلام فى قلوب المسلمين ، وانقطعت صلتهم بالله ، وحولهم التبشير إلى مسخ آدمية لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ، وهى بعيدة عن حقيقته ورسمه[2] وإننا لنحمل المسئولية كاملة لأجهزة الإعلام فى وصول المسلمين إلى ما وصلوا إليه ، حيث تبنت هذه الأجهزة وجهة نظر الغرب فى كل شىء وضربت عرض الحائط بحقائق الإسلام وأصوله ؛ بل رفعت من أباطيل خصومه ألم يقل المبشرون : « إن الشجرة ينبغى أن يقطعها أحد أعضائها » ؟ وهنا ينبغى أن يتحرك المسلمون ويضعوا خطة منظمة لمواجهة حركة التبشير وقد قام بالفعل المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة والدعاة المنعقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - بوضع خطة محددة لإعداد الدعاة ورعايتهم[3] بحيث يتمكنون من مواجهة حركات التبشير ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن توضع هذه الخطة موضع التنفيذ حيث إن التبشير مازال مستمراً وعلى أشده .

---

(١) السابق صـ (١٠٧) .

(٢) ويستثنى من ذلك بعض المسلمين الذين يقبضون على دينهم كما يقبضون على الجمر فى هذه الأيام . إلا أنهم قلة قليلة فى مواجهة الكثرة الكثيرة التى جرفها تيار التغريب .

(٣) الفكر الإسلامى للجندى صـ (١٩٩) .

□ من التبشير إلى الاستشراق □

وعلى أية حال فقد حاول أعداء الإسلام أن يغيروا خطتهم بعد أن انكشفت خيوطها ، فقد أحس دعاة النفوذ الأجنبى بأن عمل التبشير المكشوف السافر قد أزعج العالم الإسلامى ولقى مواجهة كبيرة ، ومن هنا فكر أعداء الإسلام فى تغيير سلاح التبشير بسلاح جديد هو : الاستشراق الذى يحقق أهداف التبشير ، ولكن بطريقة أكثر ليونة ومرونة ومكراً[1] .

ومع أن التبشير كان يسير مع الاستشراق جنباً إلى جنب ، إلا أن التبشير يسبق الاستشراق فى فترة الازدهار حيث ازدهر قبل الاستشراق – وبعد أن انكشفت أبعاده كان أزدهار حركة الاستشراق التى حملت نفس أهداف التبشير مع تغيير فى الأسلوب وخطة العمل فالهدف واحد وهو تسميم وإفساد عقول المسلمين ، وإبعادهم عن الإسلام إلا أن التبشير وجه جهوده إلى عامة المسلمين بينما حاول الاستشراق أن يوجه جهوده إلى المثقفين منهم ، وكلاهما بعد ذلك مشى فى ركاب الاستعمار يمهد لدخوله ، ويمكن لبقائه مع خلاف فى الأسلوب فقط ، ذلك أن الانسان لا يستطيع أن يستخدم سلاحاً واحداً مع أعدائه لفترة طويلة ، وإلا فإن الأعداء سوف يكشفون أسرار هذا السلاح ويعدون العدة لإبطال مفعوله ، من هنا كان عليهم أن يستبدلوا سكين التبشير بسكين الاستشراق الذى سنفصل خيوطه فيما يأتى :

---

(١) أحمد أمين – فجر الإسلام صـ (١٢٤) .

الفصل الثالث

□ الاستشراق □

الاستشراق هو حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة والثقافة الإسلامية بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاهم وأسباب تفوقهم وقوتهم :

✵ لضرب هذه القوة من جهة ..
✵ والاستفادة من علوم المسلمين من جهة ثانية .
✵ والتمهيد للاستعمار النصرانى لدول العالم الإسلامى وإخضاعها لنفوذه وسلطانه من جهة ثالثة .

وسوف نتحدث فيما يأتى عن تاريخ الاستشراق وأهدافه ، ومنهج المستشرقين ووسائلهم ونتائج أعمالهم .

□ تاريخ الاستشراق □

الاستشراق كحركة منظمة - لها أهداف محددة ومنهج معين - هو وليد العصور الحديثة إذ ترجع نشأته إلى القرن الثامن عشر .

غير أن الاستشراق كأسلوب مواجهة فردية للإسلام ظهر قبل هذا التاريخ بكثير إذ ترجع البدايات الأولى له إلى القرن الأول الهجرى ، فقد استرعى الإسلام انتباه أعداءه منذ ظهوره فحاولوا الوقوف أمامه بكل ما يستطيعون ، ولا أدل على ذلك من أن يوحنا الدمشقى ٦٧٦ - ٧٤٩ م ٦٦ هـ قد درس الإسلام وكتب كتابا فى المجادلة بين المسلم والنصرانى[1] ثم ظهر من بعده القديس (كيراس) الذى عنى بالقرآن وترجم بعض آياته كما ظهر (بيترفيل) فى القرن الحادى عشر الميلادى وقد ترجم القرآن كاملاً وبعد هذا كانت هجرة العلماء النصارى المنظمة إلى الأندلس للبحث عن العلم والثقافة عند المسلمين وراحوا ينقلون المخطوطات الإسلامية إلى اللغة اللاتينية والتى كانت وراء نهضتهم وتقدمهم . وكانت هذه هى البواكير الأولى لحركة الاستشراق .

❊ ومع الحروب الصليبية نهب النصارى المكتبات الإسلامية ونقلوها إلى الغرب ، وحين فشلت هذه الحروب اتجهت أنظار الاستعمار الغربى إلى حركة الاستشراق .

فقد جعل منها أداة لخدمة مخططاته ، ورصد لها الميزانيات وحدد لها الواجبات .

❊ وقد تشكلت أول جمعية علمية للاستشراق فى باريس سنة ١٨٢٢ ثم تشكلت من بعدها الجمعية الملكية فى بريطانيا وأيرلنده ١٨٢٣ والجمعية الأمريكية سنة ١٨٤٢ والألمانية سنة ١٨٤٥ .

❊ بدأ المستشرقون ينظمون المؤتمرات الدولية بهدف التنسيق بين جهودهم وتوثيق أواصر التعاون بينهم ، فقد عقد أول مؤتمر دولى للمستشرقين فى باريس سنة ١٨٧٣ م وتلاه عدد كبير من المؤتمرات بلغت ثلاثين مؤتمراً ولا تزال هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم[١] .

❊ ولم يقف الاستشراق عند حد الغرب النصرانى ، بل إن الشرق الشيوعى أيضاً قد شكل جمعية للمستشرقين تحت عنوان (رابطة تحرير الشرق) أسسها سنة ١٩٢٠ م واعتبرها مدرسة علمية لتخريج الطلائع المبشرة بالشيوعية فى العالم الإسلامى ففى هذه المدرسة يدرس حملة الشيوعية لغات الشرق الإسلامى من أجل الدعوة إلى الشيوعية فيها[٢] .

❊ ويكفى أن نعلم أن فى أمريكا وحدها الآن حوالى خمسين مركزاً متخصصاً بالعالم الإسلامى ، ووظيفة هذه المراكز هى تتبع ورصد كل ما يجرى فى العالم الإسلامى من أحداث ثم دراسته وتحليله مع أصوله التاريخية ومنابعه العقدية ، ثم مناقشة ذلك مع صانعى القرار السياسى ومن ثم تبنى على أساس ذلك الخطط والاستراتيجيات ، وتحدد الوسائل الملائمة لضرب الاسلام[٣] .

---

(١) د . محمود حمدى زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية صـ (٤١ - ٤٢) .

(٢) الإسلام قوة الغد صـ (٢٤٥) .

(٣) عمر عبيد حسنة - مقدمة الاستشراق والخلفية الفكرية صـ (٨) .

□ أهدافه ودوافعه □

للاستشراق أهداف كثيرة منها الدينية ، والاستعمارية ، والعلمية ، والاقتصادية والتجارية وسوف نلقى ضوءاً سريعاً على هذه الأهداف :

١ - الأهداف الدينية :

لقد أذهل النصارى المد السريع للإسلام والذى زحف على المعاقل المسيحية وطرق أبوابها ، ومن هنا فكرت البابوية فى روما فى مواجهة هذا الزحف عن طريق الاستشراق فدفعت بالرهبان والقسس إلى دراسة اللغة العربية[١] والعلوم الإسلامية لكى يحققوا غايتين :

الأولى : انتزاع مقومات الفكر الإسلامى وذلك بالتشكيك فيه ، وإثارة الشبهات حوله ، كوسيلة لفرض الثقافة الغربية التى تحاول تطويق الثقافة الإسلامية وصهرها فى بوتقة الثقافة الغربية .

الثانية : محاولة إسقاط النفوذ الإسلامى وتطويقه حتى لا ينتشر فى أماكن أخرى من العالم الغربى .

٢ - أهداف استعمارية :

فمنذ فشل أسلوب القوة العسكرية أثناء الحروب الصليبية تبنى الاستعمار حركة الاستشراق واستعان بالمستشرقين واعتبرهم طلائعه الذين يتعرفون على الأفكار ويقومون بالدعايات ، وإثارة المنازعات وإشعال الخلافات ، كما قام المستشرقون بالتجسس على البلاد والتعرف على أحوالها ، وكتابة التقارير عنها ، لذلك نلاحظ أن كثيراً من هؤلاء المستشرقين لم يكونوا علماء بحق وإنما كانوا سياسيين ينفذون رغبات الاستعمار الغربى فالمستشرق (لويس ماسنيون) و (هانوتو) و (دوق دراكو) و (سانت هلير) وغيرهم كانوا أعضاء فى المجالس النيابية فى بلادهم وكانوا مستشارين لوزارة الخارجية فيها[٢] وبالإجماع فالمستشرقون فى جمهورهم لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً وقد يشذ عن ذلك أفراد[٣] .

---

(١) د . أحمد سمايلوفتش – فلسفة الاستشراق صـ (٤٩) .

(٢) أنور الجندى – الفكر الإسلامى الحديث صـ (٢٠٠)

(٣) السابق صـ (٢٤٢)

٣ - خدمة مخططات اليهود :

كذلك كان من أهداف حركة الاستشراق خدمة مخططات اليهود فى هدم الإسلام ، والتمكين لهم فى فلسطين عن طريق تشويه التاريخ العام ، وتأكيد حق اليهود فى فلسطين ، وذلك ما يشير إليه الدكتور محمد البهى رحمه الله بقوله : « إن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمته وإثبات فضل اليهود على الإسلام بادعاء أن اليهودية هى مصدر الإسلام الأول ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً ، ثم دولة ثانياً »[١] ولا يغيب عن بالنا أن المستشرقين هم الذين طرحوا على إنجلترا فكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فى مؤتمر لندن المنعقد فى سنة ١٩٠٧[٢] .

هذه هى الأهداف الأساسية لحركة الاستشراق وهناك أهداف أخرى جانبية منها : أهداف تجارية حيث إن بعض المرتزقة ربحوا مادياً من وراء طبع ونشر علوم المسلمين ومخطوطاتهم ، وهناك أهداف علمية : حيث إن الأروبيين أرادوا أن ينزعوا عن جهلهم وتخلفهم ، فأرسلوا المستشرقين لنقل العلوم الإسلامية والكشف عما تكنه هذه العلوم من كنوز ثمينة ، كما أنشئوا مراكز البحوث وكراسى اللغات وأقسام الآداب ، وشعب التاريخ والأديان ، كذلك أرسلوا البعثات العلمية المنظمة ، ومنها : البعثة الفرنسية برئاسة الأميرة (اليزابث) ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا ، والبعثة الإنجليزية برئاسة الأميرة (دوبان) ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة ويلز .

وقد استفادت أوربا من هذه البعثات العلمية فوائد لا تحصى ولا تعد حيث أصبح أفرادها بعد عودتهم شعلة علمية تضىء مجاهل أوربا .

وهناك عدد محدود من المستشرقين يعدون على أصابع اليدين كانوا يقصدون إلى أهداف علمية نبيلة تحاول البحث عن الحق لذاته وتدرس الإسلام بموضوعية ونزاهة إلى حدٍ ما ومن هؤلاء « موريس بوكاى » و « جوستاف لوبون » و « سجريد هونكة » و « توماس كاريل » و« توماس أرنولد » و« برناردشو » و « ليوبلدفاس » و « روجيه جارودى » و « هادريان ريلاند » و « يوهان . ج . رايسكة »[٣] .

---

(١) د . محمد البهى - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار صـ (٥٣٤) .

(٢) راجع صـ (٣٥) من « العدوان الصهيونى والقانون الدولى - شفيق الرشيدات .

(٣) راجع صـ (٣٧) وما بعدها من الاستشراق والخلفية الفكرية .

□ منهج المستشرقين □

درس المستشرقون الإسلام بكل صورة عقيدة وشريعة وفكراً ونظاماً وحضارة ومصادر وفلسفة . ودراسة الإسلام فى حد ذاتها شيء مفيد ولا تضره فى شيء لأنه حق ، والحق أحق أن يتبع ، فالإسلام كالجبال الراسيات ، ومهما افتروا عليه من أباطيل لن ينالوا منه شيئاً ، بل إنهم حينئذٍ و إياه كما يقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها　　　فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

نعم لا خوف على الإسلام من المستشرقين وإنما الخوف عليهم منه ، فحين يستقيم منهج الدراسة عندهم ، ويدرسونه دراسة موضوعية لابد أن ينتهى بهم الأمر إلى اعتناقه . إلا أن المستشرقين – فى دراستهم للإسلام – وقعوا فى كثير من الأخطاء المنهجية ومنها :

١ – إيمانهم بأفكار مسبقة :

فقد درسوا الإسلام وفى أذهانهم فكرة أساسية هى « أن الإسلام دين باطل لابد من هدمه والقضاء عليه ، فكان الواحد منهم يبدأ أبحاثه عن الإسلام بهذا الحكم الذى آمن به ، وهذا مخالف لمنهج البحث العلمى الذى يحتم على الباحث أن يبدأ بحثه وهو خال الذهن من الأحكام ثم يصل إلى أحكامه من خلال الأدلة والبراهين الواقعية .

أما حضرات المستشرقين ، فقد دخلوا ميدان البحث الإسلامى بضمائر مدخولة و لم تغامرهم أبداً نية التجرد للحق والإخلاص له ، بل إنهم كان يعز عليهم أن يقولوا كلمة الحق إن كان فيها ما ينصف الإسلام أو يكشف حقيقة من حقائقه .

يقول الدكتور حسين الهراوى : « إن للمستشرقين طريقة لا تشرف العلم ، وهى أنهم يفترضون فرضاً ثم يلتمسون أسبابه ، فإذا وجدوا فى القرآن آيات تتناسب فى معانيها مع غرضهم اقتبسوها ، وإذا وجدوا آيات لا تتناسب مع غرضهم تجاهلوها وقالوا إنها غير موجودة فى القرآن الكريم »(١) .

وقد يقول قائل إننا نستشهد على اتهام المستشرقين بكلام أعدائهم من المسلمين ولذلك ننقل من كلام المستشرق « هانوتو » قوله : « وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوربى على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامى وتصوره فى نفوس

---

(١) راجع صـ (٣٧) وما بعدها من الاستشراق والخلفية الفكرية .

معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية .. مع شرح مبادىء الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن قيمها الأصلية »[1] .

وهكذا يعترف واحد منهم بأنهم درسوا الإسلام بهدف تشويهه والانحراف به عن قيمه الأصلية ؛ بل ويشير المستشرق الفرنسى المنصف موريس بوكاى إلى أن معظم الناس فى الغرب قد تربوا على سوء فهم الإسلام والقرآن حيث حاول المستشرقون غير المنصفين أن يشوهوا صورة القرآن فى أعين الناشئة .

يقول بوكاى : « كنت أتعلم عندما كنت شابا أن محمداً هو الذى ألف القرآن ولقد قيل لى مرارا وتكرارا إن مؤلف القرآن قد جمع ببساطة قصصا من التوراة والإنجيل بشكل مختلف شيئا قليلا » . ويقول بوكاى : إنه ظل فترة على هذا الاعتقاد حتى درس الإسلام بنفسه فاكتشف زيف وتضليل هؤلاء المستشرقين[2] ، وإنه لأمر عجيب أن يدرس المستشرقون كل المذاهب والديانات بروح العلم والموضوعية اللهم إلا الإسلام .

حين درسوا البوذية والكونفوشيوسية وغيرها من الفلسفات البشرية وقفوا منها موقفاً عقلياً متزناً ، أما حين درسوا الإسلام فقد اختلت موازينهم العقلية والفكرية وعالجوا الإسلام لا على أنه موضوع بحث علمى ؛ بل كمتهم يقف أمام قضاته – غير العدول – بل إن بعضهم مثل دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة بأية صورة من الصور ويتلمس لإثباتها الأوهام والمعاذير الواهية .

وتذكرنا أساليب المستشرقين هذه بأساليب محاكم التفتيش التى أنشأها النصارى فى الأندلس والتى كانت تقوم على الإيمان بفكرة مسبقة لا سبيل إلى مناقشتها وهى قداسة آراء الكنيسة وتكفير كل من يخالفها حتى ولو كان على صواب وهكذا درسوا الإسلام وفى أذهانهم مقدمة ثابتة ، وهى أنه دين باطل وفى سبيل إيمانهم بهذه المقدمة ضربوا عرض الحائط بكل الأدلة الحسية والعقلية التى تهدم مقدمتهم ، وفى الوقت ذاته خلقوا من الوهم أدلة باطلة تؤيد دعواهم .

وما أصدق الشيخ محمد الغزالى حين يحكم على منهج المستشرقين فيقول :
« إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية فى البحث وهى أبعد

---

(١) راجع صـ (٢٢٣) من الفكر الإسلامى للجندى .

(٢) موريس بوكاى – « ما أصل الإنسان » صـ (١٧٧) ترجمة مكتبة التربية لدول مجلس التعاون الخليجى – الرياض .

ما تكون عن بيئة العلم والتجرد ، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه »[1] .

٢ - المصـــــادر :

لكى ندرس أية عقيدة من العقائد أو فكرة من الأفكار لابد من دراستها من خلال مصادرها الأساسية ولايصح دراستها من خلال مصادر الأعداء أو المصادر الثانوية ، ولكن المستشرقين فى دراستهم للإسلام لم يعتمدوا على الكتب الأساسية ، وإنما اعتمدوا على الكتب المدسوسة على الإسلام المليئة بالإسرائيليات والغرائب والخرافات ومن خلال ذلك يولدون ما يشاءون من النصوص التى يتصيدونها من مصادر تعجبهم باعتبار غايتهم ، ويُحمِّلون هذه النصوص مما لا تحتمل من المعانى متجاهلين مدى صحة هذه المصادر ومدى الثقة فيها ، فهذا شىء لا يهمهم ما داموا قد وجدوا فيها غاياتهم .

٣ - بالإضافة إلى خطـأ ثالـث :

وهو جهل معظمهم باللغة العربية ولأبعادها ومراميها ، بل إن بعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية من أمثال « سلفتردى ساس » و « أليس عرينان » و « جيراردمتر » .

يقول أحمد فارس الشدياق : « إن هؤلاء المستشرقين لم يأخذوا العلم عن شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً وتوثبوا فيه توثباً ، ومن تخرج فيه بشىء فقد تخرج على القسس ، ثم أدخل رأسه فى أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام فى رأسه ، وتوهم أنه يعرف شيئاً وهو يجهله وكل منهم إذا درس فى إحدى لغات الشرق ، أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها خبط عشواء ، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء وما كان بين الشبه واليقين حدث فيه وخمن ، فرجح منه المرجوح وفضل المفضول »[2] .

٤ - وهنـاك خطـأ رابـع :

وهو اعتبارهم أن المسلمين هم الإسلام فحكموا على الإسلام من خلال واقع المسلمين ، وفرق شاسع بينِ حال المسلمين وبين الإسلام . إن المنهج العلمى السليم يحتم

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطامع المستشرقين صـ (٨) .

(٢) السابق صـ (١٠) .

على الباحث أن يفرق تماماً بين النظرية وبين أسلوب تطبيقها ، فحقائق الإسلام شيء وتطبيق الحقائق من جانب المسلمين شيء آخر ، ومن ثم فإن أخطاء المسلمين فى التطبيق وبعدهم عن حقائق دينهم ينبغي ألا تحمل على الإسلام نفسه ، بل يبقى الإسلام فى النهاية هو الحكم على سلامة التطبيق أو عدم سلامته .

ولا يجب إطلاقاً أن تتخذ عصور التخلف الطويلة التى عاشها المسلمون دليلاً على قصور الإسلام نفسه[1] .

فالإسلام نظرية تدرس وتحقق ثم يحكم عليها بصرف النظر عن معتنقيها ، أما أن نأخذ من تأخر المسلمين وتخلفهم دليلاً على ضعف الإسلام وعدم صحته ، فهذا ما يأباه المنهج العلمى السليم . ومن أجل هذه الأخطاء المنهجية كانت معظم آرائهم عن الإسلام ضلالاً فى ضلال .

❋ فحين درسوا القرآن الكريم لم يروا فيه إلا أنه من عند محمد ، وأنه نقله عن أحبار اليهود ورهبان النصارى ، أو على حد قول المستشرق « جون شكلى » : إن الصحيح فى القرآن ليس جديداً والجديد ليس صحيحاً[2] .

❋ وحين درسوا السنة النبوية المطهرة لم يروا فيها إلا أنها موضوعة بيد الصحابة والتابعين[3] .

❋ وحين درسوا الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى ، لم يروا فيه إلا أنه مأخوذ من الفقه الرومانى .

❋ وحين درسوا الفلسفة الإسلامية لم يروا فيها إلا أنها الفلسفة اليونانية منقولة بلغة عربية[4] .

❋ وحين درسوا اللغة العربية لم يروا فيها إلا أنها لغة ميتة لا تساير الحياة والتطور ، وهكذا نظروا إلى الإسلام بعين السخط التى لا ترى إلا العيوب والمساوىء .

---

(١) راجع صـ (١٤) من حتمية الحل الإسلامى د . أبو المعاطى أبو الفتوح .

(٢) عمر فروخ صـ (٤٠) .

(٣) راجع كتاب العقيدة والشريعة – لجولد زيهر صـ (٣٣) ترجمة د . محمد يوسف موسى وقارن « دفاع عن العقيدة للشيخ محمد الغزالى فقد هدم كل ما ادعاه جولد زيهر من افتراءات .

(٤) راجع « الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والتقليد » رسالة دكتوراه لصديقنا الدكتور محمود عبد المعطى بركات .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدى المساوىء

وهكذا أعماهم الحقد عن الوصول إلى الحق . ونقولها بكل صراحة نحن لا نخشى على الإسلام من المستشرقين لو اتبعوا المنهج العلمى السليم ، لأن من اتبع هذا المنهج منهم انتهى به الأمر إلى الارتماء فى أحضان الإسلام والإيمان به .

ونذكر بكل فخر واعتزاز آخر هؤلاء هو المستشرق الفرنسى « روجيه جارودى » الذى ترك النصرانية واعتنق الماركسية ثم بحث فى الإسلام بحثاً موضوعيا فانتهى به البحث إلى اعتناق الإسلام ، وكان إسلامه صدمة لكل الدوائر المعادية للإسلام من الشيوعية إلى الصليبية واليهودية ، ومن قبله سار فى نفس الطريق « ليوبلدفاس » الذى أسلم وسمى نفسه محمد أسد ، وعالمة الذرة الأمريكية « كريستينا » ، والصحفى الأمريكى الذى أسلم وتحول إلى داعية للإسلام حيث أنشأ صحفاً للدعوة الإسلامية ، والفيلسوف الفرنسى « أتين رينيه » ، والشاعر الألمانى « جوتيه » ، و « رينيه جينون » ، والدكتور « جرينييه » الذى كان عضوا بمجلس النواب الفرنسى[1] .

كل هؤلاء مستشرقون درسوا الإسلام بمنهج علمى سليم فوجدوا فيه بعد سنين طويلة من البحث والتنقيب ، أمنيتهم الغالية فقرروا أن يتحرروا من موروث عقائدهم الباطلة فكفروا بها وآمنوا بأنه « لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

□ وسائل المستشرقين □

سلك المستشرقون طرقاً عديدة فى الوصول إلى أغراضهم منها التدريس الجامعى ، وجمع المخطوطات العربية والتحقيق والنشر والترجمة بالإضافة إلى الاشتراك فى المجمعات اللغوية والمجامع العلمية فى العالم الإسلامى ، فقد اشترك أخطر المستشرقين على الإطلاق وهم « جب وماسينون ونيكلسون ومرجليوث » فى المجمع اللغوى بمصر ، وكذلك المجمع العلمى بدمشق الذى كان يجمع أمثال « وجويدى » الإيطالى « وجى سو » « ونالينو » الإيطالى « وهارتمان » الألمانى .

(١) لماذا أسلم هؤلاء ؟ للأستاذ أحمد حامد .

وهم يعملون فى هذه المجمعات وفق مخطط مدروس للحط من قيمة الفكر الإسلامى[1] .

ولكن أخطر وسائلهم على الإطلاق كانت هى التأليف حيث ألفوا كثيراً من الكتب التى تطعن فى الإسلام ومنها كتاب (حياة محمد) للسير وليم مور (والإسلام) تأليف الفردجيوم و (الإسلام) لهنرى لامنس (ودعوة المآذنة) تأليف « كينيت كراج » وترجمة القرآن « لآربرى » (والإسلام) « لصموئيل زويمر » ومصادر الإسلام « لتسدل » وسوف نلقى ضوءاً سريعاً على أخطر الكتب التى بثها المستشرقون على الإطلاق : وهى دائرة المعارف وقاموس المنجد والموسوعة العربية الميسرة .

١ - دائـرة المعـارف الإسـلامية :

وهو معجم ألفه المستشرقون لخدمة النصرانية واليهودية حيث إنهم لم يتركوا شيئاً من عقائد الإسلام ولا شرائعه إلا وصوروه لقرائهم بما يخالف الصورة الصحيحة فى كثير من الوجوه ومالم يشوهوه من الحقائق عرضوه بصورة عادية لا مزية فيها وفى هذه الدائرة كثير من العيوب العلمية والتاريخية المغرضة .

وبالإجماع فإن هذه الدائرة لا تصلح مصدراً لاستقاء معلومات عن الإسلام لا من المسلمين ولا من غيرهم .

٢ - قـامـوس المنجـد :

وهو طافح بالتعصيب والحقد على الإسلام وبه مايقرب من أربعمائه خطأ تاريخى وعلمى .

٣ - الموسـوعة العربيـة الميسـرة :

وهى تعرض المعلومات الإسلامية بصورة ضعيفة وفاترة بالإضافة إلى عناصر تشويه التاريخ بهدف خدمة المخططات الصهيونية حيث تعبر عن وجهة نظر اليهود فى كثير من المسائل .

هذا بالإضافة إلى كتاب يقظة العرب الذى ألفه جورج أنطونيوس وكتاب شمائل المصريين الذى وضعه أدوارد وليم . وقد نبهنا إلى خطورة هذه الكتب نظراً لأن أدوات

---

(١) إبراهيم خليل أحمد صـ (٦٢) .

الاستشراق قد روجت لها وجعلتها المصادر الأساسية لمن يكتب فى الإسلام وللأسف إنا نجد هذه الكتب فى كل المكتبات العامة وفى المعاهد التى يتعلم فيها أبناؤنا ومن هنا يكون الخطر لأن هذه الكتب مسمومة ، ولأن قارئها إن لم يكن واعياً بخطورتها سوف تتشكل مفاهيمه بصورة معارضة لحقائق الإسلام[1] .

□ آثار الاستشراق ونتائجه □

كان لحركة الاستشراق بعض الآثار المفيدة والتى تمثلت فى إحياء المخطوطات العربية وطبع الكثير من كتب التراث الإسلامى وتحقيقه ونشره أو ترجمته إلى اللغات الأجنبية إلا أن الآثار السيئة لهذه الحركة كانت من أخطر ما يكون على المسلمين ومنها :

أولاً : الغزو الفكرى الذى أصاب المسلمين فى دينهم فحولهم إلى مسخ آدمية لا تحمل من الإسلام إلا الاسم .

فقد جعلهم الغزو الفكرى يقلدون الغرب النصرانى فى عاداته وتقاليده وثقافته وفكره ونظمه وقوانينه وبذلك قضى على العادات والتقاليد الإسلامية والتشريعات الإسلامية وكان هذا الأثر من أخطر الآثار على الإطلاق فلم يكسب اليهود معاركهم معنا إلا حين أفلح هذا الغزو الفكرى فى زحزحة المسلمين عن دينهم وتمييع قيمه ومثله وأحكامه .

ثانياً : كما فرخ المستشرقون (دعاة التغريب والدعارة الفكرية) .

أولئك الذين خرق الفكر الغربى الاستشراقى عقولهم ووطأها بقدمه وشكلها بالطريقة التى يحبها حتى كانوا هم المستشرقين المسلمين . ولدوا فى بلادنا هذا ولكن عقولهم وقلوبهم تربت فى الغرب ونمت أعوادهم مائلة إليه فهم أبداً تبع لما جاءوا به[2] .

وكانت هذه خطة المبشر الخبيث زويمر « إن الشجرة ينبغى أن يقطعها أحد أعضائها إن خبرة الصيادين تعرف أن الفيلة لا يقودها إلى سجن الصياد الماكر إلا فيل عميل اتقن تدريبه ليتسلل بين القطيع فيألفه القطيع لأن جلده مثل جلدهم ويسمعون له لأن صوته يشبه صوتهم فيتمكن من التغرير بهم وسوقهم إلى حظيرة الصياد »[3] .

---

(١) راجع صـ (١٦) وما بعدها من سموم الاستشراق - أنور الجندى .
(٢) الشيخ محمد الغزالى « ظلام الغرب » صـ (٣) .
(٣) راجع صـ (١٣٣) من الغزو الفكرى لجلال كشك .

وكان هؤلاء الفيلة العملاء وكان المسلمون هم الضحية وكانت الحظيرة هى الفكر الاستشراق الذى وقعنا فيه ومن هؤلاء العملاء المأجورين « جورجى زيدان فرح أنطوان ، شبلى شميل ، يعقوب صروف ، على عبد الرازق ، طه حسين أحمد أمين ، قاسم أمين ، توفيق الحكيم ، أمين الخولى ، زكى نجيب محمود ، عاطف العراق ، زكى مبارك ، لويس عوض ، سلامه موسى ، حسين فوزى ، محمد التابعى ، وكثير من الصحفيين فى العالم الإسلامى .

وقد كانت الخطة اللازمة لإعداد هؤلاء العملاء تستلزم أن تسلط عليهم أجهزة الإعلام بمختلف فروعها من صحافة ومجلات ودوريات وإذاعة وتلفزيون أضواءها دائما ، فكانوا ينبون وينشئون بالطريقة التى يبنى بها نجوم التمثيل والرقص والغناء ، بالمداومة على الإعلان عنهم ، والإشادة بهم ، وإسباغ الألقاب عليهم ونشر أخبارهم وصورهم ، وذلك فى الوقت الذى يهمل فيه الكتاب المسلمون الملتزمون الذين يمثلون الفكر المضاد للحركة الاستشراقية الماكرة[١] .

ما مهمــة هــؤلاء ؟

المهمة هى أنهم سفراء للمستشرقين يقومون بعملهم فى العالم الإسلامى خير قيام حتى أننا لم نقرأ فكرة لمستشرق غربى عن الإسلام إلا وجدنا واحدا من هؤلاء وأمثالهم :

- يتبنى هذه الفكرة فى إخلاص .
- يدافع عنها بإصرار واستماتة .
- ويتفنن فى الدعوة إليها بكل الطرق والوسائل .

وذلك كما فعل طه حسين حين ادعى فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » أن الإسلام دين محلى لا دين عالمى ، وأنه من وضع محمد ﷺ ولا صلة له بالسماء ؛ بل وضعه محمد ﷺ متأثراً بالبيئة التى عاش فيها ، وهو بهذا يردد أفكار المستشرق الإنجليزى « جب » ويتفق مع جوهر كتابة المسمى « المذهب المحمدى » .

كما ردد فى هذا الكتاب أيضاً أفكار المستشرق اليهودى جولد زيهر فى تأثر الإسلام باليهودية[٢] .

---

(١) د . محمد محمد حسين – الإسلام والحضارة الغربية صـ (٤٨) بيروت سنة ١٩٨١ م .

(٢) راجع صـ (٢٦) من الشعر الجاهلى لطه حسين .

كذلك وردت فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) أفكار المستشرقين التى تهدف إلى فصل العالم الإسلامى عن الإسلام وطبعة بالثقافة الغربية[1] وهذا هو السر فى أن المستشرقة اليهودية (آيلز) وغيرها قد مدحوا طه حسين كثيرا ، لأنه صنع من نفسه بوقاً لهم[2] هذا هو طه حسين الذى مازالت أجهزة الإعلام تروّج له حتى الآن ، وتجعله مثلاً للشباب وهو أقل من ذلك بكثير .

* وكما فعل على عبد الرازق فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » حين ادعى أنّ شريعة الجهاد خصيصة من خصائص الزعامة النبوية موقوتة بوقتها وظروفها ، ولذا فقد انتهى أمر الجهاد بوفاة صاحب الزعامة ، كما ادعى أن الإسلام دين لا دولة ، ولذلك يقول الدكتور ضياء الدين الريس رحمه الله « إن كتاب الإسلام وأصول الحكم » مأخوذ من كتب بعض المستشرقين وليس لصاحبه فيه إلا الاسم[3] .

* وكما ادعى زكى مبارك فى رسالته « النثر الفنى » أن القرآن من وضع محمد ﷺ وأنه ليس وحياً مصونا كالإنجيل أو التوراة[4] .

* وكما فعل أمين الخولى حين ادعى أن القصص القرآنى لا يتفق مع الواقع التاريخى ، وأنها تدل على جهل الرسول بالتاريخ تماماً كما كان يردد المستشرقون[5] .

* وكما فعل سلامة موسى حين دعا إلى إلغاء الفصحى واستبدال العامية بها وإلغاء قواعد الإعراب وقواعد النحو فى كتابة (البلاغة العصرية واللغة العربية) .

* وكما فعل زكى نجيب محمود حين دعا إلى المنهج العلمانى الذى يرفض الدين والميتافيزيقا فى كتابه (خرافة الميتافيزيقيا) كما دعا إلى العامية فى كثير من كتبه .

* وكما فعل توفيق الحكيم حين حاول أن يردد منهج النصارى فى الفصل بين الدين والعقل وحين ردد أفكار الماسونية العالمية فى تمييع الأديان ، وعدم الاعتداد بالإسلام كدين وحيد للنجاة[6] .

---

(١) راجع كتاب مستقبل الثقافة فى مصر .
(٢) راجع صـ (١٩٦) من كتاب الإسلام والعصر الحديث للمستشرقة آيلز .
(٣) الإسلام والخلافة فى العصر الحديث صـ (٢٠٨) وما بعدها عبد الحليم سليم .
(٤) راجع صـ (٢٢٨) من الاستعمار أحقاد وأطماع الشيخ الغزالى .
(٥) راجع صـ (٨٦) وما بعدها من ذيل الملل والنحل للأستاذ محمد سعيد الكيلانى .
(٦) راجع التعادلية لتوفيق الحكيم .

✵ وكما فعل آخر هؤلاء الأذيال وهو عاطف العراقى الذى مازال يردد أفكار المستشرقين التى تنفى الأصالة الفكرية عن فلاسفة الإسلام ويدعو إلى ما دعا إليه الدكتور زكى نجيب محمود من تقليد الغرب النصرانى فى الفصل بين الدين والدولة . بل يزعم أنه ليس هناك ما يسمى بالغزو الفكرى ، وأنه يجب علينا أن نفتح الباب على مصراعيه للفكر الغربى ، وكما يفعل آخر هؤلاء العملاء وهو الدكتور حسن حنفى الذى يريد أن يفسر الإسلام بكل أبعاده تفسيراً علمانياً شيوعياً[١] .

هؤلاء ومن على شاكلتهم هم كتائب الطابور الخامس الذى يعمل داخل معسكرات المسلمين للإجهاز على الإسلام وهم الذين أشار إليهم القس زويمر بقوله : « لقد نشرنا مكامن التبشير المسيحى لدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها »[٢] وهم الكلاب الذين ينبحون كما عبر عنهم أستاذهم (سارتر) بقوله : « شرعت الصفوة الأوربية تصنع فئة من السكان الأصليين أخذت تصطفى فتياناً مراهقين ترسم على جباههم بالحديد الأحمر مبادىء الثقافة الأوربية وتحشو أفواههم بشعارات رنانة ثم تردهم إلى ديارهم وقد زيفوا . إن مثل هؤلاء أكاذيب حية لا يملكون ما يقولون لإخوانهم لأنهم يرجعون ما يسمعون وكنا نحن المستعمرين الأوربيين نقول لأنفسنا سراً : دعوهم يعووا فذلك يسرى عنهم إن الكلب الذى ينبح لا يعض »[٣] .

نعم إنهم أكاذيب حية لا يملكون شيئاً يقولونه أكثر من تردادهم لأفكار أعداء الإسلام وهؤلاء أخطر على الإسلام من الأعداء السافرين ، لأن المسلم قد يفكر ألف مرة ومرة فى فكرة يقرأها لمستشرق نصرانى أو يهودى ، ولكنه قد ينخدع بأى كلام يلقيه هؤلاء الأذيال اعتماداً على أنهم من جنسنا ومن أبناء وطننا وديننا ، أحيانا . وعلى أن أجهزة الإعلام قد بوأتهم مكانا لم يكونوا أهلاً له ، حيث صورتهم قمماً فكرية وهم لا يساوون فى سوق العلم الحقيقى عقال بعير ، لأنهم لم ينتجوا شيئاً ولم يخترعوا جديداً وكل ما صنعوه هو نقل أفكار المستشرقين وبسطها ، والدعوة إليها ، يقول المستشرق ماسنيون : « لو قرأنا كتب طه حسين لقلنا هذه بضاعتنا ردت إلينا »[٤] .

---

(١) راجع كتابه من العقيدة إلى الثورة .

(٢) راجع صـ (١٠٦) من ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق .

(٣) الله أو الدمار صـ (١٢١) .

(٤) قارن صـ (٧٧) من الإسلام ومستقبل البشرية د . عبد الله عزام .

ثالثاً : بعث الخلافات القديمة وإحياء الشبه المدفونة :

كذلك كان من آثار الاستشراق إثارة البلبلة الفكرية فى العالم الإسلامى عن طريق بعث الخلافات القديمة بين أهل السنة والشيعة والخوارج ، ذلك أن الوحدة الإسلامية كانت هى الخطر الأساسى الذى واجه أعداء الإسلام ، ووحدة الأمة لا تتم إلا فى ضوء وحدة فكرها وثقافتها ، وما دامت الأمة الإسلامية ممزقة إلى عشرات المذاهب والدعوات فإنه يستحيل أن تتوحد جهودها ، لذلك حاول المستشرقون أن يصوروا الإسلام على أنه دين يختلف باختلاف الشعوب ، وبعثوا من جديد أفكار الخوارج ، وذلك فى محاولة لتمزيق العالم الإسلامى فكرياً .

رابعاً : صرف همم المسلمين إلى الاتجاهات الأدبية والنظرية وتحويل أنظارهم عن الاتجاهات العلمية التجريبية حتى يظل العالم الإسلامى بعيداً عن أسباب التقدم العلمى .

ذلك أن المستشرقين وأتباعهم من العرب والمسلمين قد ركزوا كل جهودهم فى ترجمة الآداب والاجتماع والفلسفة والتاريخ وعلم النفس والروايات القصصية وكتب الإلحاد والتحلل والاضطراب الفكرى التى ظهرت فى أوربا .

وقد برع الكتاب المصريون على الخصوص فى هذا اللون فترجموا لنا قصص الخلاعة والمجون والتحلل لسارتر وسيمون دى بوفوار وقصص شكسبير وغيرهم ، وليتهم وجهوا جهودهم هذه إلى ترجمة العلوم التجريبية من الكيمياء والطبيعة وغيرها ، إذاً لكنا شاهدنا نوابغ وعباقرة فى العلوم العلمية ، ولكن للأسف الشديد لم ينبغ فى هذا المجال إلا أفراد يعدون على أصابع اليد الواحدة ، وأما فى المجالات النظرية والأدبية فقد برع الكثيرون ، وذلك أن دوائر الاستشراق لم تهتم بالعلوم التجريبية ، ولم توجه أنظار دعاتها إليها ، لأنه ليس من مصلحتهم أن يتقدم العالم الإسلامى علمياً .

وكان على أذيال المستشرقين أن يأخذوا العبرة من اليابان التى قام أدباؤها بترجمة العلوم التجريبية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية وكل هذه المجالات التى لا تزال المكتبة العربية فقيرة فيها ، وحولوا بلادهم إلى قمة فى التكنولوجيا ، بل إن اليابان اليوم لتضارع أعظم الدول الأوربية : وما زلنا نحن فى ذيل القافلة العلمية ، لأن الذين قادونا كانوا أذيالاً للمستشرقين بل إننا حتى الآن عاجزون عن تعريب المواد فى كلية الطب

أو كلية الهندسة !!! لأن أدباؤنا الأفاضل قد أفنوا عمرهم فى ترجمة قصص الخلاعة والمجون وحسبنا الله ونعم الوكيل .

خامساً : قتل اللغة العربية

لقد أدرك أعداء الإسلام أن القضاء على وحدة المسلمين لا يمكن أن تتم ما دامت هناك لغة واحدة يتكلمها المسلمون ، ويربطون بها حاضرهم بماضيهم ، ذلك أن اللغة هى تراث الأمة وقوميتها ، وحين تترك أمة لغتها فإنها فى الوقت ذاته تتنازل عن قوميتها وتراثها ، ويصبح من السهل عليها أن تندمج فى أية حضارة وتتأثر بأية ثقافة .

لهذا حاول المستشرقون القضاء على اللغة العربية وإحلال العامية محلها ، وقد تبنى هذه الحركة (لويس ماسنيون)[1] وجند لها الدعاة فى مصر من أمثال سلامة موسى ، وزكى نجيب محمود وغيرهم ، من الذين أشاعوا أن لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة لا تساير حاجات العصر ، لذلك يجب على المسلمين أن يهجروها ، ويتحدثوا باللغة العامية بحيث تصبح هى اللغة الشائعة .

وفعلاً راجت هذه الأفكار الخبيثة فى العالم الإسلامى ، ومصر على الخصوص حتى أصبحت العامية هى اللغة الأولى فى مصر ، وفى بلاد أخر من العالم الإسلامى ، وبذلك أصبح القرآن مهجوراً ، وأصبحت السنة نسيا منسيا ، لأنها بلغة غير اللغة التى يتحدث بها الناس . وهكذا يريدون أن يطبقوا على القرآن ما انطبق على الإنجيل والتوراة حين هجرت لغاتهم اللاتينية القديمة ، وأصبح لا يعرف هذه اللغات إلا القسس والبابوات ، كذلك كانت الدعوة إلى هجر اللغة العربية تهدف إلى قطع صلة العرب بالقرآن الكريم إلا أن يبقى ليقرأ فى المساجد كما تقرأ اللاتينية القديمة فى الكنائس الكاثوليكية ، وهكذا يحولون القرآن إلى متحف التاريخ[2] ومن هنا تبنى الاستشراق وأذياله ثلاث دعوات حاولوا أن ينشروها فى العالم الإسلامى من أجل قتل اللغة العربية .

الأولى : الدعوة إلى رسمية اللهجات المحلية (العامية) .
الثانية : الدعوة إلى كتابة اللهجات العامية بالحروف اللاتينية .
الثالثة : الادعاء بأن الفصحى تقضى على قوة العرب الاختراعية .[3]

---

(١) عمر فروخ صـ (٢٢٤) .
(٢) راجع صـ (٢٢٩) وما بعدها من المرجع السابق .
(٣) أحمد سمايلوفتش صـ (٦٦٩) .

وقد قام كمال أتاتورك بالتنفيذ الفعلى لأفكار المستشرقين فقد استبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية ، وترجم القرآن إلى اللغة التركية ، وألزم الناس بالتعبد بها وحرم تدريس اللغة العربية فى غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة ، وبذلك نشأ جيل جديد منقطع الصلة بالتراث الإسلامى[1]

وفى مصر أصدر الاحتلال الإنجليزى قرارا سنة ١٨٨٩ بإرغام المصريين على أن يتلقوا علومهم باللغة الأجنبية بدلاً من اللغة العربية ولما تولى سعد زغلول نظارة المعارف سنة ١٩٠٦ م أصدر قرارا قوميا يلغى القرار الاستعمارى السابق ، ويقضى بتعريب التعليم فى جميع المراحل التعليمية ، ولكن الإنجليز حاربوا تعريب التعليم العالى بكل قواهم حتى أنهم أخرجوا سعداً من الوزارة[2] ، ثم ظهرت فى مصر أيضاً دعوة مشابهة لما قام به أتاتورك من أحد أعضاء المجمع العلمى المصرى وهو عبد العزيز فهمى . وقد تناسى هؤلاء الحاقدون أن اللغة العربية هى أساس ديننا وأساس قوميتنا ، وإننا بدونها سوف نقطع صلتنا بهذا الدين . الذى أكرمنا الله به .

كما تناسوا أن المسلمين الأوائل قد وضعوا أبحاثاً علمية تجريبية ونظريات كثيرة طبية وفلكية وهندسية وكميائية بهذه اللغة التى يدعى الأعداء أنها عاجزة عن مسايرة التقدم العلمى ، ألا فليعودوا إلى أفكار ابن النفيس وابن سينا والرازى وغيرهم لكى يشاهدوا بأنفسهم هل استطاعت اللغة العربية الفصحى أن تعبر عن لغة العلم أم أن هؤلاء العلماء قد استعاروا لغة أجنبية للتعبير عن ذلك ؟!!

وللأسف الشديد أن دعوات المستشرقين فى هذا المجال قد أصابت اللغة العربية فى مقتلها فقد تنحت من ميدان التعامل اليومى ، وأصبحت العامية هى لغة كل وسائل الإعلام وقد استغل أعداء الإسلام الفرصة فقاموا بنشر اللغات الأجنبية[3] ، وقد يقول قائل وماذا فى نشر اللغات الأجنبية ؟ والجواب نسمعه من أحد المستشرقين المدعو تكلى حيث يقول : « إن كثيرين من المسلمين قد زُعْزِع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية ، وأن الكتب المدرسية العربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقى مقدس أمراً صعباً جداً »[4] وهذه هى خطورة نشر اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية الفصحى .

---

(١) راجع صـ (٣٣٨) من الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للأستاذ/ محمد حسين .
(٢) حصاد الغرور صـ (١١٠) للشيخ محمد الغزالى .
(٣) راجع صـ (١٥٩) من هموم داعية للشيخ محمد الغزالى .
(٤) عمر فروخ صـ (٨٨) .

إن تراثنا الإسلامى لم يكتب إلا باللغة العربية ، وحين تموت اللغة العربية ، يموت معها هذا التراث ، ولا يصبح له أية قيمة ، ولأستاذنا الشيخ عبد الحليم محمود فتوى طيبة تبين لنا حكم الدول التى استجابت لرغبات أعداء الإسلام فى إشاعة العامية واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية يقول فيها : « إن كل دولة فعلت هذا إنما فعلت ما يغضب الله ورسوله ، بل ما يمقته الله ورسوله ، وإن الذى يبوء بالإثم إنما هم المنفذون والراضون بالتنفيذ ، وأنه يجب وجوباً دينياً أن يثور المؤمنون ضد هذا ويعارضوه »[1] .

سادساً : القعود عن الجهاد فى سبيل الله :

أخشى ما يخشاه أعداء الإسلام كلمة « الجهاد فى سبيل الله » لأنهم جربوا وقع هذه الكلمة فى نفوس المسلمين حين يحدث الخَطْبُ ، فقد كانت آيات الجهاد فى سبيل الله تخرج من فم رجال الدين كأنها قاذفات اللهب تثيرها حرباً شعواء ضد أعداء الله .

ولذلك حَرّم المستعمرون الفرنسيون فى الجزائر تدريس الجهاد فى آيات القرآن الكريم ، أو فى أبواب الفقه الإسلامى[2] .

ومن هنا قام المستشرقون بحملة عنيفة على الجهاد فى الإسلام فوصفوا المسلمين بالتعصب ، ووصفوا الإسلام بأنه دين لا يعرف حرية الفكر ، ولا حرية العقيدة ، أنه لم ينتشر إلا بحد السيف ، وظلوا ينفرون من الجهاد فى سبيل الله ، وتحت هذا الضغط الماكر من المستشرقين وأذيالهم ، بدأ بعض المفكرين المسلمين يصورون الجهاد فى الإسلام بغير حقيقته فقالوا : إن الإسلام لا يرفع لواء الجهاد إلا حينما يعتدى عليه ، واستشهدوا على ذلك ببعض الآيات الأولى التى نزلت فى شأن الجهاد ، دون أن يجمعوا بين كل الآيات التى جعلت من الجهاد فى الإسلام منهجاً أساسياً لحماية العقيدة ونشر كلمة الحق على ربوع الدنيا .

والواقع أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي قام على أساس من حرية الفكر والاعتقاد ، ولم يجبر أحداً على الدخول فيه ، واقرأ معى هذه الآيات من كتاب الله

---

(١) أبو البركات - الدرديرى صـ (٢٦) .
(٢) الجندى - الفكر الإسلامى صـ (٤٠٦) .

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

﴿ وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِه النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِين ﴾[2] .

﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾[3] .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِر ﴾[4] .

وهناك عشرات الآيات التى تجعل الأساس الفكرى للدخول فى الإسلام هو الإقناع والحرية ، وأنه لا إكراه على ذلك . غير أن هذه التقريرات تقودنا إلى سؤال يجب الإجابة عليه ، والسؤال هو : لماذا قاتل المسلمون ؟ ولماذا دخلوا معارك كثيرة مع مشركى العرب ، ومع الروم والفرس ؟

والجواب أن الإسلام دين عالمى جاء لتكريم الإنسان وإنقاذه من ضلال الأديان المحرفة التى انتهكت إنسانية الإنسان فجعلته يسجد لجماد لا ينفع ولا يضر ، بل جعلته يركع لبشر مثله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله ﴾[5] ، ومن هنا كان الرسول ﷺ مكلفاً بتبليغ هذه الدعوة إلى كل إنسان على هذه الأرض : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه ﴾[6] .

ولكن كيف يبلغ ؟

﴿ ادْعُ إِلَي سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمهْتَدِينَ ﴾[7]

وبدأ الرسول ﷺ يعرض دعوته على الناس بالحكمة والموعظة الحسنة إلا أن الناس وقفوا أمام الدعوة الجديدة لا يريدون أن يقبلوها ولا يريدون لصاحبها أن يدعو أحدا ،

---

(١) البقرة [٢٥٦] .

(٢) يونس [٩٩]

(٣) طه [١ ، ٢ ، ٣] .

(٤) الغاشية [٢١ ، ٢٢] .

(٥) التوبة [٣١] .

(٦) المائدة [٦٧]

(٧) النحل [١٢٥] .

بل إنهم قد تآمروا عليه لقتله لولا أن نجاه الله ، وأخرجوه هو وأصحابه من بلادهم ومن أموالهم ومن ديارهم ، وهنا نزل الإذن لصحابة رسول الله ﷺ بأن يردوا العدوان بمثله : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ** ﴾[1]

﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[2]

وقد سار الرسول ﷺ وصحابته على هذا المنهج فلم يقاتلوا إلا عرب مكة الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم ، فلما تمالأ العرب كلهم على المسلمين وجمعوا أنفسهم فى معركة الأحزاب للقضاء على الإسلام نزل الإذن بعموم.القتال لمشركى العرب : ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** ﴾[3]

وفى كل الحالات كان الجهاد فى الإسلام مقيداً بغاية نبيلة ، وهى أن يكون فى سبيل الله لا فى سبيل النفس والهوى ولا فى سبيل اغتصاب الدنيا من أصحابها ، بل كان القرآن يوجه أنظار المؤمنين إلى الآخرة لا إلى الدنيا : ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾[4]

وبعد هذا كان على رسول الله أن يبلغ الدعوة إلى كل بنى الإنسانية ، بعد أن بلغها لعرب الجزيرة العربية ، فأرسل إلى ملوك الفرس والروم وغيرهم رسائله التى تطلب منهم أن يُعَبِّدُوا الناس لله ، وأن يخلوا بين شعوبهم وبين الإسلام .

ولكن هؤلاء الملوك لم يلتفتوا إلى رسالة الرسول ، ولم يبلغوها لأقوامهم ؛ بل منهم من أرسل إلى رسول الله من يأتيه به مكبلاً بالقيود والأغلال ! فماذا يفعل الرسول أمام هذه العجرفة وأمام هذا الطغيان ؟

إن الرسول لم يطلب منهم أن يدخلوا فى الإسلام جبراً ، إنما طلب منهم واحدة من ثلاث : إما الإسلام ، وإما أن يظلوا على عقائدهم ويدفعوا الجزية فى مقابل حمايتهم

(١) الحج [٣٩ ، ٤٠] .
(٢) البقرة [١٩٠] .
(٣) التوبة [٣٦] .
(٤) النساء [٧٤] .

والدفاع عنهم ، وإما الحرب ، خصوصاً وأن الفرس والروم كانوا معتدين ومستعمرين لبلاد العرب ، فهل إذا هب المسلمون للدفاع عن دينهم ، وعن أرضهم يقال عليهم : إنهم معتدون ، وإنهم متعصبون ؟ هل يقال لصاحب البيت وقد سطا عليه اللص : ألق سلاحك لا تكن متعصباً ؟ اللهم إن كان الحفاظ على الدين الحق تعصباً فنحن متعصبون .

يقول الشيخ عبد المجيد سليم عليه رحمة الله : « إن جميع الدعوات الصالحة ما رسخت أصولها ولا سمقت فروعها إلا باستمساك أهلها بها ، وصدقهم فى النضال عنها ، لأنهم آمنوا بها إيماناً ثابتاً لا يتزلزل . ولولا هذا الإيمان الصادق القوى المتماسك لماتت – والعياذ بالله – دعوة الإسلام فى مهدها . وقد أمر الله المؤمنين بأن يكونوا أقوياء فى الحق ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ومدح الذين يأخذون الكتاب بقوة فقال لنبيه يحيى : ﴿ **يا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾ ولنبيه موسى:﴿ **فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ** ﴾[1] .

ولكن المستشرقين ظلوا يرددون أن المسلمين متعصبون ، وأن دينهم قام على السيف حتى يفت ذلك فى عضد المسلمين ، ويتركوا الجهاد فى سبيل الله ويتوقفوا عن نشر كلمة التوحيد وتحت هذا الضغط الماكر قعد المسلمون عن الجهاد فى سبيل الله حتى لا يوصفوا بالتعصب ، وحتى لا يوصف دينهم بأنه انتشر بحد السيف .

ولم يفهم هؤلاء منهج الجهاد فى الإسلام ، وأنه ملازم للدعوة الإسلامية إلى أن تزول هذه الطواغيت التى عبدت الإنسان للإنسان . ثم نطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً فى اختيار العقيدة التى يريدونها بمحض اختيارهم ، بعد رفع الضغط السياسى عنهم : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله** ﴾[2] .

والذين يعتذرون عن الجهاد فى الإسلام بمبررات لا مفهوم لها ، عليهم أن يعلموا أنه يشرف المسلمين أنهم جاهدوا فى سبيل الله ، لأنهم لم يرفعوا لواء السيف من أجل دنيا ولا مال ولا شهوة ، وإنما رفعوه من أجل خير الآخرين والقضاء على سلطان الظالمين الذين أذلوا شعوبهم .

نعم لم يستخدم السيف إلا للقضاء على طغيان الأكاسرة ، وجبروت القياصرة ، ولاكتساح من كانوا يستظلوا بعروشهم من بطارقة الدجل ، ودهاقنة النصب

---

(١) راجع صـ (١٣٩) من ظلام من الغرب للشيخ محمد الغزالى .

(٢) راجع صـ (٨٧) من معالم الطريق للشيخ سيد قطب رحمه الله .

والاحتيال ، ثم لإنقاذ الشعوب المستضعفة التى فتك بها الجهل والفقر وتلاشت إنسانيتها بين سندان الكنيسة ومطارق الفئات الحاكمة ، وانتزاع صولجان الحكم من أصنام بشرية أثبتت فشلها وعجزها عن قيادة الإنسانية[1] .

فإن كان هذا تعصباً واعتداء فنحن متعصبون ومعتدون ، ولكن عليكم أن تقارنوا بين حروب الصحابة الأوائل وبين الحروب الصليبية الوسيطة والحديثة .

لماذا كان يقاتل النصارى فى هذه الحروب ؟

لإطفاء نور الحق !! للقضاء على الإسلام !! للسيطرة على مقدرات الشعوب واستغلالها واستعمارها !

كم عدد الجرحى فى الحرب العالمية الأولى والثانية ؟

فى الحرب العالمية الأولى واحد وعشرون مليون نسمة بين قتيل وجريح ، فى الحرب العالمية الثانية خمسون مليوناً من القتلى والجرحى . وكم عدد القتلى فى معارك الرسول ﷺ التى كانت للصالح العام والخير المشترك ؟ « ألف وثمانية عشر نفساً المسلمون منهم ٢٥٩ والكفار ٧٥٩ »[2]

ومع ذلك يَدَّعُون أن الإسلام دين السيف والقهر وينشرون هذه الفرية ، ويلحون فى تأكيدها حتى تضيع شريعة الجهاد فى سبيل الله ، وبذلك يمرحون ويسرحون كما يشاءون فى العالم الإسلامى .

نعم لقد أثمرت هذه الشبهة وأثرت فى المسلمين وتركوا أعداء الله يحتلون أراضيهم فى فلسطين وفى قبرص ، وفى إرتيريا وفى الفلبين ، وفى أندونيسيا وفى أفغانستان ، وفى لبنان وفى سوريا وفى مصر .

أيها المسلمون أفيقوا من غفلتكم ، فالجهاد فرض عين عليكم حتى تطردوا أعداء الله من سائر أراضى المسلمين ، وهو بعد ذلك شرف لكم حتى يكون الدين كله لله بعد القضاء على سلطان الأنظمة المادية التى لا تعترف بالله فى روسيا وفى الصين وفى الهند وفى كل مكان لا ترتفع فيه راية (لا إله إلا الله) .

---

(١) محمد السليمان الجبهان صـ (٩٤) .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ (٢٢٥) .

◻ مواجهة الاستشراق ◻

ما هو واجب المسلمين تجاه حركة الاستشراق ؟

لا شك أنه على المسلمين أن يتحركوا ، وأن يقدموا خطة عملية محددة لمواجهة المستشرقين ، لابد أن ترصد الدول الإسلامية الغنية الأموال لحركة مضادة يقوم بها علماء الإسلام وتعتمد على عنصرين :

الأول : عنصر إيجابى يتمثل فى قيام علماء الإسلام بالكتابة حول الموضوعات العلمية ، ويقدمون للعالم الغربى المعلومات الصحيحة عن الإسلام ، ويوضحون للناس وجهة النظر الإسلامية الواضحة فى المشكلات التى أثارها المستشرقون .

الثانى : عنصر سلبى يتمثل فى قيام مفكرى الإسلام باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها فى ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن أخطائهم[1] .

لهذا يجب على كل مثقف من المسلمين أن يضع دراسات المستشرقين فى طليعة بحوثه ، بل فى الصف الأول من شواغله (العقلية)[2]

وقد عرض كثير من المفكرين المسلمين خططاً مفصلة لمقاومة حركة الاستشراق منها الخطة التى وضعها المؤتمر الإسلامى العالمى لتوجيه الدعاة المنعقد بالمدينة المنورة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م[3]

والخطة التى وضعها الدكتور محمد البهى رحمه الله والتى تتلخص فيما يأتى :

١ - قيام المؤتمر الإسلامى بالمساهمة فى تنقية الحياة المصرية والعربية الإسلامية من رواسب الاستشراق ، وذلك بإبعاد عملائه من حياة التوجيه فى العالم الإسلامى .

٢ - إعادة تقويم القيم الإسلامية فى نفوس المسلمين بعد أن زعزعها الاستشراق .

٣ - أن تكون هناك مكاتب اتصال ملحقة بسفاراتنا بالخارج لتتبع كتابات المستشرقين والمبشرين وموافاتنا بها سريعاً[4] .

---

(١) أبو الحسن الندوى - الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (٩٠) .

(٢) د . محمد غلاب - نظرات استشراقية صـ (٤) .

(٣) راجع صـ (٢١٢) وما بعدها من حقيقة التبشير .

(٤) راجع صـ (١٧٠) من كتاب التبشير والاستشراق - إبراهيم خليل أحمد .

وأخيراً نقدم الخطة التى اقترحها الدكتور محمود زقزوق والتى تقوم على ما يأتى :

١ - موسوعة الرد على المستشرقين ، وقد حدد فضيلته لهذه الموسوعة المنهج العلمى الواجب اتباعه فى إعدادها من ناحية أسلوب التنازل ، وخطوات تحضير المادة والمراجعة وغير ذلك[1] .

٢ - مؤسسة إسلامية علمية عالمية تقوم على شئون العالم الإسلامى ، بحيث تكون بعيدة عن الانتماءات السياسية أو الفكرية ويكون ولاؤها لله أولاً وأخيراً .

٣ - دائرة معارف إسلامية جديدة ، وهى تختلف عن موسوعة الرد على المستشرقين من حيث إن الموسوعة تعرض حقائق الإسلام عرضا واضحا ينفى عنه خبث دائرة المعارف التى كتبها المستشرقون .

٤ - جهاز عالمى للدعوة الإسلامية : وهو عبارة عن مؤسسة إسلامية تدعو للإسلام من ناحية ، وترعى المسلمين الجدد من ناحية ثانية ، وتحمى المسلمين بالوراثة من ناحية ثالثة .

٥ - ترجمة إسلامية لمعانى القرآن الكريم ، وهو عبارة عن مؤسسة إسلامية تبشيرية تدعو للإسلام من ناحية ، وترعى المسلمين الجدد من ناحية ثانية ، وتحمى المسلمين بالوراثة من ناحية ثالثة .

ونضيف إلى ما ذكر أستاذنا فى هذه النقطة أنه يجب على المسلمين أيضاً أن ينشروا اللغة العربية بين المسلمين غير العرب وبين الأوربيين ، حتى يستطيعوا أن يقرءوا القرآن بلغة عربية ، وإذا كان النصارى يقيمون فى سائر دول العالم الإسلامى معاهد لتعليم لغاتهم فإنه من الواجب علينا أن ننشر فى كل دولهم معاهد لتعليم اللغة العربية .

٦ - تنقية التراث الإسلامى من الإسرائيليات والدخيل .

٧ - الحضور الإسلامى فى الغرب ، وذلك بمحاولة اقتحام مجالات التدريس للعلوم العربية والإسلامية فى الغرب عن طريق الاتفاقيات الثقافية .

٨ - الحوار مع المستشرقين المعتدلين بهدف ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار استشراقية .

٩ - دار نشر إسلامية عالمية مهمتها نشر المطبوعات الإسلامية بكافة اللغات الأجنبية .

١٠ - إنشاء وكالة أنباء إسلامية تستطيع أن تكون هى المصدر الذى يستقى منه الغرب

---

(١) راجع صـ (١٣١) وما بعدها من - الاستشراق والخلفية الفكرية .

معلوماته عن العالم الإسلامى ، وليس العكس فنحن نستقى حالياً معلوماتنا عن العالم الإسلامى من وكالات الأنباء الغربية التى لا تتحرى الموضوعية والأمانة فى عرضها لأخبار العالم الإسلامى ، بل تحاول تشويه صورة المسلمين[1] ..

هذه هى الخطط التى وضعها مفكرو الإسلام لمواجهة حركة الاستشراق وما أكثر الاقتراحات والتوجيهات والتوصيات ، وما أقل العمل والتنفيذ فلو أن المسلمين ينفذون عُشْر ما يوصون به لما كان حالهم هو هذا الحال ، والمسئولية إنما تقع كاملة على عاتق حكام المسلمين الذين يملكون عناصر التمويل وقدرة التنفيذ وسوف يلقون الله وأعناقهم تبوء بهذه الأحمال الثقال ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾[2] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

□ وضع الاستشراق الآن □

يحاول بعض من أحسنوا الظن بالمستشرقين أن يوهمونا بأن المستشرقين قد غيروا من وجهة نظرهم المتعصبة ، وأنهم قد غيروا مناهجهم غير العلمية فى بحث الموضوعات الإسلامية ، ويحاولون الآن دراسة الإسلام بموضوعية ، وأن الحساسيات الدينية التى دفعتهم إلى التعصب لا وجود لها الآن ، إلى غير ذلك مما يقولونه دفاعاً عن الاستشراق الذى انكشف وجهه القبيح على الملأ . ولكننا نلاحظ انهيار كل هذه الدفاعات حين نذكر الحقائق التالية :

أولا : أن الاستشراق ليس حركة علمية بحتة ، وإنما حركة استعمارية منظمة يعتمد على الدعم المالى من قِبَل الحكومات الأوربية ، وهى بلا شك تمارس ضغوطاً معينة من أجل توجيه أبحاث المستشرقين لخدمة مصالحهم فى العالم الإسلامى .

وهذا ما يعترف به أحد المستشرقين حين يقول : « هناك أيضاً الضغط المالى من قِبَل أولئك الذين يقدمون الأموال لدعم النتائج التى تؤدى إلى احتواء العالم الإسلامى ، والتشبث به باعتباره منطقة اضطراب حيث تكمن اهتمامات الغرب ومصالحه » ولهذا يرى الدكتور محمد محمد حسين : أن تمجيد الإسلام فى كتب بعض المستشرقين يقصد به خلق جو من الاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربى من ناحية ومقابلة هذه المجاملة من جانب المستشرقين بمجاملة مثلها من جانب المسلمين للقيم الغربية .

---

(١) المرجع السابق صـ (١٣٧ ، ١٥٣)

(٢) التوبة [١٠٥]

وذلك ما نلحظه فى إشادة (كالفرلى) – أحد قادة الاستشراق – بالكتاب الذى ألفه آربرى فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعرض فيه نواحى الامتياز فى الآداب الشرقية فهو يعد هذا العمل « نوع من رد الاعتبار للشعوب الإسلامية وثقافتها التى كانت محلاً للانتقاص ، وسوء الفهم فى بلاد الغرب (...) وبالرغم من أن هذه الكتب فى واقع الأمر نوع من الدعاية التى يقصد بها خلق جو من التفاهم بين المسلمين والأوربيين ، فإنها لا شك تذكر معلومات صحيحة وعادلة كان ينبغى أن تعرف عن المسلمين منذ عهد طويل »[1] .

ففى ضوء هذه الحقائق ينبغى أن نَقَيِّم أعمال المستشرقين حتى هؤلاء الذين أنصفوا فى معالجة القضايا الإسلامية ، فلم يكن هدف بعضهم ذكر الحقيقة للحقيقة نفسها بقدر ما كان همهم مد جسور التفاهم مع المفكرين المسلمين فى محاولة للتعاون من أجل تحقيق أغراض الاستشراق بصورة أو بأخرى .

ثانياً : أن الأحقاد الدينية على الإسلام لا يمكن أن ينساها المستشرقون مهما كانت موضوعيتهم وخصوصاً أن معظمهم من القسس ورجال الدين ، فهل ينسى هؤلاء أن الإسلام فضح عقائدهم الباطلة وزلزل كيانها ؟ وهل ينسى هؤلاء أن الإسلام قد قضى على النصرانية فى كثير من بلاد الشرق وحل محلها ؟ [2]

يقول الدكتور محمود زقزوق : « قد يكون صحيحاً القول بأن ألوان التحامل القديم على الإسلام قد خفت حدتها إلى درجة كبيرة منذ مطلع هذا القرن ، ولكنها للأسف الشديد لا تزال تعيش قوية ولا تزال هناك فئة من الباحثين الغربيين المهتمين بدراسة الإسلام تحرص حتى اليوم على نشر ألوان التحامل القديم فى العالم الغربى على نطاق واسع بأساليب مختلفة »[3] .

ولهذه الشهادة قيمتها ووجاهتها حيث إن صاحبها قد خابر المستشرقين فكرياً وعملياً ، وما يزال على صلة فكرية بهم . فعلينا ألا ننخدع بما يقوله المدافعون عن الاستشراق فهو لا يزال حتى هذه اللحظات باقياً بآثاره وبأذياله التى خلقها فى وسائل الإعلام .

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية صـ (١٠٩) .

(٢) د . إبراهيم اللبان – المستشرقون والإسلام صـ (٣٤) ملحق بمجلة الأزهر .

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية صـ (٨٠) .

وما يزال التبشير أيضا باقياً بأهدافه وبأساليبه حتى الآن . وسوف نوضح فى الفصول التالية الأساليب الخبيثة التى انبثقت من التبشير والاستشراق والتى يُحَارَبُ بها المسلمون فى واقعهم الراهن .

ونبدأ بأخطر هذه الأساليب وهو إحياء القوميات والنزعات العرقية فى العالم الإسلامى من أجل القضاء على وحدة المسلمين وتحويلهم إلى غثاء كغثاء السيل حتى تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها .

الفصل الرابع

□ إثارة النعرات القومية والعرقية □

جاء الإسلام والعالم فى حالة تمزق لا تربطه إلا العصبيات القومية الذميمة أو النزعات العرقية والجنسية والقبلية الضيقة .

فقد كانت هناك القومية العربية ، والقومية الفارسية ، والقومية الطورانية ، وغيرها من القوميات ، بل إن كل قومية من هذه القوميات كانت تنقسم إلى نزعات عرقية وجنسية وقبلية ، كالأوس والخزرج فى المدينة ، وبنى عدنان وبنى قحطان فى الجزيرة العربية والآشوريين فى العراق والفينيقيين فى سوريا ولبنان والفرعونية فى مصر والبربرية فى المغرب العربى .

وما أن ظهر الإسلام حتى نادى فى الناس أن اتركوا كل هذه الروابط الجاهلية واتحدوا فى أمة واحدة شعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله فخاطبهم بقوله : ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾(١) ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾(٢)

وهكذا سما الإسلام بنفسه فوق الأجناس والألوان وخاطب جميع الشعوب ابتغاء توحيدها فى أمة متآخية لا تعرف لإنسان فضلاً يباهي به إلا بدرجة استمساكه بعروة الإيمان الوثقى(٣) فلا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا أسود على أبيض ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وأخذ الرسول ﷺ الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الجامعة بين المسلمين حين آخى بين المسلمين فى المدينة(٤) ووصلت المؤاخاة إلى حد أن الرسول ﷺ قد آخى بين أناس من أشرف القبائل العربية وبين الموالى من الفرس والروم ، فقال : سلمان الفارسى منا نحن أهل البيت وصهيب الرومى منا نحن أهل البيت ، بل إن رسول الله

---

(١) الأنبياء [٩٢] .

(٢) المؤمنون [٥٢] .

(٣) د . أحمد عوده – الإسلام فى مفترق الطرق صـ (١٠٠) ترجمة د . عثمان أمين .

(٤) قارن صـ (١٥٥) من فقه السيرة د . محمد سعيد رمضان البوطى .

ﷺ قد ولى (باذان بن ساسان) وابنه (شهر بن باذان) وكان نسبهما يتصل ببهرام جور ملك الفرس ولى الرسول ﷺ « باذان » على اليمن وابنه على صنعاء ، وكان عمر ابن الخطاب يقول عن بلال الحبشى « بلال سيدنا ومولى سيدنا » وأمر عمر صهيباً الرومى بأن يؤم المسلمين فى الصلاة نيابة عنه ، بل إن عمر عند وفاته يقول عن أحد الموالى وهو سالم مولى أبى حذيفة « لو كان سالم حيا لوليته » ورسول الله ﷺ يضرب المثل الأعلى فى القضاء على العصبيات فيزوج زيد بن حارثة – أحد الموالى – ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش ، ثم يولى أسامة بن زيد أمر الجيش الذى اشترك فيه كبار الصحابة من أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح وغيرهم[1] وبذلك نسى كل واحد منهم عصبيته وقوميته وأصبحت العصبية والقومية لله ورسوله ، ذلك أن الإسلام رسالة عالمية فلا يمكن أن يفرق بين شعب وشعب ولا بين جنس وجنس ومن هنا صهر الأمم فى أمة واحدة ومعسكر واحد هو معسكر الإيمان بالله ورسوله فى مقابل معسكر الكفر والجاهلية وقد استطاعت هذه الأجناس كلها أن تصنع حضارة عظيمة هى الحضارة الإسلامية التى لم تكن يوماً عربية ولا تركية ولا فارسية بل كانت دائماً إسلامية عقدية وهذا ما لم يتحقق أبداً فى أى تجمع آخر على مدى التاريخ العام .

فلقد ظهرت تجمعات كثيرة على مدى التاريخ الإنسانى منها تجمع الإمبراطورية الرومانية قديماً ، وتجمع الإمبراطورية البريطانية ، وتجمع المجتمعات الشيوعية حديثاً ، وكل هذه التجمعات جمعت أجناساً متعددة وألواناً متعددة وأمزجة متعددة ولكنها لم تقم على الأساس المتين الذى بنى عليه الإسلام تجمعه وهو وحدة الإنسانية وتساوى بنى البشر أمام الله بل على العكس من ذلك قامت على أسس طبقية مقيتة[2]

- فلقد قامت التجمعات الرومانية القديمة على أساس طبقة الأشراف وطبقة العبيد وسيادة الجنس الرومانى وعبودية سائر الأجناس الأخرى وكذلك قل عن التجمعات البريطانية حديثاً .
- أما عن التجمعات الشيوعية التى حاولت أن تتخطى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون مقلدة الإسلام – فإنها لم تقم تجمعها على أساس إنسانى وإنما أقامته على القاعدة الطبقية التى تعتبر طبقة (البروليتاريا) الصعاليك والعمال هى أشرف الطبقات وعليها أن تمحق طبقة الأغنياء والمثقفين .

---

(١) أبو الأعلى المودودى الحكومة الإسلامية صـ (٢٢٦) تعريب أحمد إدريس .

(٢) معالم فى الطريق صـ (٧٢) الشيخ سيد قطب وقارن صـ (٢٥١) من الحكومة الإسلامية .

نعم لقد قامت هذه الإمبراطوريات ثم انهدمت وهى عاجزة عن أن تجعل من الأمم والشعوب أمة واحدة على الرغم من كل المحاولات التى بذلتها ، ذلك أنها حاولت إخضاع الشعوب لنفسها ومن ثم شعرت هذه الشعوب بأنها مغلوبة على أمرها ، وأنها تفقد صبغتها الخاصة لحساب الدولة الأم أو الدولة المسيطرة على قطيع الشعوب .

وما الطريق إلى ذلك فى نظر الماركسية ؟

الطريق هو أن نغرق الدنيا فى بحار من الدم والنار لأن الطريقة التى اختارتها لبلوغ هذه الغاية هى إثارة الصراع الطبقى العالمى ، ثم استغلال هذا الصراع فى أعمال القتل والتخريب والنهب والسلب والاغتصاب ، وإحداث الثورات الدامية ، وإقامة النظام الديكتاتورى باسم الطبقة الكادحة ثم إبادة ملاك الأراضى وأصحاب المصانع بعد تجريدهم من ممتلكاتهم ، والقضاء عليهم ، وبعد هذا كله سينال الإنسان « الجنة الأرضية » التى يقال عنها : ولم تكتمل هذه العملية حتى فى روسيا والصين[1] لم تكتمل لأنها مجرد أحلام معسولة يخدرون بها الناس من أجل سلب حاضرهم ومستقبلهم معاً حيث يعدون الناس ويمنونهم ، وما يعدونهم إلا غرورا .

أما الإسلام فقد وحد حقيقة بين النفوس ، وألف بين القلوب وجعل المجتمع الإسلامى على قلب رجل واحد بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة . فقد اجتمعوا على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله هى العصبية وهى القومية وهى الرابطة وهى العقيدة من أجلها يحبون ومن أجلها يبغضون ومن أجلها يحاربون ومن أجلها يسالمون ، بها يعيشون وعليها يموتون .

هكذا استطاع الإسلام أن يخلق أمة واحدة هذه الوحدة التى أذهلت رستم قائد الفرس حين تحدث إليه رِبْعِيُّ بن عامر وعرض عليه إما الإسلام وإما الجزية وإما الحرب ، وقال له : وأنا كفيل بذلك عن أصحابى ، فقال له رستم : أسيدهم أنت ؟ قال ربعى : إن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم ، وحينما دخل المغيرة بن شعبه على رستم وجده جالساً على سريره فجلس معه ظناً منه أن الناس سواسية وإذا بحاشية رستم تجذب المغيرة من على سرير رستم

---

(١) أبو الأعلى المودودى – طائفة من قضايا الأمة الإسلامية صـ (٦٣) .

فقال لهم المغيرة : « قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم . إنا معاشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا .. فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض »[1] وهكذا استطاع الإسلام أن يخلق وحدة مثالية وسط هذه التجمعات المهترئة من حوله .

□ أثر الوحدة □

بهذه الوحدة الجامعة انطلق المسلمون فى الأرض ينشرون الإسلام فكتب الله لهم النصر على أعدائهم – وكانت روح الوحدة هى العامل الأول فى انتصار المسلمين لأنها جزء من عقيدتهم .

فزع أعداء الإسلام من الوحدة الإسلامية :

لقد أصيب أعداء الإسلام بالفزع والخوف من هذه الوحدة التى جمعت بين المسلمين ، ونصوا على ذلك فى أقوالهم وتقاريرهم السرية .

يقول لورانس براون : « إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً .. أما إذا ظلوا متفرقين ، فإنهم حينئذ يظلون بلا قوة ولا تأثير »[2] .

وقد سبق أن تحدثنا عما يقوله القس « سيمون » من أنه يجب كسر شوكة الوحدة الإسلامية عن طريق التبشير حتى تستطيع أن تتغلغل النصرانية فى المسلمين[3] ، ومن التقريرات السرية التى نشرت أخيراً والتى كشفت عن عداء الغرب النصرانى للوحدة الإسلامية .

تقرير وزير المستعمرات البريطانية المدعو « أورمس غو » الذى يقول فيه « إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه ، وليست إنجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك بل فرنسا أيضاً ومن دواعى فرحتنا أن الخلافة الإسلامية زالت ، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى

---

(١) إتمام الوفاء صـ (١٦) .
(٢) راجع صـ (٣٧) من التبشير والاستعمار وقارن صـ (٢٢٣) من الفكر الإسلامى للجندى .
(٣) قارن ما سبق فى أهداف التبشير صـ (٤٣) .

غير رجعة . إن سياستنا تهدف دائماً وأبداً إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك »[1] ومن هنا كانت الخطة هى القضاء على المسلمين وتمزيق العالم الإسلامى .

ولكن ما الطريق إلى تمزيق وحدة المسلمين ؟

فى هذه الأثناء كانت فكرة القوميات والعرقيات تشيع فى أوربا[2] وتمزقها إرباً بعد أن كانت الرابطة هناك تقوم على أساس الدين - إذ راحت كل دولة تبحث عن أصلها ولغتها وجنسها وتحاول إحياء كل ذلك - على حساب الدين النصرانى كعامل ربط بينهم لفترة طويلة .

وقد ظهرت فكرة القومية فى أوربا مع أفكار « مارتن لوثر كنج » « وكلفن » وغيرهم من الذين رفعوا لواء العصيان ضد طغيان الكنيسة الكاثوليكية ، وأعلنوا المذهب البروتستانتى ، وكانت وراء فكرة القومية (قوى يهودية) تهدف إلى تدمير النظام النصرانى الاجتماعى الذى كان يقوم فى أوربا فى مواجهة « الجيتو » اليهودى والقوانين التى أصدرتها الكنيسة الكاثوليكية لعزل اليهود وتمييزهم ومنعهم من السيطرة على المراكز الأساسية الكبرى فى المجتمع الأوربى . وهنا أظهر اليهود فكرة القومية التى ترمى إلى إعلاء شأن الوطن والقوم وإحلالها محل الرابطة الأساسية ، وهى (الدين) وذلك لإخفاء الفرق بين النصرانى واليهودى ، وهو ما سعت إليه اليهودية ، ومن ثم تداعت الرابطة النصرانية فى أوربا وعلت الصيغة القومية [3].

وتحولت القوميات هناك إلى دين وعقيدة حتى إن الألمان حينما أحيوا الآرية وتعصبوا لها نظروا إلى الدين النصرانى وإلى المسيح كأنه أجنبى عنهم فهو من الجنس السامى وعليهم أن يتخلصوا منه وهذا ما قاله أحد المعلمين فى ألمانيا وهو البروفسور آترنى : « لأى شىء يدرس أولادنا تاريخ أمة أجنبية ؟ ولماذا نقص عليهم قصص إبراهيم وإسحٰق ؟ ينبغى أن يكون إلهنا أيضاً ألمانياً » .

---

(١) راجع صـ (٩٤) من هموم داعية للشيخ محمد الغزالى .
(٢) قارن صـ (١٨٦) من المجتمع العربى د . صوفى أبو طالب وآخرون .
(٣) راجع صـ (٤٩) من مؤلفات فى الميزان للأستاذ أنور الجندى .

وهكذا يتبرءون حتى من المسيح لكونه ليس من جنسهم الآرى ، بل ظهرت فى ألمانيا نزعة إحياء الآلهة القومية القديمة التى كان يعبدها الشعب الألمانى فى عهده القديم[١] .

وهنا فكر أعداء الإسلام فى نقل النزعات القومية والعرقية إلى العالم الإسلامى ، لعلها تكون سبباً فى إضعاف وحدة المسلمين وتمزيق شملهم ، وراحوا ينادون بإحياء الحضارات الجاهلية القديمة التى أماتها الإسلام مثل : الحضارة الفرعونية فى مصر حاولوا إحيائها من خلال حجارة الأهرام وآثار الفراعنة القدماء[٢] والنزعة الفينيقية من خرائب الساحل الممتد من يافا إلى اللاذقية (فى لبنان وسورية)[٣] وفى العراق حاولوا إحياء الآشورية[٤] ، وبعثوا الدرزية والنصيرية والعلوية فى الشام ، كما بعثوا القبلية العربية فى شبه الجزيرة[٥] العربية وفى جنوب شرق آسيا دعا الاستعمار إلى إحياء القبليات القديمة ففى باكستان ظهرت الدعوة إلى البشتوية والبنغالية ، والسندية والبلوشية وغيرها من العصبيات الجاهلية[٦] وهكذا حاولوا إحياء الحضارات القديمة التى لا علاقة لها جميعاً بالحضارة الإسلامية[٧] .

يقول جُب فى كتابه « وجهة الإسلام » : وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الإسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون الآن فمثل هذا الاهتمام موجود فى تركيا وفى مصر وفى أندونسيا وفى

---

(١) أبو الحسن الندوى - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ (٢١٥) .

(٢) للأسف الشديد أن صحفيين وكتاباً كثيرين تبنوا فكرة إحياء الفرعونية فى مصر ومعظمهم من النصارى ومنهم كمال الملاخ ، ولويس عوض ، وبطرس غالى ، بل إن توفيق الحكيم ظل طيلة عمره يدعو إلى إحياء المصرية المستمدة من الفرعونية والمعارضة للإسلام ومع أن مصر إذا عزلت عن العروبة والإسلام ، فإنها لا تبقى شيئاً سوى حضارة ماتت واندثرت منذ سبعة آلاف سنة ، ولغة لا وجود لها ، وتراث لا شيء منه ، بل لا تبقى شيئاً سوى تماثيل وأهرامات وأحجار ، وأين كل هذا من الحضارة الإسلامية والنهضة القرآنية التى بعثت روح الحضارة فى أوربا ، فهل الأولى أن نفخر بالإسلام أم نتمسح بالأحجار والأصنام ؟ . ولا ندرى ما الهدف من إحياء هذه العنصريات المقيته التى أماتها الإسلام ووضع بيننا وبينها حجاباً فاصلاً ؟ حين تحدث عن طغيان الفراعنة وكفرهم بالله وادعائهم الألوهية ، ولا شك أن هذه المحاولات التى تقوم بها الصحافة لإحياء الفرعونية ، إنما تصدر عن حقد دفين على الإسلام الذى قضى على هذه النزعة . راجع صـ (١٥٤ ص ٢٣٨) من الصحافة والأقلام المسمومة للأستاذ أنور الجندى .

(٣) وممن ساهموا فى إحياء الفينيقية جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه ، وأمين الريحانى . قارن صـ (٧٦) من مؤلفات فى الميزان - أنور الجندى .

(٤) عمر فروخ صـ (١٧٤)

(٥) د . البهى - عقبات فى طريق الإسلام .

(٦) أبو الأعلى المودودى - بين يدى الشباب صـ (٢٦) - الرياض ١٩٨٣ .

(٧) د . أحمد سمايلوفتش - فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى صـ (١٢٢) .

العراق وفى إيران »[١] . إلا أن الوعى الإسلامى أمات هذه النعرات فى مهدها و لم تؤد المهمة التى أرادها أعداء الإسلام فى تمزيق وحدة العالم الإسلامى وهنا يتحول أعداء الإسلام إلى أسلوب آخر هو : الدعوة إلى القوميات ورفع لوائها باعتبارها انسلاخا عن الإسلام ، فدعوا مرة ثانية : إلى إحياء الطورانية فى تركيا ، والقومية الفارسية فى إيران ، والقومية العربية فى العالم العربى ، والقومية البربرية فى المغرب العربى . وجندوا لهذه الدعوات رجالا من بنى قومنا ولساننا ، وجلدتنا ولكنهم ، رضعوا لبن الغرب النصرانى وتربوا على موائده وفكره[٢] ففى تركيا ظهر داعية من دعاتهم هو « ضياء كوك الب » الذى حاول الدعوة إلى القومية التركية الطورانية ، كما دعا إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب « الإسلام » وتكوينها تكويناً قومياً خالصاً لا يكون الإسلام فيها عنصراً أساسياً فالدين عنده لا يشكل عنصراً من عناصر الحضارة[٣] وظهر من بعده كمال أتاتورك الماسونى الملحد الذى قام بالفعل بفصل تركيا عن العالم الإسلامى ، وقضى على كل مظاهر الحضارة الإسلامية من اللغة العربية . والمساجد والتراث الإسلامى ، ودعا إلى إحياء جاهلية الترك وآدابهم القديمة وثقافتهم البائدة – ونظروا إلى الدين الإسلامى وثقافته ولغته نظرة تشبه نظرة ألمانيا الجديدة إلى الأديان التى جاء بها الأنبياء الغرباء عن الجنس الآرى ، فادعوا أن الإسلام دين طارىء وغريب لا يصلح للترك وأن الأولى بهم أن يعودوا إلى وثنيتهم الأولى قبل أن يعتنق آباؤهم الدين الإسلامى فكعبتهم هى طوران لا مكة[٤] وقرآنهم هو قصائد ومدائح جينكيزخان . وأمجادهم هى فتوحات المغول أجدادهم – لافتوحات صحابة رسول الله ﷺ .

✵ وفى إيران ظهرت الدعوة إلى إحياء القومية الفارسية القديمة بما فيها من لغة وآداب[٥] وأديان كالوثنية والزرادشتيه والمانويه وقام ملك إيران السابق رضا شاه بهلوى بالمجهود الأكبر فى أحياء الحضارة الفارسية والانسلاخ عن الإسلام وتطبيق العلمانية النصرانية التى تحصر الدين فى زاوية ضيقة من زوايا الحياة وتعزله عن مجال التطبيق العملى[٦] .

---

(١) أبو الحسن الندوى – الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (١٨٥) .

(٢) راجع كتاب « أبحاث مختارة فى القومية العربية » لساطع الحصرى وهذه قوميتنا لعبد الرحمن البزاز رئيس وزراء العراق السابق وهما من الكتب الخطيرة التى نادت بفصل الإسلام عن القومية وكلها مغالطات على الإسلام والتاريخ .

(٣) الندوى صـ (٤٢) .

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ (٢١٧) .

(٥) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ (١٣٦ ، ١٣٧) .

(٦) عمر فروخ صـ (١٧٥) .

❁ وفى العالم العربى بث أعداء الإسلام أخطر الدعوات الانفصالية عن الإسلام وهى الدعوة إلى القومية العربية أو فكرة العروبة « التى ألبسوها ثوباً جديداً » وأرادوا لها أن تكون رابطة قومية مناقضة للإسلام بحيث يكون العرب لا صلة لهم بالإسلام ، بل بالعروبة والمسلمون من غير العرب لا صلة لهم بالعروبة ؛ بل بقوميتهم الخاصة .

ويعجب المسلم أشد العجب حين يعلم أن هذه الدعوة قد ظهرت للمرة الأولى فى العالم العربى على يد الجمعية العلمية السورية عام ١٨٤٧ ، وهى جمعية أنشئت بتوجيه وحماية إرساليات التبشير الأمريكى وقد تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة لهذه الفكرة الخبيثة ، كما يقول مايلزكوبلاند مسئول المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط : « فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ولدت فكرة القومية العربية وترعرع دعاتها حتى أن أكثر من تسعين فى المائة من الدعاة للقومية العربية كانوا من خريجى الجامعة الأمريكية »[١] .

ومن هؤلاء الذين حملوا لواء الدعوة القومية : بطرس البستانى الذى أصدر عدداً من المنشورات ، شعارها « حب الوطن من الإيمان » وأسس فى سنة ١٨٦٣ مدرسة خاصة على أساس وطنى تدرس فيها فكرة القوميات الغربية ، وراح يشيد بالقومية العربية ، وبذلك كان أول نصرانى يدعو إلى العروبة . ويتكلم باعتزاز عن الدم العربى الذى يجرى فى عروقه[٢] .

وكان الهدف من الدعوة لهذه الفكرة هو تمزيق الوحدة الإسلامية القائمة فى ظل الخلافة العثمانية ، فقد أثاروا بهذه الدعوة العداوة بين العرب والترك حتى ينفصل العرب المسلمون عن الترك المسلمين ، وبذلك تسقط الخلافة الإسلامية وتنتهى الوحدة الإسلامية[٣] ، وللأسف الشديد وجدت هذه الدعوة آذاناً صاغية عند بعض المسلمين الذين تناسوا نصوص دينهم التى تدعو إلى الوحدة ، وتحرم الفرقة والتنازع .

❁ لقد ضحك أعداء الإسلام على المصريين حين بشروهم بنقل مركز الخلافة الإسلامية من الأستانة إلى القاهرة .

---

(١) لعبة الأمم صـ (٢١٩) .

(٢) د . محمد حسين - الإسلام والحضارة الغربية صـ (٥٦) .

(٣) أنور الجندى - الفكر الإسلامى صـ (٢١١) .

❁ وضحكوا على عرب الجزيرة العربية حين بشروهم بنقل مركز الخلافة إلى مكة ونشبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ وراح الغرب النصرانى يشعل الحماس القومى ويثير العرب على الترك فثار الشريف حسين فى الحجاز وأهل الشام فى الشام ، وانضموا إلى راية الحلفاء النصارى ضد إخوانهم الأتراك المسلمين ، وبعد أن انتصر النصارى فى الحرب تناسوا كل عهودهم مع الشريف حسين ، بل أخذوا قطعة من العالم العربى وأعطوها لليهود ؛ وهى فلسطين .

ولم يتعظ العرب من هذه اللطمة وإنما ساروا وراء الدعوات العرقية التى أثارها أعداؤهم ، فراحوا ينادون بالقومية كأيديولوجية كاملة وديانة لها مفهومها العقدى - ومع هذه الفكرة بدأ الإلحاد ينتشر بسرعة فى العواصم العربية - بعد أن اهتبل الشيوعيون الفرصة . وما أصبح الدعاة لها ينظرون إلى الإسلام كمنقذ للعرب وإنما ذهبوا يستلهمون أمجادهم من ماضيهم الجاهلى السحيق من عاد وثمود .

لقد تبنى الدعوة للقومية العربية : حزب البعث الاشتراكى فى العراق وسوريا الذى أسسه نصرانى حاقد على الإسلام هو « ميشيل عفلق » الذى فصل فكرة القومية عن الدين ، وفى سوريا قام حزب البعث العربى هناك على أساس من الإلحاد والمادية وإحلال الاشتراكية الشيوعية محل الدين[١] حتى كان المذيع من إذاعة دمشق يقول : « آمنت بالله رباً لا شريك له ، وبالعروبة ديناً ما له ثان »[٢] .

أى أن العروبة حلت محل الإسلام ، وأصبحت هى دينهم الجديد. فبدلاً من أن يقول : « آمنت بالله ، رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيا ورسولاً » يضع العروبة مكان الإسلام وليذهب الإسلام إلى غير رجعة .

وفى مصر نادى جمال عبد الناصر بالقومية العربية كرابطة سياسة بين العرب وفى ليبيا مازال معمر القذافى حتى الآن يدندن على فكرة القومية مع أنه كان من المفروض أن يفيقوا إلى الآثار المدمرة التى خلفتها فكرة القومية العربية بعيدة عن الإسلام فقد كانت سبباً من أسباب نكسة العرب وهزيمتهم على يد اليهود .

فقد ظل العرب ينفخون فى فكرة القومية حتى ظن الناس أنها شيئاً وإذا بها مجرد قربة منفوخة مستها إبرة فأفرغت ما فيها من الهواء[٣] .

---

(١) راجع صـ (١٣١) من الصراع بين الفكرة الإسلامية .
(٢) د . على جريشة - دعاة لا بغاة صـ (١٦) .
(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (٧) .

لقد كانت الإبرة هى إسرائيل التى هزمت دعاة القومية العربية ، وعجزت القومية العربية والاشتراكية العلمية ، والشيوعية الماركسية وكل الشعارات الجوفاء عن أن تجمع تمزق العرب وتفككهم ، كما عجزت عن أن تمد العرب بروح التضحية والإقدام لأنهم يوم أن دعوا للقومية فقدوا العنصر الأساسى وهو الإسلام ، وعجز العرب عن مواجهة أجبن خلق الله وأضعفهم ، لأن سلاحهم كان سراباً خادعاً يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً لقد كان سلاح العرب هو القومية العربية والمجد العربى ، والله الذى لا إله غيره لو كان سلاحهم القومية الإسلامية والعصبية لله ولرسوله لكان للعرب شأن آخر .

□ الإسلام والعروبة □

أيها العرب !! هل يستحق منكم الإسلام أن تهجروه وأن تصنعوا به ما صنعتم ؟ تعالوا وانظروا كيف كنتم وكيف صنع الإسلام لكم مجداً خالداً لم تصلوا إليه فى كل تاريخكم القديم ولن تصلوا إليه فى تاريخكم الحديث ما دمتم بعيدين عن الإسلام .

لقد كان العرب ركاماً لا قيمة لهم ولا يحسب لهم أى حساب فى ميزان السياسة الدولية وإذا بالإسلام يؤلف من هذا الركام كياناً جديداً له قيمته وله وزنه وله تأثيره فى السياسة الدولية وإذا بالقرآن يحيى أمة من العدم ويحفظ لها شرفها ومكانتها : ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾[1] .

نعم فالقرآن هو الذى خلد ذكرهم وشرفهم[2] فى العالمين ، كما قال ابن عباس : إن المراد بالذكر هنا « الشرف » أفلا تعقلون أى هذه النعمة وتتلقونها بالقبول كما قال الله تعالى : ﴿ **وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ** ﴾[3] أى شرف ورفعة لك ولهم ، وحقاً لقد خلد القرآن العرب ورفعهم إلى القمة السامقة ، ولقد كان به ذكرهم ومجدهم حين حملوا رسالته فشرقوا بها وغربوا ولم يكن لهم قبله ذكر ، ولم يكن معهم ما يعطونه للبشرية فتعرفه لهم وتذكرهم به ، فلما تقدموا للبشرية بكتابهم عرفتهم وذكرتهم ورفعتهم ، أما إذا تقدموا إليها عرباً فحسب بدون كتابهم ، فذلك لا يساوى شيئاً فى

---

(١) الأنبياء [١٠]   (٢) التفسير الواضح للشيخ محمود حجازى جـ ٢ صـ (٦) .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ (١٧٤) .

تاريخ البشرية ، ولا مدلول له فى معجم الحضارة لأن البشرية ما عرفت العرب ولا ذكرتهم إلا بهذا الكتاب الذى قادوا به البشرية فأسعدهم جميعاً ، حتى إذا تخلوا عنه تخلت عنهم البشرية وانحط فيها ذكرهم ، وصاروا ذيلاً للقافلة يتخطفهم الناس ، وكانوا بكتابهم يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون[1] .

أين كانت الدول العربية قبل الإسلام ؟

كانت مصر وسوريا والشام مستعمرات رومانية تعانى الملكية والاستبداد والاستعباد والاضطهاد الدينى من الرومان ، وكانت شبه الجزيرة العربية قبائل متفرقة متناحرة ، وما أن ظهر الإسلام حتى حرر كل بلاد العرب من الاستعمار الأجنبى وجعل للعرب قيمة بين جيرانهم . من هنا كان على العرب أن يعلموا أن الإسلام هو « روحهم وقلبهم النابض » وبدونه سوف يكونون جسداً ميتاً لا قيمة له مهما تكن ثرواتهم وقوتهم المادية ، فالإسلام هو قومية العالم العربى ، والإيمان برسول الله ﷺ هو قوة العالم العربى[2] ، وإذا كنا نرفض تجمع العرب على أساس العنصر وحده فإننا نرحب باتحادهم وتعاونهم الصادق على أسس الإسلام فالعرب هم مادة الإسلام بلسانهم نزل القرآن الكريم ، ومنهم اصطفى الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، بل إنه من فضل الإسلام على العرب أن جعل حبهم من الإيمان وبغضهم من الكفر يقول رسول الله ﷺ « **حُبُّ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ الإِيمَانِ وَبُغْضُهُمَا مِن الْكُفْرِ وَحُبُّ العَرَبِ مِنَ الإِيمَانِ وَبُغْضُهُمْ مِنَ الْكُفْر** » .

وكما جاء فى حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال لسلمان الفارسى : « **يَاسَلْمَانُ لاَ تُبْغِضْنِى فَتُفَارِقَ دِينَنَا** » ، فقال سلمان : يارسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله ؟! . فقال ﷺ : « **تُبْغِضُ العَرَبَ فَتُبْغِضُنِى** »[3] .

فهذا الفضل الذى جعله الرسول ﷺ للعرب يستلزم منهم أن يقدروا رسولهم حق قدره ، وعليهم أن يعلموا أن عزة الإسلام عزة للعرب ، وسيادته سيادة لهم ، وكيف يكون عربياً من تنكر لرسالة النبى العربى الذى تشرفوا به ؟ !! وكيف يكون عربياً من يدعو إلى عروبة مجردة من الإسلام ؟ ! اللهم إنا نشهدك أن هؤلاء الذين نادوا بالقومية العربية مجردة من الإسلام ، ليسوا بعرب ولا مسلمين ، وإنما هم أعداء للعروبة وللإسلام حتى ولو تحدثوا بلغتنا وتجنسوا بجنسنا وانتسبوا إلى ديننا .

---

(١) الشيخ سيد قطب فى ظلال القرآن صـ (٤٢٣٧) .

(٢) ماذا خسر العالم صـ (٣٠٠) وما بعدها . (٣) راجع صـ (٨٠) من أساليب الغزو الفكرى .

□ آثار ونتائج النعرات القومية □

لقد كان للدعوات القومية أسوأ الآثار على العالم الإسلامى ، ومنها :

١ - تمزيق وحدة العالم الإسلامى :

فبعد أن كان العالم الإسلامى كله رجلاً واحداً وقومية واحدة أصبح قوميات ونزعات كثيرة متعارضة ، و لم يكتف أعداء الإسلام بذلك ، بل إنهم بعد فترة من إحياء النزعات القومية قسموا أرض المسلمين على أساس منها ، إلى مجموعات مختلفة[١] وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية قسموا العالم الإسلامى إلى دول ودويلات وإمارات وصلت إلى سبعين وطناً ، ووضعوا بين كل دولة حدوداً جغرافية ، وبذلك ضاعت هيبة العالم الإسلامى وأصبح أعداء الإسلام قادرين على ضرب كل دولة على حدة .

٢ - الإجهاز على الخلافة الإسلامية :

فعلى الرغم من ضعف الخلافة بسبب مؤامرات اليهود والنصارى إلا أن السلطان عبد الحميد حاول أن يحافظ على ما بقى من الخلافة بإحياء فكرة الوحدة الإسلامية[٢] .

وكان من الممكن أن يتوحد المسلمون مرة ثانية لو أنهم التفوا حول السلطان عبد الحميد ، إلا أنهم راحوا يدعون إلى القوميات التى وسعت الشقة بين العرب والأتراك وبين العرب والفرس ، وبذلك تمزق العالم الإسلامى وبالتالى ضاعت الخلافة الإسلامية .

يقول الأستاذ محمد حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية :

« كان للإنجليز هدف واحد هو إضعاف العصبية الدينية وتمزيق أوصال المسلمين فى مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحداً واحداً فالمصريون أحفاد الفراعنة واللبنانيون أحفاد الفينيقيين ، والعراقيون أحفاد الآشوريين ، والحجازيون أحفاد العرب وأحق الناس بالقيام على خلافة الإسلام وذلك إغراء لهم بالانتفاض على الترك ومساعدة

---

(١) د . محمد البهى - عقبات فى طريق الإسلام صـ (٤) .
(٢) باول شمتز - الإسلام قوة الغد صـ (٩٨) .

الإنجليز على إسقاط الدولة العثمانية ، وكانت الدولة العثمانية ، برغم ما بليت به من انحلال ، قوة روحية عظيمة وكانت قادرة على جمع كلمة الشعوب باسم الدين ضد بريطانيا وشقيقاتها من دول الاستعمار الأخرى »[1] وهكذا أصبحت القوميات أداة بين أيدى أعداء الإسلام للسيطرة على البلاد الإسلامية وتأليبها بعضها على بعض بهدف إضعاف وحدتها الروحية[2] وتمزيق الخلافة الإسلامية .

٣ - إحلال القوميات محل الدين :

وهذا ما كان يحلم به (لورانس) منفذ سياسية بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى يقول : « وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا وفي الحج ، وأتساءل هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية ، وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني وبمعنى أصح هل تحل المثل العليا السياسية محل الوحي والإلهام »[3] .

وهذا ما تحقق بالفعل ، فبعد أن كان المسلمون يستمدون وجودهم وتشريعهم على أساس الإسلام حلت القوميات محل الدين ، ووضعت قوانين ودساتير على أساس من المصلحة القومية والسياسية دون ارتباط بشرع الله حتى أصبحت كلمة قومية : تعنى اللادينية .

٤ - جعلت المسلم يفكر فى وطنه قبل عقيدته وفى جنسه قبل دينه ويقدم الكافر إذا كان من عنصره أو وطنه على المسلم من عنصر آخر أو فى بلد آخر ، ويسمى المسلم أجنبياً ويتعامل معه معاملة الأجانب[4] .

وخذ على هذا بعض الأمثلة الواقعية

لو أن حربا بين دولة عربية (العراق) ودولة أخرى غير عربية ولكنها مسلمة (إيران) فإن العربى بمقتضى دعاوى القومية العربية سوف ينصر الدولة العربية حتى لو كانت هى المعتدية والباغية مع أن ذلك مخالف لنص القرآن الكريم والحديث الشريف .

---

(١) راجع صـ (١٣٦) من (ظلام من الغرب) للشيخ الغزالى .
(٢) د . أحمد عودة - الإسلام فى مفترق الطرق صـ (١٠٠) .
(٣) أساليب الغزو الفكرى صـ (٧٨) .
(٤) د . يوسف القرضاوى - الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا صـ (١٣) .

يقول الله تعالى : ﴿ **وإن طَائفتَان مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإن بَغتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الأُخرَى فَقَاتِلوا الَّتِى تَبْغِى حَتى تَفِيءَ إلَى أَمْرِ اللهِ فإن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وأَقْسِطُوا إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ** ﴾[1] .

ويقول الرسول ﷺ : « **منْ نصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ فَهُوَ كَالبَعِيرِ الَّذِى ردى فَهُوَ يَنْزِعُ بِذَنَبِهِ** » .

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال : « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إلى عَصَبِيّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيّةٍ** » وعن واثلة بن الأسقع قال : قلت يارسول الله ما العصبية ؟ قال : « **أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْم** »[2] .

أرأيت أيها المسلم كيف وصلت بنا النعرات القومية إلى الخروج على نصوص كتابنا الكريم وسنتنا المطهرة .

موضـــوع القـــدس

تعالجه الدول العربية على أنه مسأله قومية بحته ، فهو جزء من العالم العربى وحسب ولم تضع الدول العربية الأبعاد الدينية من حيث إن القدس فيه المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومسرى الرسول ﷺ ومعراجه . فالمسألة أساساً إسلامية[3] ومع ذلك حين عالجتها الدول العربية على أنها مسألة قومية بحته وجدنا دولاً إسلامية تخالف موقف الدول العربية وتتعاون مع إسرائيل مثل إيران فى عهد الشاه الهالك وتركيا .

لماذا يحدث هذا الشقاق بين أبناء الأمة المسلمة الواحدة ؟ لأن تركيا صنعت لنفسها قومية ، وإيران صنعت لنفسها قومية والعرب صنعوا لأنفسهم قومية ، وضاع الإسلام بين القوميات البغيضة ، وعلى أساس المصالح القومية البحتة وقفت بعض الدول العربية مع النصارى ضد إخوانهم المسلمين فى الفلبين ، حيث أيدوا موقف ماركوس الصليبى الذى كان يذبح المسلمين فى المساجد ، وفى مشكلة كشمير وقفت بعض الدول العربية

---

(١) الحجـــرات آيـــة [٩] .

(٢) راجع صـ (٣٧) من كتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٣) الدكتور محمد البهى عقبات فى طريق الإسلام صـ (٧) .

مع الهند الوثنية ضد باكستان الإسلامية ، بل وتنقل الأسلحة إلى الهند الوثنية أثناء غزوها لباكستان المسلمة عبر مصر بلد الأزهر الشريف وقلعة الإسلام !! .

وفى مشكلة إرتيريا وقفوا مع أثيوبيا الصليبية ضد إرتيريا المسلمة وفى مشكلة قبرص وقفوا مع القبارصة ضد الأتراك المسلمين .

أرأيت كيف فرقت القوميات بين المسلمين وجعلتهم يتقاتلون أحياناً ويتخاصمون أحياناً أخرى ، وهذا بسبب ضعف الشعور الإسلامى بين المسلمين .

يقول الدكتور عمر فروخ : « ظهر بوضوح أن هذه الحركات القومية ترمى إلى إضعاف الشعور الإسلامى خاصة بين البلاد الإسلامية ، وإلى قصر الصلات بين بلادنا على العنصر القومى وحده فالصلة بين سورية ولبنان ومصر والجزائر ومراكش تقوم فى رأى الأحزاب القومية على العروبة أو على اللغة العربية وعلى شيء من التاريخ العربى مجرداً من كل صلة بالإسلام ، أما تركيا وإيران وباكستان وأندونيسيا فهى عندهم كالأرجنتين والمكسيك وفرنسا سواء بسواء ، وبعض الأحزاب القومية أو الوطنية كالحزب القومى السورى وحزب الكتائب اللبنانى تنظر إلى اليمن ومصر وتونس كما تنظر إلى فنلنده أما البرازيل والولايات المتحدة وفرنسا فهى أقرب إلى هذين الحزبين من اليمن وطرابلس الغرب[1] .

□ موقف الإسلام من النزعات القومية □

ليس هناك ما هو أوضح من موقف الإسلام فى هذه القضية وموقف الداعين لها ، فالإسلام يجعل وحدة الأمة الإسلامية « فريضة وضرورة » ويجب على المسلم أن يضحى بالغالى والنفيس فى سبيل الحفاظ عليها ، ومن هنا كانت توجيهات القرآن الكريم التى تأمر بالوحدة وتنهى عن التفرق والتنازع : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾[2] .

﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ**

---

(١) التبشير والاستعمار صـ (١٧٦)

(٢) الأنعام [١٥٩] .

إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ، وَلا تَكونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

هكذا تنادى الآية الكريمة بتمسك المسلمين برباط واحد وهو القرآن الكريم فهو حبل الله المتين وهو القادر على توحيد المسلمين . ولا يمكن أن يجتمعوا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة . (ولا تفرقوا) أى لا تصيروا فرقا وشيعا .

كما كنتم في جاهليتكم هذا أَوْسِيٌّ وذاك خَزْرَجِيٌّ . هذا عدنانى وذاك قحطانى وعليكم أن تتذكروا حالكم يوم أن كانت الرابطة بينكم هى رابطة القبلية العصبية ، كيف كان حالكم ، وكيف أكل البغض قلوبكم حتى أكرمكم الله بهذا الدين الذى ألف بين قلوبكم ووحد مشاعركم وجمعكم على كلمة واحدة هى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وقد نزلت هذه الآية فى شأن الأوس والخزرج وذلك أن رجلاً من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم بعاث ، ففعل فحميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وكادت الحرب أن تقوم بينهم ، وعلم النبى بما حدث فأتاهم وراح يسكن ثورة غضبهم وينادى فيهم : « **أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ** » ، وتلا عليهم هذه الآية التى ذكرتهم بالرباط المتين الذى ينبغى أن تكون العصبية له وهو كتاب الله – فإذا بهم يندمون على ما كان منهم ويلقون السلاح ويتعانقون ويعودون إلى وحدتهم الإسلامية(٢) .

وإذا كانت آيات الكتاب الكريم قد أمرت بالوحدة ونهت عن التفرق فإن رسول الله ﷺ يُخرج من نطاق الإسلام كلَّ مفرق للجماعة ، وكل داع إلى عصبية ، أو قومية فيقول المصطفى ﷺ : فيما رواه الترمذى وأبو داود : "**لَيَنتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِن فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْونَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجُعْلِ الَّذِى يُدَهْدِهُ الْخَرَاءَ بِأَنْفِهِ ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُم عَصَبِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ ، إِنَّمَا هُو مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ . النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَم وآدَمُ مِن تُرَابٍ** » .

---

(١) آل عمران [١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥] .
(٢) راجع صـ (٣٧٨) جـ ١ من تفسير ابن كثير وصـ (٤٤٣) جـ ١ من تفسير الظلال .

وعندما سمع رسول الله ﷺ أحد المسلمين الفرس يضرب رجلاً من المشركين فى معركة من المعارك ويقول له خذها مني وأنا الغلام الفارسى التفت إليه المصطفى ﷺ وقال له : « **هَلاَّ قُلْتَ خذْهَا مِنّى وَأَنَا الْغُلاَمُ الأَنْصَارِىُّ** »[1] .

هكذا يرفض رسول الله ﷺ أن يتفاخر أحد بجنسه أو بنسبه فالتفاخر لا يكون إلا بالانتساب إلى الإسلام .

بل إن الإسلام ليجعل وحدة الجماعة الإسلامية فرض عين على كل مسلم حتى ولو رأى المسلمون من خليفتهم بعض السلبيات التى لا تصل إلى حد الكفر ، ومن فرق أمر المسلمين وخرج على خليفتهم فهو كافر حلال الدم ، يقول الرسول ﷺ « **مَنْ رَأى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرَاً فَمَاتَ مَاتَ مِيتَة جَاهِلِيةٍ** » .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ** »[2] .

وقال ﷺ : « **لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بِإحْدَى ثَلاَثٍ ، النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالثَّيبُ الزَّانِى ، والتَّارِكُ لِدِينِه المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ** »[3] .

وعلى هذا فكل الذين دعوا إلى القوميات – من ضياء كوك الب – إلى معمر القذافى فارقوا الجماعة وبالتالى يموتون ميتة جاهلية ، لأنه ليس من المعقول أن يضحى المسلمون بنظام شرعى يقيم حكم الله من أجل بعض الأمور التى كان يمكن تصحيحها بأى طريق آخر غير تقويض وحدة الأمة الإسلامية[4] .

ومن هنا وجب على كل مسلم أن ينكر بقلبه ولسانه كل الدعوات القومية التى ظهرت فى العالم الإسلامى .

وأخيراً فإننا نذكر المخدوعين بهذه الشعارات القومية ، والقومية العربية على الخصوص بأن الأساس الأول والشعار الأوحد الذى رفعه رسول الله ﷺ ليجتمع الناس حوله

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو داود والطبرانى وأحمد والحاكم .

(٣) متفق عليه .

(٤) د . على جريشة دعاة لا بغاة صـ (١٣٧) .

هو كلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وكان من الممكن أن يبدأ بالدعوة إلى القومية العربية وبعد ذلك ينادى فيهم بالتوحيد ، وكان سيجد آذناً صاغية لو نادى بالقومية العربية ، فلقد بعث رسول الله ﷺ ، ومعظم بلاد العرب فى يد الفرس والروم ، ولو أثارها قومية عربية تستهدف جمع قبائل العرب وتوجهها وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة لاستجاب له العرب قاطبه - ومع ذلك لم يبدأ رسول الله ﷺ دعوته إلا بكلمة (لا إله إلا الله) التى أغضبت العرب طوال هذه السنين التى عانى فيها رسول الله ﷺ ما عانى .

لماذا ؟ لأن الله يعلم أنه ليس هذا هو الطريق فليس الطريق أن تخلص الأرض من يد طاغوت رومانى أو فارسى إلى يد طاغوت عربى ، فالطاغوت كله طاغوت . إن الأرض لله ويجب أن تخلص لله ، ولن تخلص إلا إذا ارتفعت فوقها كلمة (لا إله إلا الله)[1] التى تنفى الألوهية عن كل الطواغيت - التى دعيت من دون الله سواء كانت بشراً أو حجراً أو شعارات قومية - وترد الألوهية للإله الحق[2] .

وذلك أن الجنسية التى يريدها الإسلام للناس هى جنسية العقيدة التى يتساوى فيها العربى والرومانى والفارسى والتركى والأرمنى والسلافى وسائر الأجناس تحت راية (لا إله إلا الله)[3] لا فضل لواحد منهم على الآخر إلا بقدر قربه من الله سبحانه وتعالى وتقواه وعمله الصالح ، هذا هو ميزان التفاضل الوحيد داخل الأمة الإسلامية ، فليس الميزان هو الجنس أو العنصر أو الأرض أو المصلحة ، وهذا ما ينبغى أن يعيه المسلمون حتى يفيقوا من حمى الشعارات القومية التى ضيعت الإسلام فى نفوس المسلمين ، فتأخروا وتقدم غيرهم ، وتفرقوا وتوحد غيرهم وهانوا على الله حتى أصبحوا أهون عليه من الجُعْلِ كما تنبأ بذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٢ صـ (١٠٥) .

(٢) دعاة لا بغاة صـ (١٨) .

(٣) فى ظلال القرآن جـ ٢ صـ (١٠١) .

الفصل الخامس

□ إثارة الفتن الطائفية في العالم الإسلامي □

لم يكتف أعداء الإسلام بتمزيق المسلمين فيما بينهم عن طريق إثارة النعرات الطائفية ، وإنما حاولوا أن يدخلوا المسلمين فى صراع دائم مع الأقليات النصرانية التى تعيش فى العالم الإسلامى والتى عاشت طوال مراحل التاريخ الإسلامى متمتعة بحقوقها التى كفلها لها الإسلام .

ولقد كان اصطناع هذا الأسلوب من توجيه القائد الفرنسى (المأسور) لويس التاسع ، فقد أكد على أنه لابد من استغلال نصارى الشرق فى تنفيذ مخططات الغرب ، كما أكد المؤتمر الأوربى الذى انعقد فى برلين سنة ١٨٧٨ على هذا الأسلوب فكان من مقرراته الأساسية :

(١) تحطيم الدولة العثمانية .
(٢) تمزيق البلاد الإسلامية إلى دويلات تقام بينها حدود مصطنعه .
(٣) مساندة وتشجيع المذاهب المناهضة للإسلام .
(٤) دعم الأقليات النصرانية الموجودة فى البلاد الإسلامية واستغلالها فى إثارة الفتن والقلاقل[1] .

وهذا ما حدث فعلاً فى كثير من دول العالم الإسلامى ، وعلى رأسها لبنان والحبشة والفلبين ونيجيريا وتشاد وفلسطين ومصر والأردن ، ففى هذه البلاد أثارت الصليبية نار الحروب الطائفية بين المسلمين والنصارى ، كما حاولت أن تساعد الأقليات النصرانية بكل ما تستطيع من أجل إضعاف المسلمين وزيادة نفوذ النصارى بحيث تتولى الأقليات النصرانية زمام الحكم والتوجيه فى هذه البلاد ، أو على الأقل يكون لها نصيب وافر من المناصب القيادية فيها .

بل تصل أحلامهم أحياناً إلى ما هو أبعد من ذلك حيث يخططون لقيام دول نصرانية مستقلة تنتزع من بين دول العالم الإسلامى ، وهذا ما يمكن أن نفهمه من الخطاب الذى ألقاه غولدمان فى مؤتمر المثقفين اليهود حيث قال ما نصه : « إذا أردنا لإسرائيل البقاء والاستمرار فى الشرق الأوسط فعلينا أن نفسخ الشعوب المحيطة بها إلى أقليات

---

(١) راجع صـ (٣٧) من ما يجب أن يعرفه المسلم .

متنافرة ، تلعب إسرائيل من خلالها دوراً طليعياً ، وذلك بتشجيع قيام دولة علوية فى سوريا ودويلة مارونية فى لبنان ، ودويلة صليبية فى الأردن ودويلة كردية فى العراق ، ودويلة قبطية فى مصر »[1] .

وأظن أن هذا الكلام غنى عن التعليق فقد تحقق معظمه أمام أعيننا ، ففى سوريا قامت الدولة العلوية التى أخذت على عاتقها القضاء على السنيين المسلمين وفى لبنان يقوم النصارى بالقضاء على المسلمين هناك[2] ، ويسير المخطط بدقة فى كل دول العالم الإسلامى التى توجد فيه أقليات نصرانية ، وهذا ما نحاول تفصيله الآن فى بعض دول العالم الإسلامى ، مؤيداً بالوثائق التاريخية .

□ مصـــــر □

يدعى النصارى فى مصر أن مصر هى وطنهم وحدهم ، وأن المسلمين مغتصبون لها منذ دخولها بقيادة عمرو بن العاص ، ولذلك ينبغى طرد المسلمين منها واسترداد البلاد منهم ، وإرجاع ملكيتها إلى أصحابها النصارى ، وعلى هذا الأساس وضعوا مخططهم وأطلقوا على جريدتهم الطائفية اسم « وطنى » وحاولوا السيطرة على ثروات البلد وزيادة عددهم عن طريق تكثير النسل . وسوف نحاول فيما يأتى أن نفصل بعض أساليبهم ثم نحيل القارىء إلى الوثيقة التاريخية التى ذكرها الشيخ محمد الغزالى فى كتابه قذائف الحق : ومن هذه الأساليب :

١ - شراء الأراضي من المسلمين

وهو أسلوب خبيث استخدمه الصهاينه مع عرب فلسطين فظلوا يشترون أرضها حتى ملكوا القدر الأكبر منها ، ثم ادعوا أنها وطنهم وطردوا العرب منها ، وفي مصر بدأ النصارى فى حرب شراء الأراضى ، يقول الشيخ محمد الغزالى : « ونحن نعلم

---

(١) السابق ص (٣٠) .

(٢) وقامت الدويلة الكردية فى العراق بحماية أمريكا وفرنسا وانجلترا مما يدل على دقة التخطيط الصهيونى وأهدافه الخبيثة من حرب الخليج .

أن شوارع بأسرها تكاد تشترى فى مدن مصر وقراها ، لينكمش الإسلام فوق تربتها ، ويتحول المسلمون عليها غرباء »[1] .

إن أسلوب شراء الأراضى من أخبث الأساليب ، ولكى نبصر المسلمين فى مصر بعواقبه نُذَكِّر بما حدث للعرب فى فلسطين وقبرص وسنغافوره ، وألبانيا وغيرها من البلاد الإسلامية التى أصبحت نصرانية بهذا الأسلوب الخبيث .

٢ - محاولة تعويق تطبيق الشريعة الإسلامية :

وهو من الأساليب الخبيثة التى تحاول إبعاد المسلمين عن تطبيق الإسلام فإذا ما طالب أحد من المسلمين بتطبيق تعاليم الإسلام صرخ النصارى وأتباعهم ، وماذا ستفعلون مع النصارى ؟ وكأنه لابد لكى تتم الوحدة الوطنية أن يكفر المسلمون بشريعتهم .

٣ - حرب المنشورات :

لقد شن النصارى فى مصر حرباً بالمنشورات على الشباب المسلم محاولين تشكيكه فى عقيدته ثم تنصيره ، وهذا ما كشفت عنه الأحداث الأخيرة فى مصر .

٤ - تشويه صورة مصر في أوربا :

وقد كشف عن هذا الأسلوب رئيس الجمهورية السابق فى خطابه فى عيد أول مايو سنة ١٩٨٠ حيث أشار إلى أن نصارى مصر قد حاولوا تشويه صورة مصر فى أوربا حيث أرسلوا المنشورات التى تضلل الرأى العام ، والتى تدعى أن النصارى فى مصر مضطهدون ، كما أنهم قد امتنعوا عن إقامة عيد القيامة والاحتفال به من أجل المزيد من تشويه سمعة المسلمين فى مصر ، كما انتهزوا فرصة سفر الرئيس السادات إلى أمريكا وأرسلوا المنشورات المعادية للمسلمين فى مصر .

والحق أن أساليب النصارى فى مصر من الخطورة بمكان ، ولقد استطاع الشيخ

---

(١) قذائف الحق صـ (١٢٢) .

محمد الغزالى بشجاعته المعهودة أن يكشف عنها ، فذكر مخططاً كاملاً لهم ، ونستسمح القارىء الكريم أن يراجع تفاصيل هذا المخطط فى مصدره الأساسى[1] .

ولكن ما يستلفت النظر فى هذا المخطط هو أنه قد تم بتوجيه ومدد من قوى خارجية تتآمر ضد الوحدة الوطنية فى مصر . وهذا ما اعترف به شنوده حين قال : « إن المال يأتينا بقدر ما نطلب ، وأكثر مما نطلب ، وذلك من مصادر ثلاثة أمريكا والحبشة والفاتيكان » .

ثم يقول : « إن القوى الكبرى فى العالم تقف وراءنا ولسنا نعمل وحدنا » ولو أن هذه التصريحات صدرت من رجل من رجال الإسلام لقبض عليه فى الحال ولفقت له تهمة التآمر والتخابر مع جهة أجنبية .

ونحن لا نقول هذا الكلام من باب الإثارة ، وإنما لكى يعود الوعى المفقود عد جمهور المسلمين فى مصر ، ولكى يكشفوا بأنفسهم النقاب عن أخطر مؤامرة تنسج خيوطها الأيدى السوداء للقضاء على كيانها وتاريخهم .

ونذكر بأن الغوغائية والتعصب الأعمى لا تفيد شيئاً . فعلينا أن نتعلم كيف نخدم ديننا ، وكيف نحافظ على بلدنا الإسلامى ، وكيف نتسلح بالوعى فنعمل على إحباط هذه المخططات بالوسائل المشروعة وهى التمسك بمبادىء ديننا الحنيف .

وأن نحاول جاهدين تطبيق تعاليمه تطبيقاً واقعياً ، وقد حددت الشريعة الإسلامية ما للنصارى وما عليهم . وفى هذا الإطار ينبغى أن نسير ، فلا نظلمهم ولا نعتدى عليهم ، ماداموا فى حدودهم ولم يقدموا إلينا ما يستوجب ذلك[2] وإلا فلا .

---

(١) راجع كتاب قذائف الحق صـ (٦٠ : ٦٥) .

(٢) قارن كتاب « أحكام غير المسلمين » د . يوسف القرضاوى .

□ الأردن □

يحاول النصارى فى الأردن إقامة دولة صليبية تكون مهمتها حماية إسرائيل ، ونحاول الآن نذكر الوثيقة الخطيرة التى كشف عنها الأستاذ إبراهيم السليمان الجبهان فى كتابه « ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن التبشير والنصرانية »[1] .

وهو عبارة عن ملخص للمنشور الذى وزعته إحدى المنظمات الإسلامية فى الأردن وقد تضمنت افتتاحيته شرحاً لنوايا نصارى الأردن فى إقامة دولة صليبية ، ترتبط بأوثق الأواصر مع لبنان من جهة ، ومع الدولة الصليبية التى يخطط لإنشائها فى مصر وتكون عاصمتها أسيوط وتشكل معها حزام أمن يحيط بإسرائيل لحمايتها من الدول العربية بعد طرد المسلمين من جميع البلاد المحيطة بإسرائيل وتحويلهم إلى لاجئين . ثم تطرق المنشور إلى الخطوات التى تم تنفيذها وهذه هى خلاصته :

لقد نظم فى الأردن فى الخمسينات مجلس أعلى برئاسة المطران ومساعديه : ولهذا المجلس خبراؤه السياسيون والاقتصاديون والعسكريون ، ويعمل هذا المجلس بتوجيه من مطران لبنان الذى يتلقى بدوره التعليمات من البابا (فى الفاتيكان) وتسانده الدول المسيحية .

أما أهداف هذا المجلس فإنها تتلخص فيما يلي :

١ - شراء الأراضى ، وقد رصد لذلك أموال كثيرة ، ويلاحظ فى عملية الشراء اختيار الأراضى الواقعة على منافذ المدن الكبرى ، ويتبع فى شراء الأراضى أن يشتريها أحد النصارى لنفسه ، وبعد أيام يوقفها على كنيسة معينة .

٢ - بعد شراء الأراضى وإيقافها تقام عليها كنائس يراعى عند تصميمها أن تكون قلاع حربية ، ومستودعات للأسلحة لا أماكن عبادة ، ومن هذه القلاع ما يشرف على منافذ القدس الثلاثة المؤدية إلى رام الله والخليل وعمان .

أما عمان فقد طوقت بقلاع من الأديرة والمستشفيات التى لا تقل فى حصانتها وفى نوعية بنائها عن الكنائس ، منها مستشفى المعشتر ؛ فكنيسة دائرة السير

---

(١) قارن كتاب « أحكام غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى » د . يوسف القرضاوى صـ (٢) وما بعدها .

فمدرسة ودير الفرير ، فمدرسة ودير راهبات الوردية ، فدير جبل الهاشمى ، ثم أراضى شاسعة لمؤسسة ألمانية ، وهذا التخطيط متبع فى كل مدينة أردنية .

٣ - إقامة قرى محصنة على الطرق الرئيسية التى تربط الأردن بالعالم العربى ، ولتحقيق ذلك قاموا بشراء خمس مستعمرات أحدهما فى (وادى الظليل) والثانية قرب قرية (الكفورين) والثالثة قرب مثلث (إربد - الرمثا) والرابعة عند (الموجب) والخامسة عند (رأس النقب) وقد حصنت هذه المستعمرات بخنادق وادى أرضية ، وقسمت إلى أجزاء صغيرة تقام عليها بنايات شعبية تباع على أقساط للنصارى ونظراً لوقوعها فى الصحراء فإنها تستعمل لتدريب الجيش المريمى - وتتراوح مساحة كل مستعمرة مابين أربعة وستة آلاف دونم .

٤ - التغلغل فى الوظائف الحكومية ، والمراكز المدنية والعسكرية . ومن نظر إلى هذا القطاع يذهله التخطيط الدقيق للاستيلاء على المناصب الحساسة وخاصة فى الاستخبارات ، وسلاحىّ : الإشارة والمهندسين ، والسلاح الجوى ، وقد يوجد من المسلمين من يقود أسلحة أخرى ، ولكنهم يختارون من الجهلة وساقطى الهمة لسهولة السيطرة عليهم وتوجيههم بالمال والنساء .

وعلى الرغم من أن نسبتهم العددية لا تتجاوز (٧٪) فإن بأيديهم من الوظائف الحساسة مايزيد عن (٥٠٪) .

وأخطر ما فى الجانب العسكرى ، هو صلة الضباط النصارى فى الجيش بأجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية بواسطة الملحقين العسكريين فى السفارتين الأمريكية والبريطانية .

ولقد قامت هذه العناصر النصرانية (بعد أن أتمت خطتها ، وضمنت بقاء القلاع والتحصينات واحتلال المناصب الحساسة) بتشكيل قوات مليشيا عسكرية باسم (منظمة الجيش المريمى) وتحت شارة كشافة ، ولهذه المنظمة قيادات فى الضفة الغربية ومركزها القدس وفى الضفة الشرقية ومركزها (عمان) ولكل قيادة مركز حربى أعلى ويتولى تدريب هذا الجيش الضباط النصارى فى الجيش الأردنى وفى الأمن العام .

ولقد بلغ تعداد هذا الجيش حتى أواخر عام ١٩٦٦ حوالى عشرين ألف جندى ، ولهذا الجيش دستور طبع فى لبنان ، ومجلة شهرية تحمل اسم مجلة الجيش المريمى تطبع

فى لبنان أيضاً ، وقد منع دخولها إلى الأردن ، ولكن هذا المنع لم يحل دون وصولها بانتظام وبأعداد كبيرة بواسطة موظفى الجمارك من النصارى فى مراكز الحدود . ويحرر الصفحة الأولى منها المرشد الروحانى وهو عادة يختار العناوين المثيرة مثل (القدس عاصمتنا المسيحية) ومثل : (آن لجيشنا أن يخلص البلاد من أعدائه المسلمين) ومثل (ليس لغير المسيحيين حق فى هذه الديار المقدسة) .

ولقد ضبطت السلطات الأردنية أسلحة كثيرة لهذا الجيش ، ولكنها سرعان ما تختفى ولا يعرف مصيرها . بل إن السلاح يتدفق على هذا الجيش من الداخل بواسطة الضباط النصارى فى الجيش الأردنى ومن الخارج بواسطة موظفى الجمارك فى ميناء العقبة ومراكز الحدود .

ولقد قامت قوات هذا الجيش باستفزازات كثيرة . وخاصة فى الاحتفال بعيد الميلاد الذى سبق هزيمة حزيران ، وحمل أفراده صليباً يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار وأخذوا يهتفون بهتافات مثيرة مثل (دين المسيح هو الصحيح) و (لا عربية ولا إسلام) ومثل (آن لجيشنا أن يبرز لرفع علم مريمى على أرض المسيحية ويقيم دولتها) مما يدل على اعتدادهم بأنفسهم واطمئنانهم إلى قوتهم وإلى مساندة العالم المسيحى لهم .

□ لبنـــان □

لبنان بلد إسلامى ، المسلمون فيه يشكلون ما يزيد على ٧٥٪ من سكانه ومع ذلك .. حاولت القوى المعادية للإسلام أن تجعل منه قاعدة أساسية للنصرانية العالمية فى الشرق ، فحاولوا أثناء وجود الخلافة الإسلامية أن يقسموا لبنان إلى دولتين . دولة إسلامية . ودولة مسيحية[١] فى القرن التاسع عشر ثم حاولوا فى القرن العشرين أن يحولوها كلها إلى دولة مسيحية فقام الغرب النصرانى بإحصاء مزور لسكان لبنان أهملت فيه جماهير كثيفة من السكان المسلمين ، ثم ضمت فى الوقت نفسه ألوفا مؤلفة من النازحين إلى الأمريكتين الذين تجنسوا من نصف قرن بالجنسيات الأمريكية المختلفة . واعتبروا جميعاً مسيحيين لبنانيين ، بهذا وبفنون عجيبة أخرى من الكذب والتشويه أمكن جعل المسلمين ٤٨٪ فقط من السكان .

---

(١) عمر فروخ صـ (١٣٨) وما بعدها .

ومن هنا وضعت فى أيدى النصارى كل المناصب القيادية فى الدولة لدرجة أن أصبحت نسبة المسلمين فى الوظائف العسكرية والمدنية والخارجية لا تتجاوز ١٠٪ ، وركز المبشرون جهودهم فى لبنان من أجل تنصير المسلمين هناك وإنشاء وطن قومى مسيحى يعمل بالتعاون مع الوطن القومى اليهودى المقام فى فلسطين[١] .

وهكذا وضعت الخطة ونفذت واعتبرت القلة كثرة ، ومنحتها حقوقاً أدبية ومادية تربو على أضعاف حجمها الحقيقى . وقد تعاون نصارى لبنان مع إسرائيل جهرة وسفكوا الدم الإسلامى هناك أنهاراً ، وأن ما يصنعه حزب الكتائب النصرانى اليوم فى لبنان من الجرائم الوحشية لينذى له جبين الإنسانية . وهو مؤيد من كل القوى المعادية للإسلام .

فأمريكا وفرنسا وإسرائيل تؤيد كل ما يصنعه النصارى بالمسلمين هناك ، ويمدونهم بالسلاح والعتاد من أجل إتمام الخطط فى طرد المسلمين من هناك وتحويلها إلى قاعدة صليبية تقوم بالتعاون مع القاعدة اليهودية . وقد كشف عن هذه الحقائق منشور موجه من الصليبية العالمية إلى نصارى لبنان جاء فيه : (يا من صبرتم على الذل والهوان عبر القرون دفاعاً عن عقيدتكم - يقصد أيام الحكم الإسلامى - أيها الشرفاء لا تنسوا هذه الوصايا العشر :

١ - قد رتبنا لكم أهم الأشياء التى تضمن لكم معيشة حسنة على هذه المنطقة مثل تمليك الأراضى ، والوكالات الأجنبية ، والوضع السياسى ، ويبقى عليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب وتزيدوها مع الأيام .

٢ - إن هذا الوطن لم يخلق إلا لكم ، حتى تجمعوا شملكم وتباشروا حريتكم فاعلموا جيداً أن كلمة لبنانى معناها مسيحى ، أما العرب الذين جاءوا من الصحراء فيجب أن يعودوا إليها .

٣ - جاهدوا للسيطرة على المصايف وأمور السياحة وامتلاك سواحل البحر وأخرجوهم من قراكم كلما أصبحتم أغلبية ، ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطى فى مدينة غير بيروت لا يكون فيها مسلمون ، وذلك عندما تسنح لكم الفرص (ويلاحظ أنهم أنشئوا بالفعل ميناء مسيحى هناك) .

٤ - عليكم بأسباب القوة من رياضة وسلاح ، واكتموا أموركم .

---

(١) الشيخ الغزالى - كفاح دين صـ (٤٦) وما بعدهـا .

٥ – احرصوا على الزعامة الأوربية مثل نشر الكتب والسيطرة على النقابات .
٦ – عليكم بالاتحاد وتناسى الخلافات المذهبية .
٧ – ادرسوا دائماً مخططات المسلمين وتدخلوا معهم لكى تعرفوا ما عندهم .
٨ – ارفعوا رؤوسكم فى كل مكان ، واعلموا بأن كل القوى الجبارة فى العالم الحر تساعدكم وتقف بجانبكم فى أسرع وقت (ولا أدل على ذلك من نزول الأسطول الأمريكى إلى لبنان فى كل أزمة يتعرض فيها نصارى لبنان للخطر) .
٩ – اجتهدوا بالتقرب من ملوك العرب ورؤسائهم بالخدمات الشخصية ، وهذا شىء سهل جداً يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ، ويدر عليكم أموالاً هائلة .
١٠ – إن حركة الجنسية اللبنانية شديدة الأهمية فدققوا كثيراً فى ذلك ، واهتموا بإخوانكم المغتربين والذين نزلوا عليكم من البلدان الأخرى حتى لا تضيع الأغلبية المقررة لكم .[١]

وما يحدث فى لبنان حدث فى الحبشة وفى الصومال وفى الفلبين وفى أندونيسيا التى يعيش فيها ٩٠٪ من المسلمين ومع ذلك تدخلت القوى العالمية ووضعت زمام الحكم والتوجيه بيد النصارى .

ولا نريد أن نفصل هذا الأسلوب فى كل دول العالم ، وإنما نكتفى بما ذكرنا من الأمثلة التطبيقية التى ذكرناها لتبصير المسلمين فى العالم بما يدبر لهم فى الخفاء لعلهم يفيقون من غفلتهم التى طالت . فيضعون الخطة المقابلة التى تدمر مخططات القوى المعادية ، وما كان الإسلام يوماً دين اعتداء أو افتراء ، ولكن حين يصل الأمر إلى فتنة المسلمين فى دينهم وطردهم من بلادهم ، فإن الدفاع يكون فرض عين على كل مسلم .

بل إن مخططات أعداء الإسلام لتصل إلى قمتها حين يقومون بإسقاط الخلافة الإسلامية وهذا ما سوف نفصله فيما يأتى .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس صـ (١٠٦) .

الفصل السادس

□ القضاء على الخلافة الإسلامية □

الخلافة الإسلامية جزء من الدين الإسلامى ، ولا يتم إقامة الدين كاملاً إلا بإقامتها فيجب على الأمة أن تنصب الإمام العادل وأن تنقاد لحكمه ، فهو يجمع شمل الأمة ، ويقيم فيها أحكام الإسلام ويطبق تشريعاته[1] ، ومن هنا كان أول عمل قام به الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ هو اختيار الخليفة من بعده ، ولم يخل عصر من عصور الإسلام من خليفة للمسلمين تنعقد له البيعة ، ويسوس الناس بأحكام الشريعة .

وللخلافة أهمية كبرى فى الإسلام ، ففضلاً عن أنها تقوم بحماية الدين والسهر على تنفيذه ، فهى تقوم على حماية المسلمين وتوحيد كلمتهم بحيث يتمكنون من الدفاع عن عقيدتهم وأوطانهم عندما تنتهك حرماتهم أو يعتدى عليهم .

والخلافة أبوة روحية للمسلمين ، وقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية عبر عنها الشاعر أحمد فارس الشدياق فقال :

للدولة العليا علا ومآثر	يشدوا بها يوم الفخار الآثر
ساست ممالك ليس يعلم وحدها	ولغاتها إلا العليم القادر
سر حيث شئت من البلاد فلا ترى	إلا النعيم وما اشتهاه الناظر

ولقد تسلسلت الخلافة من رسول الله ﷺ إلى الخلفاء الأربعة إلى الدولة الأموية فالدولة العباسية وأخيراً الدولة العثمانية (باستثناء بعض الحركات الانفصالية التى حدثت فى بعض مراحل التاريخ الإسلامى) .

وقد ظهرت الخلافة العثمانية فى وقت كان المسلمون فيه فى أشد الحاجة إليها فقد ضعفت الخلافة العباسية ، وأصبحت مطمعاً لكل طامع – وكانت أوربا تعد العدة للانقضاض على العالم العربى – وقد حدث ذلك بعد انهيار الخلافة العباسية لولا

---

(١) راجع الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ صـ (٨٧) .

خوفها من الخليفة العثمانى فقد كانت الخلافة العثمانية قوة ترتعد لها فرائص أوربا ، وظلت هذه الخلافة خمسة قرون تؤدى الدور الأول والوحيد فى حياة المسلمين[1] مما جعلهم يتطلعون إليها كمركز لرسالتهم . وقائم على دينهم ، وساهر على مصالحهم .

وكان الكثير من هؤلاء الخلفاء يشعرون بمسئوليتهم أمام الله ويعملون ما استطاعوا لخدمة المسلمين ، كما كان هناك البعض الذى قصر فى مسئولياته وأخطأ فى التطبيق ، ولكن مهما كانت أخطاء بعض الخلفاء العثمانيين فقد شكلوا قوة ، وصنعوا للإسلام هيبة فى الشرق والغرب[2] حيث كان ملوك أوربا يتملقونهم ويخطبون ودهم . وهذا ما دفع أعداء الإسلام إلى الخوف من نظام الخلافة ، وبالتالى دفعهم إلى وضع الخطط للقضاء عليها فقد كان اليهود يطمعون فى إقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، وكانت أوربا تطمع فى السيطرة على العالم العربى ، ولكن كيف يصل هؤلاء وأولئك إلى مطامعهم والخلافة الإسلامية ساهرة على حماية حدودها ؟

إذاً فالحل هو أن ينفرط عقد هذه الخلافة فتتحول بلدان العالم الإسلامى إلى دويلات متفرقة يستطيع أعداء الإسلام بعد ذلك أن يلتهموها واحدة بعد أخرى ، وهنا يضع النصارى واليهود الخطة المحكمة من أجل ذلك ، وكانت أبرز خطوط هذه الخطة هى :

١ - ضرب المسلمين بعضهم ببعض عن طريق إحياء النزعات القومية والعنصرية التى مزقت الخلافة الإسلامية وحولت الإخوة إلى أعداء ، فبدأ العالم العربى فى الانفصال عن الخلافة الإسلامية بدافع العنصرية القومية ، والغريب أن يتبنى الدعوة القومية فى مصر رجل ليس من العرب وهو (محمد على) العميل الفرنسى الذى أعلن الانفصال عن دولة الخلافة الإسلامية كما أعلن بشير الشهابى الانفصال بلبنان ، بل نجحت أوربا فى إغراء العرب بقيادة الشريف حسين والى مكة كى يطعنوا الخلافة فى ظهرها أثناء الحرب العالمية الأولى فجروا عليها هزيمة فقدت فيها كل شيء .

وهكذا ضربت أوربا المسلمين بعضهم ببعض حتى أوهنت قوى الكل ، ووقفت هى تجنى الثمار . وهذا ما جاء فى وثيقة وزير المستعمرات البريطانية « لفرحتنا ذهبت

---

(١) عبد الحليم عويس - اللحظات الأخيرة من حضارتنا صـ (٦٩) .
(٢) د . عبد الحليم محمود - أبو البركات الدرديرى صـ (٧) .

الخلافة وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة ، إن سياستنا الموالية للعرب فى الحرب العظمى لم تكن نتائج لمتطلبات تكتيكية ضد القوات التركية ؛ بل كانت مخططة أيضاً لفك السيطرة على المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) عن الخلافة العثمانية التى كانت قائمة آنذاك »[1] .

وكان العامل هو : قيام الحركات المتمردة على الخلافة الإسلامية والمفارقة لجماعة المسلمين مما أضعف الدولة العثمانية وأطمع فيها النصارى الذين أطلقوا عليها اسم « رجل أوربا المريض » وهم الذين دسوا لها السم حتى مرضت ، وبدلاً من إسعاف المريض يجهزون عليه ويقتلونه ؛ بل ويقسمون تركته .

٢ – التآمر اليهودى والدس فى الخفاء : ويعد هذا العامل من أخطر العوامل فقد كان كالسوس الذى ينخر فى عظام الخلافة الإسلامية .

وتعود مؤامرات اليهود على الخلافة الإسلامية إلى القرن الخامس عشر الميلادى ، وهو عصر قوة الخلافة ، فقد استطاعوا أن يدفعوا بفتاة يهودية جميلة إلى السلطان سليمان القانونى الذى أعجب بها واتخذها زوجة له ، وبفضل نفوذها فى القصر زوجت ابنتها (مهرماه) من رستم باشا ، وتمكنت من قتل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) (إبراهيم باشا) ونصبت رستم مكانه ، ثم دبرت مؤامرة أخرى خنقت فيها ولى العهد مصطفى ابن سليمان القانونى من زوجته الأولى بحجة أنه يفكر فى مؤامرة للإطاحة بوالده ، ونصبت ابنها سليم ولياً للعهد وقد استطاعت هذه اليهودية أن تحصل من السلطان سليمان على إذن بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين[2] . وقد استمرت هذه الهجرات إلى أن جاء السلطان عبد الحميد ، وهنا يحاول اليهود إغراءه بالأموال والمساعدات فى مقابل السماح لهم بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين فرفض السلطان وطرد من قصره هؤلاء الذين عرضوا هذا العرض ، ومن هنا بدأ اليهود فى الإجهاز على الخلافة ، وكانوا قد أعدوا عدتهم لذلك من عشرات السنين ، حيث أعلن جماعة منهم إسلامهم وهم « يهود الدونمة » الذين أسلموا خصيصاً من أجل ضرب الخلافة من الداخل ، ومن بين هؤلاء تألف حزب تركيا الفتاة ، وجماعة الاتحاد والترقى التى وضعوا على رأسها يهودياً ماسونياً

(١) راجع صـ (٩٨) من الاستشراق للدكتور محمود زقزوق .

(٢) مصطفى طوران – أسرار الانقلاب العثمانى صـ (٦) .

يعلن الإسلام ظاهراً وهو « كمال أتاتورك » وكان من صفاته أنه شديد الولع بالخمر والنساء ، كما كان ملحداً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر كما كان حاقداً على الإسلام لدرجة أنه رمى المصحف على شيخ الإسلام[1] .

هذا الرجل بهذه الصفات يساعده اليهود والنصارى على الوصول إلى كرسى الحكم فى تركيا ، ومن خلاله يصلون إلى ما يريدونه ، فقد عرض أتاتورك على السلطان عبد الحميد (الذى كان مجرد صورة بعد وصول الحزب اليهودى إلى حكم البلاد) أن يوافق على إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين فرفض السلطان ، ومن هنا قرر أتاتورك خلع الخليفة وإلغاء الخلافة .

وقد شهد لهذه الحقائق كلها وثيقة تاريخية وهى عبارة عن خطاب مرسل من السلطان عبد الحميد فى معتقله إلى أحد شيوخه الذى يدعى محمود أفندى أبو الشامات .

ومما جاء فى هذا الخطاب بعد تقديم التحية والسلام : « أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم ، أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة فى ذمة التاريخ : إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أننى - بسبب المضايقات من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم « جون تورك » وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :

« إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً ، فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين ، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعى أيضاً » وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى ، وأبلغونى أنهم سيعيدوننى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير ..

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (٥٣) .

هذا وحمدت المولى وأحمده أننى لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشىء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة (فلسطين) .. وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولذا فإننى أكرر الحمد والثناء على الله المتعال ، وأعتقد أن ما عرضته كافٍ فى هذا الموضوع الهام ، وبه أختم رسالتى هذه »[1] .

ولم يكتف أتاتورك بذلك ، بل خضع لتعليمات أربع من أسياده النصارى وهى :

١ – قطع كل صلة بالإسلام .

٢ – إلغاء الخلافة الإسلامية .

٣ – إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد .

٤ – اتخاذ دستور علمانى بدلاً من الدستور الإسلامى[2] .

وفعلاً قام أتاتورك بمسح الإسلام من تركيا وصبغها بالصبغة الغربية ، كما قام بقتل كل معارض لاتجاهاته ، وأخيراً ألغى الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤ التى لم تكن منذ وصول الحزب إلى الحكم إلا مجرد صورة لا مضمون لها .

---

(١) راجع صـ (٢٠) من كتاب أبى البركات الدرديرى .

(٢) قارن صـ (٤١) من أساليب الغزو الفكرى .

□ نتائج هدم الخلافة □

كان لهدم الخلافة الإسلامية كثير من النتائج التى عانى منها المسلمون ويعانون حتى الآن ومن هذه النتائج :

١ - تقلص نفوذ المسلمين فى العالم فقد كانت كثير من بلاد أوربا تقع تحت سلطان خليفة المسلمين وهى : اليونان - بلغاريا - رومانيا ، ووقف العالم النصرانى يطالب بتحرير هذه البلاد من الحكم العثمانى ، وتم لها ما أرادت .

٢ - وصول اليهود والنصارى إلى أهدافهم ، فقد وصل اليهود إلى فلسطين وأسسوا الوطن القومى الذى رفضه السلطان عبد الحميد ، كما وصل النصارى إلى أغراضهم فى استعمار العالم العربى وقطعوا أوصاله حتى لا تقوم له قائمة بعد ذلك .

٣ - نزلت تركيا عاصمة الخلافة من دولة فى الدرجة الأولى يعمل لها ألف حساب إلى دولة من الدرجة العاشرة ولا يؤبه لها . ولا يحسب لها أى حساب ، وتحولت من دولة إسلامية تتزعم العالم الإسلامى إلى دولة لا دينية ولا قيمة لها عند المسلمين ، وفى الوقت ذاته شعر المسلمون باليتم الروحى والسياسى بعد انتهاء الخلافة وانقطاع الرباط المتين الذى انتظم عشرات الشعوب . وبعد أن كان المسلم يشعر بأن له قوة سياسية تدافع عنه أمام القوى العالمية ، أحس بأنه غريب ضعيف يتخطفه الأعداء من كل جانب .

ولذلك نلاحظ أن الدم الإسلامى هو أرخص الدماء فى العالم ، يراق بلا حساب من أجل أتفه الأمور ، لأن المسلمين أصبحوا أقليات فى مواجهة التكتلات العالمية ، ولذلك لابد من نظام يلم شمل المسلمين ، ويجمع ما تبعثر من قوتهم ، لابد من عودة الخلافة الإسلامية إذا كان المسلمون يريدون لأنفسهم ولدينهم العزة والكرامة .

الفصل السابع
□ التدخل في نظم الحكم في العالم الإسلامي □

منذ دخل الاستعمار الغربى إلى العالم الإسلامى سيطر على مقاليد الحكم فى البلاد الإسلامية إلا أن المقاومة الإسلامية جعلت المستعمر الأجنبى يتكبد كثيراً من الخسائر وسببت له ضوائق اقتصادية كبيرة ، ولذلك قرر الإنجليز والفرنسيون فى سنة ١٩٤٧ الإجلاء عن معظم الدول الإسلامية التى كانت تفرض سيطرتها عليها ، وأرسلت هاتان الدولتان رسالة سرية إلى أمريكا بهذا الخصوص حتى تستطيع أن تعد نفسها للهيمنة على هذه المناطق خوفاً من التقدم الروسى فيها[١] ووافقت أمريكا على الفور ولكنها غيرت صورة الاستعمار ، ذلك أن الشعوب لم تعد تحتمل أن ترى السترة الصفراء الأجنبية تحكمها مهما كان الثمن ، ومن ثم غيرت أمريكا من التكتيك والأسلوب ، وبدأت الهيمنة عن طريق التدخل الخفى فى أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى ، وإعداد طبقة من أبناء أهل البلاد يعدونهم ويسلمونهم مقاليد الحكم فى بلادهم على أن يكونوا مجرد أدوات فى يد الغرب النصرانى يقومون بخدمة مصالحه ، وينفذون مخططاته فى ضرب الصحوة الإسلامية إذ أنهم يختارون بدقة وإمعان .

– فلابد أن يكونوا من المعجبين بالحضارة الغربية الراضعين للبنها والمتربيين على موائدها[٢] .

– ولابد أن يكونوا من أصحاب الاتجاهات المعادية للإسلام إن لم يكونوا من المرتدين عن الإسلام .

يقول مايلزكوبلاند – مستشار لجنة تخطيط السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية والمخابرات المركزية – : « ونتيجة لذلك فقد بدأ تركيزنا على فسح المجال أمام وصول « النوع الملائم » !! من القيادات إلى السلطة وتسلمها

---

(١) مايلز كوبلاند – لعبة الأمم صـ (٥٨) .

(٢) راجع صـ (٢١٤) من الصراع بين الفكرة الإسلامية ٨ و صـ (٢١٦) من إبراهيم خليل أحمد .

مقاليد الحكم فى داخل أوطانها بينما نكون قد أنجزنا دراسة مخططاتنا وحددنا أهدافنا فى المنطقة بكل دقة ووضوح »[١] .

ويقول : « ومذكرات الحكومة الأمريكية عام ١٩٤٧ أشارت بوضوح وتأكيد إلى أن أجهزة المخابرات والسلك الدبلوماسى كانت على وشك القيام بتغييرات فى قيادات بعض دول الشرق الأوسط »[٢] ونتيجة لذلك بدأت لعبة الانقلابات العسكرية فى العالم الإسلامى ، والتى يصنع المخابرات المركزية أبطالها ورجالها الذين يكونون ممن يتعلق بهم آمال الأمة فيمتصون ما يمور فى باطنها ، وما كان يمكن أن يؤدى إلى ثورة فى غير صالحها وينحرف بهذه القوة داخل الشعوب عن أهدافها التى تتحقق فيها مصالح الغرب[٣] .

وعلى هذا الأساس قام انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا ، وانقلاب الشاه ضد (محمد مصدق) فى إيران ، وتولية كميل شمعون أمور الحكم فى لبنان ، ونورى السعيد فى العراق . ومن قبل ذلك كان انقلاب كمال أتاتورك فى تركيا سنه ١٩٠٨ وأما فى أفريقيا فقد نصب الاستعمار قبل مغادرته البلاد حكومات أكثرها من الصابئين إلى النصرانية مع أن الكثرة المطلقة من أهل هذه الدول مسلمون .

يقول موريس ياكارنى : « إن الكنيسة الكاثوليكية هى التى كونت معظم القادة السياسيين الذين حملوا لواء الاستقلال : السيد نكروما فى غانا ، والسيد تسيرارانا رئيس جمهورية مدغشقر ، وقادة الكونغو البلجيكى « والسيد السيون ديوب ، الذى يمتد نفوذه الفكرى على كل القارة الأفريقية . والسيد ياس فى ساحل العاج ، والسيد كوتمبو فى فولتا العليا[٤] .

وهكذا يعترف هذا النصرانى بأن الكنيسة هى التى أعدت رجالات الحكم والتوجيه فى أفريقيا بحيث أصبح هؤلاء هم الأدوات التى ينفذ بها الغرب النصرانى كل مخططاته فى العالم الإسلامى ، بل أن الاستعمار الصليبى قد لجأ إلى خطة بارعة فى بعض بلدان العالم الإسلامى ، حيث ترك الشيوعية تضرب الإسلام ، وأعانها ومكن لها ، حتى إذا أوشكت أن تستولى على الدولة تدخل هو فى الوقت المناسب وتعاون مع إدارة إسلامية

---

(١) كوبلاند صـ (٦٣) . (٢) السابق ونفس الموضع .
(٣) أساليب الغزو الفكرى صـ (٤٨) .
(٤) الحياة الكاثوليكية صـ (٦٦) .

ضعيفة ومهد لها طريق الحكم على شرط أن تسير فى الفلك الغربى النصرانى وهذا ما حدث فى أندونيسيا والسودان[1] فى عهد سابق .

وهكذا يتضح لنا أن معظم دول العالم الإسلامى قد وقعت فريسة لهذا الأسلوب الخبيث الذى استبدل بالسترة الصفراء الأجنبية السترة الصفراء المحلية .

وسوف نختار دولاً ثلاثة نبين فيها كيف نفذ هذا الأسلوب وهى :

(ســـوريـــا – مـصـــر – أنـدونيســـيا) .

□ ســـوريـــا □

بدأت لعبة التدخل فى نظم الحكم فى العالم العربى بسوريا وكان يحكمها آنذاك شكرى القوتلى والذى حاولت المخابرات الأمريكية استقطابه ، ولم تستطيع ، فعقدت العزم على اختيار شخصية أخرى لحكم سوريا تعمل تحت ستار المخابرات الأمريكية فاختارت قائداً من قواد الجيش هو حسنى الزعيم ورتبت له انقلاباً وصل به إلى الحكم .

يقول كوبلاند : « كان انقلاب حسنى الزعيم يوم ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩٤٩ من إعدادنا وتخطيطنا ، فقد قام فريق العمل السياسى بإدارة الميجر ميد بإنشاء علاقات صداقة منتظمة مع حسنى الزعيم ، الذى كان رئيساً لأركان الجيش السورى ومن خلال هذه الصداقة أوحى الميجر ميد لحسنى الزعيم بفكرة القيام بانقلاب عسكرى اضطلعنا – نحن فى السفارة – بمهمة وضع كامل خطته وإثبات كافة التفضيلات المعقدة »[2] .

وفعلاً قام هذا العميل بانقلابه وحددت له السفارة الأمريكية أسماء الوزراء وأسماء السفراء الذين سيرسلهم إلى الدول إلا أن حسنى الزعيم قد غير سياسته مع المخابرات الأمريكية مما دفعهم إلى التفكير فى غيره ودبروا مؤامرة لقتله حيث ساعدوا سامى الحناوى وأديب الشيشكلى على القيام بانقلاب أسفر عن قتل حسنى الزعيم ، وتولى أديب الشيشكلى[3] .

---

(١) الشيخ الغزالى : الدعوة الإسلامية صـ (٩٦) .

(٢) لعبة الأمم صـ (٧٣) . (٣) السابق صـ (٧٦) .

وافتضحت اللعبة الأمريكية هناك وعرف الجميع أن (حسنى) كان مجرد صبى من صبيان الأمريكان .

وقد أخذت أمريكا درساً استفادت منه ، وهو أنه ليس من اللازم أن تفصح عن وجهها فى تأييد أى زعيم يعين من قبلها فى أى دولة إسلامية ، بل من الضرورى أن يظهر هذا الزعيم بمظهر يستحيل معه القول أنه صنيعة لهم ، وأن يتصرف بطريقة لا تظهر أى انسجام مع أذواقهم وميولهم يقول : كوبلاند : « إن مساعدتنا لأى زعيم للوصول إلى سدة الحكم والبقاء هناك حتى يتحقق لنا بعض المصالح التى نريدها لابد أن ترتطم بالحقيقة القاسية ، وهى أنه لابد من توجيه بعض الإساءات لنا حتى يتمكن من المحافظة على السلطة ويضمن استمرارها ، كما أن هيكل النظام السياسى الذى يتبع ذاك الحكم لابد أن يكون طبيعياً وفطرياً وغير مصطنع ، وبالتالى يجب أن يتضمن بعض العناصر التى تضمر عداءاً لمصالحنا »[١] وبهدى هذه المبادىء الجديدة بدأت لعبة الانقلابات فى سوريا وفى غيرها تأخذ شكلاً جديداً فقد يعلن النظام القائم سياسة شيوعية أو يوجه الشتائم إلى النظام الغربى ، ولكنه فى الوقت مرتبط فى الخفاء بالسياسة الغربية أو الصهيونية ، ولا أدل على ذلك من حكومة حافظ أسد الحالية فهى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالصهيونية العالمية وهى التى مهدت لإسرائيل طريق النصر سنة ١٩٦٧ ، وحافظ أسد هو الذى أعلن عن سقوط القنيطرة قبل أن تسقط حقيقة ، وهو الذى سلمهم الجولان لقمة هنية ، وهو الذى ينسق معهم فى لبنان ، ومع ذلك فظاهر نظامه غير باطنه[٢] .

وإن ما قام به نظام حافظ أسد من القضاء على الاتجاهات الإسلامية وقتل الإخوان المسلمين والتمثيل بجثثهم وما أحدثه فى مذبحة حماة[٣] لأكبر دليل على عمالته للقوى المعادية للإسلام .

---

(١) السابق صـ (٧٩) .

(٢) راجع التفاصيل فى كتاب سقوط الجولان لضابط المخابرات السورية خليل مصطفى .

(٣) راجع كتاب مذبحة حماة .

□ مصــــر □

كانت مصر تتنازعها ثلاث قوى (القصر الملكى الحاكم ، وجماعة الإخوان المسلمين ، ورجال الجيش من الضباط الأحرار) وبدأت أمريكا توجه نظرها إلى مصر تريد أن تتعاون مع أى قوة تحافظ على سلامة مصالحها .

فَمَعَ مَنْ تتعاون ؟ !

من رابع المستحيلات أن تتعاون مع أى اتجاه إسلامى ، لأن استراتيجيتها البعيدة هى القضاء على الإسلام ومن هنا اتجهت إلى الملك فاروق وحاولت أن تستخدم معه ما يسمى بالثورة السلمية التى تغير بعض الأوضاع فى مصر ، ولكنها فى الوقت نفسه تلعب الدور الغربى فى المنطقة إلا أن فاروقاً كما يقول كوبلاند : « كان فاقد القدرة على تركيز أفكاره ، وكم من جلسة أبدى فيها تفهماً عميقاً لما يدور فى مملكته ، ووافق على اتخاذ بعض الإجراءات الأساسية فى خطة روزفلت ولكن كان فى اليوم التالى يختفى عن الأنظار مفضلاً ممارسة هوايته فى العربدة والجنس وضارباً عرض الحائط بكل ما اتفق عليه فى اليوم السابق »[1] .

وفى هذه الأثناء كان الجيش يغلى بالثورة ضد فساد الملك والقصر ، وكان هناك تنظيم الضباط الأحرار الذى يخطط لقيام ثورة تخلص مصر من الحكم الفاسد ، ومن الرأسمالية المستغلة .

وهنا تحاول المخابرات الأمريكية أن تستقطب هذه الحركة لصالحها فالتقت ببعضهم وحاولت أن تثنيهم عن عزمهم وأن تستبدل الثورة ببعض مظاهر الإصلاح ولكنها فشلت فى ذلك وهذا ما أورده كوبلاند فى كتابه نقلاً عن تقرير المخابرات الأمريكية الذى قدمه روزفلت والذى يقول فيه : « لم يعد هناك أى أمل فى إبعاد الجيش عن القيام بانقلاب قريب ، وإثنائه عن عزمه على استلام السلطة ، رغم كل التحفظات التى كان يبديها واضعوا مخططاتنا فى واشنطن ، من أن تكون النتائج مشابهة لما جرى فى سوريا على أيدى العسكريين »[2] .

---

(١) لعبة الأمم صـ (٨٥) .

(٢) صـ (٩٢) .

بل إن الحكومة الأمريكية لم تعلم بوقوع ثورة سنة ١٩٥٢ إلا من الصحف كما يقول كوبلاند « لم تعلم الحكومة الأمريكية بوقوع الانقلاب إلا من الصحف الصادرة صباح يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولكن سبق هذا سيل من المعلومات تدفق من خلال تقارير وكالة المخابرات المركزية تشير إلى أن أحداثاً ما ستقع فى مصر بدون تحديد زمانها أو تحركاتها[١] .

بل يشير كوبلاند إلى أن أمريكا قد أرسلت من طرفها من يدعى « ميد » للتعرف على أسرار الثورة وكيف قامت ، وما هى العقبات التى واجهته[٢] مما يدل على أن المخابرات الأمريكية لم تكن تعلم شيئاً من تفاصيل هذه الثورة ، وبالتالى لم تكن هى المدبرة لها .

بل من المؤكد أن تنظيم الضباط الأحرار فى أصله ونشأته كان تنظيماً وطنياً مائة فى المائة إلا أن المخابرات الأمريكية حاولت استغلاله فى تنفيذ مصالحها عن طريق عملائها وعلى رأسهم محمد حسنين هيكل .

يقول كوبلاند : « زادت العلاقات قوة بين ليكلاند (المسئول السياسى فى السفارة الأمريكية) ، والضباط الأحرار عن طريق حسنين هيكل الذى كان همزة الوصل بينهم ، وقد أصبح هيكل فيما بعد من أقرب المقربين لعبد الناصر فى حين لم يكن آنئذ أكثر من محرر فى صحيفة سياسية يملكها مصطفى أمين أحد أصدقاء عبد الناصر ، وقد هيأ هيكل الجو للعديد من المقابلات بين ليكلاند وقادة الضباط الأحرار بما فيهم عبد الناصر »[٣] . ولكن هل نجحت أمريكا فى استقطاب الثورة أم لا ؟

الواقع أن كوبلاند متناقض مع نفسه فهو فى أحيان كثيرة يشير إلى فشلهم فى ذلك[٤] وفي أحيان أخرى يؤكد أنهم قد استقطبوها[٥] .

وحين فشلوا فى استقطاب الثورة دفعوا عبد الناصر إلى سياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز واعتبروا أن ذلك مكسباً لهم بدلاً من الارتماء فى أحضان السوفييت[٦] ؛ بل إنهم أرسلوا لعبد الناصر ثلاثة ملايين جنيه كمنحة شخصية فرفضها لنفسه ، وأقام بها برج القاهرة إلا أنهم اعتبروا أن سياسة الحياد الإيجابى ، وموقفه العدائى من الإسلام ،

---

(١) السابق صـ (٩٤) .
(٢) السابق صـ (٩٩) .
(٣) السابق صـ (٩٦) .
(٤) (٥) راجع صـ (١٧٠) وصـ (١٩٠) .
(٦) السابق صـ (١٩٢) .

وقضائه على جماعة الإخوان المسلمين مكسباً لهم ، ومع ذلك فقد قرروا الإطاحة به[1] حين فشلوا فى توجيهه لخدمة مصالحهم ومصالح الصهيونية العالمية فحاولوا القضاء عليه عن طريق هزيمته على يد اليهود ، ولما لم يسقط عبد الناصر بعد حرب ١٩٦٧ كانت المحاولة الأخيرة هى قتله واستبدال آخر به يسير فى فلك الصهيونية العالمية وينفذ كل مخططاتها ، ومات عبد الناصر فجأة مما جعل بعض الصحف الصادرة فى مصر بعد ذلك تقول : إن موته لم يكن طبيعياً ، وإنما دست له المخابرات الأمريكية السم عن طريق المدلك الخاص له .

وعلى الرغم من أن هذا الكلام لا دليل عليه ولا برهان إلا أن ما حدث بعد ذلك فى مصر من تغيير السياسة المصرية واتجاهها كلية إلى أمريكا وإسرائيل كان دليلاً آخر على تدخل الصهيونية والنصرانية فى نظم الحكم فى مصر[2] .

وأخيراً فقد تولى الحكم رجل من أبنائها الأعزاء الذى يحاول بكل ما يستطيع من قوة أن يصلح ما أفسده السابقون .

□ أندونيسيا □

أندونسيا دولة مسلمة بنسبة ٩٠٪ ولكنها فى ظل الاستعمار الهولندى تعرضت لحركة تنصير واسعة النطاق وعزلت عن العالم الإسلامى ، ومنعت عنها الكتب الإسلامية ، بل إن الشعب الأندونيسى عزل عن بعضه حتى تستطيع النصرانية افتراس كل جزء على حدة .

ولكن المسلمين لم يستسلموا لهذا البلاء وقاوموه حتى تمكنوا من الظفر بحريتهم فاستقلت أندونيسيا سياسياً وقام فيها نظام نيابى ظفر فيه حزب (ما شومى) المسلم بكثرة المقاعد وتألفت حكومة إسلامية يرأسها السيد « محمد ناصر » ولكن النصرانية الحاقدة لم يعجبها أن تكون أندونيسيا دولة مسلمة ، تحكمها حكومة مسلمة فاصطنعت أسلوبها المعروف حتى مكنت عميلاً من عملائها هو « سوكارنو » من الوصول إلى كرسى الحكم وهو رجل معروف بانحراف العقيدة واعتناق الشيوعية إلا أن الحزب الإسلامى قاوم حكم سوكارنو ، وأعفاه من منصبه مما جعل الصليبية

---

(١) السابق صـ (٢٩٩) .

(٢) راجع بالتفصيل لعبة الأمم والسادات للأستاذ محمد الطويل .

العالمية تنتهز هذه الفرصه وتضع عميلاً آخر هو « سوهارتو » الذى حكم البلاد بطريقة ترضى الصليبية العالمية[1] .

ونكتفى بهذه النماذج التطبيقية على أسلوب تدخل أعداء الإسلام فى أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى مع التنبيه على أن ما حدث فى مصر وسوريا وأندونيسيا قد حدث مثله فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا والعراق وإيران وغيرها من دول العالم الإسلامى . فمعظم حكام المسلمين الآن دائرون إما فى فلك الشيوعية وإما فى فلك الرأسمالية الغربية أو الصهيونية العالمية وكلها مسميات لمسمى واحد هو « عدو الإسلام » .

(١) راجع صـ (١٢٨) من قذائف الحق وصـ (١٤٠) من الصراع للندوى .

الفصل الثامن

□ التدخل فى مناهج التعليم فى العالم الإسلامى □

لم يكتف أعداء الإسلام بتوجيه الشباب المسلم توجيهاً مغرضاً عن طريق المدارس والجامعات الأجنبية ، وإنما حاولوا أن يتدخلوا فى مناهج التعليم فى المدارس والجامعات الوطنية ، فوضعوا لها منهجاً يحقق لهم الأغراض التالية :

أولاً : إخراج القرآن والسنة وتاريخ الإسلام من البرامج التعليمية .

ثانياً : تخريج أجيال مضطربة دينياً وعقدياً مرتبطة بالغرب أكثر من ارتباطها بالإسلام .

ثالثاً : تجهيل أبناء الإسلام بلغتهم العربية وبالتالى بتراثهم القديم .

وقد استغل النصارى فرصة استعمارهم للعالم الإسلامى وراحوا يتدخلون فى مناهج التعليم ، حتى وضعوا للمدارس الوطنية منهجاً يقوم على ما يأتى :

١ – اعتبار مادة الدين من المواد الثانوية التى لا تؤثر فى نجاح الطالب أو رسوبه ، ودرجاتها لا تضاف إلى المجموع العام .

٢ – اعتبار اللغة الإنجليزية والفرنسية هى لغة التدريس لسائر المواد من الابتدائى إلى الجامعة .

٣ – التركيز على إحياء الشعور الوطنى والقومى الذى يمزق الشعور الإسلامى .

٤ – العناية بالألعاب الرياضية والأشغال والرسم أكثر من العناية بتدريس الدين الإسلامى .

٥ – وضع تاريخ مشوه للإسلام يدرسه الطلاب مع تحريم تدريس التاريخ الحقيقى للإسلام وفى الوقت ذاته عنى المنهج بالتوسع والإسهاب فى دراسة تاريخ الغرب النصرانى .

٦ – وضعوا فى العلوم الطبيعية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية نظريات زائفة تتعارض بطبيعتها مع الدين .

هذه هى الخطوط العامة لمناهج التعليم فى العالم الإسلامى بصفة عامة وسوف نفصل هذا الإجمال فى دولة إسلامية واحدة هى مصر وعليها تقاس معظم بلدان العالم الإسلامى .

□ مناهج التعليم في مصر □

وقف اللورد كرومر الحاكم الإنجليزى لمصر ومعه دانلوب مستشار وزارة المعارف المصرية يفكران فى هذا الأمر ، ثم انتهى بهم تفكيرهم إلى أنه لابد من أحد أمرين :

– إما تطوير الأزهر وقبوله للمنهج الغربى فى التعليم ومزاحمة العلوم الدينية بأكثر منها من العلوم الدنيوية .

– وإما إنشاء مدارس وجامعات مدنية تدرس علوم الدنيا فقط ولا صلة لها بالدين ووجدوا أن الفرض الأول مستحيل التحقيق فى هذا الوقت فاتجهوا إلى الفرض الثانى فأنشئوا التعليم المدنى وحاولوا أن يرفعوه فوق التعليم الدينى ، حيث أغدقوا على خريجيه وأساتذته الأموال والمرتبات المغرية ، بينما ضيقوا على خريجى الأزهر فكان راتبهم ثلاث جنيهات فقط فى الشهر . هذا من الناحية المادية أما من الناحية المعنوية فقد لجأ الاستعمار الإنجليزى إلى استخدام أجهزة الإعلام فى التنفير والسخرية من طالب الأزهر وأستاذه ، وراحوا يفرقون فى المدارس بين مدرس الدين واللغة العربية ، وبين مدرس المواد الأخرى تفرقة مرسومة الهدف منها هو التنفير من التعليم الدينى ومحاصرته[1] .

وأما فى المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية فقد تولى (دانلوب) النصرانى الإنجليزى وضع مناهج التعليم فيها ، وكان كل همه من وراء هذه المناهج هو نزع اعتقاد الشباب المسلم فى القرآن وقد كان له عبارة اشتهر بها وهى : « متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة » وكان هذا الرجل فى الأصل قسيساً وخريجاً لكلية اللاهوت ، ولك أن تتصور مدى خطورة الأمر حينما يخطط قسيس لبرامج التعليم فى بلد إسلامى ، وضع هذا القسيس خطة التعليم فى مصر ، وإليك خطوطها العامة :

---

(١) راجع الأزهر ودوره فى تكوين علماء نقلت د. محمد البهى وفرن صـ (١٤٠) من كفاح دينى .

١ – جعل اللغة الإنجليزية هى لغة التدريس لسائر العلوم كالرياضيات والتاريخ والجغرافيا والرسم ، وبذلك ضيق على اللغة العربية وحاول القضاء عليها .

٢ – جعل الدين مادة ثانوية ليس لها من الأهمية كمادة الرسم أو الأشغال أو حتى الرقص البلدى فى معاهد الباليه .

٣ – حاول أن يحرر كتب المطالعة واللغة العربية من كل ما له مساس بالدين حتى أنه ألغى كتاب على مبارك ، وعبد الله فكرى « طرق الهجاء » وكانت حجته فى ذلك : أن الكتاب تحدث عن الفضائل الإسلامية ، وأورد قواعد الإسلام وأركانه ، مصحوبة بالحكم والآيات القرآنية ، والأحاديث التى تحث على حب الوطن ، والتعاون ، وإصلاح ذات البين !!! وكان هذا الكتاب مقرراً على الطلاب منذ ١٨٩٤ ولكن هذا الإنجليزى بمكره وخبثه يدعى أن هذا الكتاب غير واف بحاجة التعليم ويوعز إلى بعض أتباعه بكتابة كتاب آخر يتفق مع الأهداف التى يرنو إليها أعداء الإسلام .

كما ألغى (دانلوب) الباب الوارد فى المنهج تحت عنوان « العقائد والعبادات الإسلامية » مدعياً أن كتب المطالعة يجب أن تكون خالية من كل ماله مساس بالدين[١] وللأسف الشديد أن تقوم وزارة التربية والتعليم فى مصر فى هذا العام[٢] بمحاولة حذف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من كتب القراءة ، وترسل منشورات إلى مناطق التربية والتعليم بضرورة استبعاد هذه الآيات من أسئلة الامتحانات .

وهكذا يقوم السيد / فتحى سرور[٣] بتنفيذ ما أوصى به دانلوب من قبل .

٤ – وفى مجال دراسة التاريخ وضع دانلوب منهجاً غريباً يقوم على ما يأتى :

❁ العناية بالتاريخ الغربى ، والتوسع فى دراسته مع إهمال التاريخ الإسلامى ودراسته باقتضاب وإيجاز مخل . فلقد توسع المنهج وأسهب فى دراسة تاريخ نابليون وويلسون وفريزر ونوبار وغيرهم من قادة الغرب النصرانى ، كما توسع فى دراسة تاريخ الثورات الأوربية حيث يدرس الطلاب هذا الكلام فى كل مراحل التعليم الابتدائى والإعدادى

---

(١) الجندى – الفكر الإسلامى صـ (٢٦٢) . (٢) ١٩٨٩م .

(٣) أثناء توليه وزارة التربية والتعليم ، وأما الآن فيقوم علماء المناهج الأمريكيون بتعديل المناهج بهدف إفساد أبنائنا تحت عنوان تطوير التعليم !! وقد قامت أمريكا بتخصيص مبلغ ٥٧ مليون دولار لمركز (تطوير المناهج) الذى يعمل فيه الخبراء الأمريكيون ومنهم « جيرالد فيرس ، بيتر تريمان ، وجوان كبرود ، ليزا نبرت ، كارولينا » وبرئاسة « د . كوثر كوجك» وقد قام هذا المركز أخيراً بحذف انتصارات الرسول ﷺ على اليهود فى معاركه معهم . وقد تم ذلك فى عهد د . بهاء الدين وزير التربية والتعليم .

والثانوى والجامعة لمن يتخصص فى التاريخ وحتى الذين تخصصوا فى التاريخ لم يدرسوا التاريخ الإسلامى تحت عنوانه الصحيح وإنما درسوه تحت عنوان « تاريخ العصور الوسطى » .

وفى الوقت ذاته لا يدرس أبناؤنا فى المدارس تاريخ الإسلام ولا تاريخ رسول الله ﷺ وصحابته العظام خالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح وغيرهم . وما يدرسه الطلاب فى هذا الجانب هو صفات قليلة مقتضبة ومشوهه ، كأنه ليس لرسول الله ﷺ ولا لصحابته مالكلاب الغرب النصرانى « نلسون وولسون » من الأهمية .

وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه بمراجعة المناهج التى تدرس للمسلم فى المدارس الإعدادية والثانوية نجد الأتى :

✲ أوربا	٣٧٠ صفحة
✲ الحضارة الإسلامية	٢٥٠ صفحة
✲ الثورة الفرنسية	٣٥ صفحة
✲ الدعوة الإسلامية	٠٢٣ صفحة
✲ نابليون	٠١٦ صفحة
✲ عمر بن عبد العزيز	صفحة واحدة

وإذا ذهبت تبحث عن مضمون ما ورد عن الحضارة الإسلامية وجدت أن كل ما كتب عنها تضليل وخداع وتشويه فهو منصب على القول بأن المسلمين لم يبتكروا حضارة جديدة ، بل اعتمدوا على اليونان فى فكرهم وحضارتهم[١] .

كما قام هذا المنهج على أساس الدس والخداع حيث وضعوا فى التاريخ الإسلامى كثيراً من الأخطاء منها :

– توسعوا فى الأمور الصغيرة ذات الصبغة الشخصية فى حين اختصروا الأعمال الكبرى العامة ، فقد توسعوا فى المسائل الخلافية وضخموها ، وخاصة تلك الخلافات التى جرت بين على ومعاوية مع اهتمامهم البالغ بالحركات الانفصالية عن الإسلام كحركة ابن طولون والإخشيديين والقرامطة ، وثورة الزنج وغير ذلك من النقاط الساقطة فى تاريخ الإسلام ، وفى الوقت ذاته لم يتحدثوا عن الأعمال العظيمة فى تاريخ المسلمين .

---

(١) سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية صـ (١٢٤) .

- سيطرة الروح القومية على مفهوم التاريخ الإسلامى الجامع .

- دراسة تاريخ الخلافة الإسلامية بعقيدة مدخولة ، حيث جسموا أخطاء الدولة العثمانية وحاولوا إبراز مفاسدها ، وادعوا أن الخلافة كانت هى سر النكبات التى أحاطت بالعالم الإسلامى وصوروها على أنها استعمار ، وصوروا الحركات المتمردة عليها بأنها حركات استقلالية وتناسوا تماما فضائل الخلافة العثمانية حيث رفعت لواء الإسلام خمسة قرون كاملة ولم يستعمر العالم الإسلامى إلا بعد سقوطها .

- وضع كلمة العرب والعروبة بدلاً من كلمة الإسلام والمسلمين .

- إهمال جانب تأثير العقيدة على التاريخ الإسلامى .

- التركيز على المعارك الحربية ، وإهمال الجوانب الأخلاقية والحضارية التى قدمها الإسلام إلى العالم .

هذا هو منهج التاريخ والمقصود منه :

❁ القضاء على عظمة الذاتية الإسلامية التى قدمت الكثير للعالم فى مراحل تاريخها المضىء[1] .

❁ القضاء على إمكانية تمثل الدور التاريخى الذى قام به المسلمون قديماً .

❁ تنشئة أجيال مفصولة روحياً وذهنياً عن تاريخها وماضيها ، فاقدة للثقة بنفسها ورسالتها فلا تفكر فى إعادة الماضى المشرق للإسلام .

وإلى هذه الحقائق يشير المفكر المسلم (محمد أسد) فيقول عن تأثير تدريس مادة التاريخ بهذه الصورة المشوهة أما التأثير الوحيد الذى يمكن أن يتركه مثل هذا التثقيف التاريخى فى عقول الأحداث من غير الشعوب الأوربية ، فإنما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة وبماضيهم الخاص وبالفرص السانحة لهم فى المستقبل ، وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم ، اللهم إلا إذا كان مستقبلاً مستسلماً للمثل الغربية[2] ، وجدير بالذكر أن هذا المنهج الموضوع فى دراسة التاريخ مطابق تماماً للخطة اليهودية فقد ورد فى بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه :

---

(١) السابق صـ (١٣٠) . (٢) الإسلام على مفترق الطرق صـ (٧٢) وما بعدها .

« سنقوم بدراسة المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات ، وبدراسة التاريخ القديم الذى يشتمل على مثل سيئة أكثر من اشتماله على مثل حسنة ، وسنطمس فى ذاكرة الإنسان العصور الماضية التى قد تكون شؤماً علينا ، ولا نترك إلا الحقائق التى ستظهر أخطاء الحكومات فى ألوان فاضحة »[1] .

٥ - وفى مجال دراسة العلوم الطبيعية والكيمائية وضعوا منهجاً يقوم على أساس :

- العداء بين العلم والدين ، فقد حشروا فى هذه العلوم نظريات ادعوا لها العلمية وهى مجرد خرافات إلحادية تهدم الأديان من أساسها مثل خرافة التطور التى أثبتت عشرات الأبحاث بطلانها[2] إلا أنهم مازالوا يدرسونها للطلاب فى كل مراحل التعليم بهدف الإسقاط على الدين وتشكيك النشء فى عقيدته .
- إهمال جهود العلماء المسلمين فى مجال المنهج العلمى والنظريات العلمية ، ونسبة هذه العلوم إلى مفكرى الغرب النصرانى ، مع أن الحقيقة العلمية تقول بسبق علماء الإسلام فى وضع المنهج العلمى وابتكار كثير من النظريات العلمية ، إلا أن المنهج الموضوع لا يشير إلى ذلك حتى لا يشعر الطلاب بقيمة أجدادهم وتراثهم ، بل إنه ينسب هذه العلوم إلى مفكرى الغرب حتى يقدس الطالب الغرب النصرانى ويقدر عظمته وفضله .

٦ - وفى العلوم الاجتماعية والنفسية وضعوا نظريات فرويد ودور كايم وأوجست كونت واليهودى ليفى بريل كحقائق علمية ، مع أنها نظريات باطلة تتعارض مع الدين ، فنظرية فرويد النفسية لا تضع اعتباراً للقيم والأخلاق ، وتحول الإنسان إلى مجرد حيوان لا هم له إلا إشباع شهوته ونظريات دور كايم وأوجست كونت تعتبر الأديان مجرد ظواهر أرضية ناتجة عن الظروف الاجتماعية دون اعتبار للوحى السماوى .

ومع أن علم الاجتماع من العلوم الموجهة التى تعالج المجتمعات بناء على ظروفها الخاصة وأحوالها ، فعلم الاجتماع فى المجتمعات الرأسمالية يختلف عنه فى المجتمعات الشيوعية إلا أنهم فرضوا علمهم علينا على الرغم من أن أصول الاجتماع فى الإسلام تختلف عنها فى أى مجتمع آخر[3] ، والمؤسف أن لا تجد فى أقسام الاجتماع فى الجامعات مادة « اجتماع إسلامى » اللهم إلا فى جامعة الأزهر فقط .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون .

(٢) راجع العقيدة الإسلامية صـ (١٣٥) للمؤلف .

(٣) راجع كتابنا بين علم الاجتماع الإسلامى وعلم الاجتماع الغربى .

٧ – وفى العلوم الاقتصادية فرضوا علينا نظرياتهم الرأسمالية والشيوعية وأهملوا النظرية الإسلامية فى الاقتصاد حتى خرج شبابنا وهم جاهلون تماماً بالمفاهيم الاقتصادية الإسلامية .

٨ – وفى العلوم القانونية درس الطلاب فى كليات الحقوق القوانين الوضعية ولم يعرفوا شيئاً له قيمة من القوانين الإسلامية .

٩ – وفى مجال الدراسات الفلسفية شوهوا تاريخ الفلسفة الإسلامية ، فلم يعترفوا بأن هناك فلسفة إسلامية وادعوا أن فلاسفة الإسلام كانوا مجرد نقلة للفلسفة اليونانية الأوربية .

كان الهدف العام من وضع هذا المنهج هو أن يخرج الطالب فى النهاية وهو يقدس الفكر الغربى ويهمل من حسه وشعوره الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية ثم استمرت تدخلات أعداء الإسلام فى أمور التعليم فى العالم الإسلامى إلى أن وصلوا إلى الغرض الذى كان مستحيلاً على اللورد كرومر أن يقوم به وهو تطوير الأزهر ومسخه من شخصيته الإسلامية . هو وسائر الجامعات الدينية التى حولت إلى جامعات عامة تدرس الدين والدنيا معاً – كما قيل – وقد تم ذلك فى الأزهر وجامعة الزيتونة فى تونس والقرويين فى المغرب .

وفى يوم واحد أقفلت الجامعة الإسلامية فى ليبيا والجامعة الإسلامية فى السودان ثم أعيد فتحها على نطاق ضيق حيث تحولت الجامعة إلى كلية واحدة . وكان هذا العمل الأخير تحت تأثير الشيوعية .

□ خطورة برامج التعليم الحالية □

قلنا إن برامج التعليم المطبقة فى العالم الإسلامى غربية وهذا أمر من الخطورة بمكان كبير ، ذلك أن لنظام التعليم روحاً وضميراً - كالكائن الحى - وأن روح التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم وغايتهم من العلم والحياة ؛ بل هو مظهر لأخلاقهم وقيمهم وهذا ما يعطى نظام التعليم شخصية مستقلة .

ومن هنا فنظام التعليم الغربى لا يمكن أن يصلح لنا ، لأن عقائدنا غير عقائدهم ، ونفسيتنا غير نفسيتهم ، وغايتنا غير غايتهم ، ووجهة نظرنا إلى الحياة غير وجهة نظرهم ، وأخلاقنا غير أخلاقهم . فكيف نطبق نظامهم علينا ؟ !!

إن تطبيق النظام الغربى فى التعليم على العالم الإسلامى أدى إلى صراعات عقلية ونفسية ، وزعزعة للعقيدة والردة الفكرية والعقدية ، بل إلى تغريب العالم الإسلامى ومسخه من دينه وحضارته وهذا هو مقصودهم ، يقول المستشرق (جب) : « إن التجدد والتفرنج إنما هما خاضعان لمقياس نظام التعليم الغربى ومدى سيطرته وتغلغله فى المجتمع الإسلامى الشرقى »(١) .

يعبر محمد إقبال عن خطورة التعليم الغربى فيقول : « إن نظام التعليم الغربى إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة » .

ويقول : « إياك أن تكون آمناً من العلم الذى تدرسه ، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها »(٢) .

ومن هنا وجب على الأمة الإسلامية أن تقف أمام هذا النظام وقفة طويلة بحيث تقلبه رأساً على عقب وتضع لها نظاماً يتناسب مع روحها وطبيعتها وفى تصورى أن وزارة التربية والتعليم ووزارات التعليم العالى فى أنحاء العالم الإسلامى وفى مصر على الخصوص ينبغى أن تقوم بالآتي :

أولاً : رفض المنهج الموضوع للدراسة رفضاً كلياً وإعادة وضعه بصورة جديدة تحقق :

١ - رفع التناقض المقصود بين العلم والدين فى البرامج الدراسية وبيان زيف كل النظريات الإلحادية الموضوعة فى مقررات الدراسة ، حتى لا يتمزق الطالب بين عقيدته وبين فرضيات العلم(٣) .

---

(١) راجع صـ (١٦٧) من الصراع بين الفكرة الإسلامية - للندوى .

(٢) السابق صـ (١٦٩) وقارن صـ (٩٥) من الإسلام قوة الغد العالمية .

(٣) أنور الجندى - الإسلام والتكنولوجيا صـ (١٣٤) .

٢ - تعميم الدراسات الإسلامية والعربية فى المدارس والجامعات مع التوسع فى شأنها وتنويعها إلى مواد مستقلة مختصرة .

٣ - إعادة كتابة مادة التاريخ الإسلامى بما يبرز أمجاد هذه الأمة بشكل صحيح حتى يشعر الشباب المسلم بقيمة تاريخه وعظمته .

٤ - الاهتمام بتدريس اللغة العربية بصورة تتناسب مع مكانتها كلغة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كما أنه لابد من تعريب التعليم الجامعى وخصوصاً فى مجال الطب والهندسة .

وسوف يذكر التاريخ بكل فخر أى قائد أو وزير يقوم بهذه المهمة كما ذكر لسعد زغلول أنه يوم أن تولى وزارة المعارف وكان التعليم فى مراحله الأولى بالإنجليزية أمر أن تدرس المقررات كلها بالعربية .

٥ - لابد أن تهتم وزارة التربية والتعليم فى البلاد الإسلامية بتوجيه مزيد من العناية إلى القرآن الكريم حفظاً ودراسة ، وكفانا بعداً عن ديننا ، فالنصارى الذين أبعدونا عن ديننا كانوا يبنون الكنيسة بداخل المدرسة ، ويفرضون على التلميذ دخولها كل صباح والصلاة فيها ، فلماذا لا نقلدهم ونبنى المسجد بداخل المدرسة ونفرض على الطالب أن يدخله ويصلى فيه ؟ .

أم أننا نقلد فيما يضرنا ولا نقلد فيما ينفعنا ، إن الواقع المؤلم أن وزارات التربية فى أكثر الدول الإسلامية تقف عقبة دون تعليم القرآن ، وكأن بينها وبينه ثأراً ومع أن الاستعمار الذى أبعدنا عن القرآن قد تقلص والحمد لله ، فإنها مازالت وكأن يداً خفية تحركها نحو البعد عن القرآن[1] .

ثانياً : لابد من رفع الازدواجية فى التعليم فلا يكون هناك تعليم دينى وتعليم مدنى وإنما ينبغى أن توحد المناهج على أساس أن يكون للدين برامج دقيقة فى كل مراحل التعليم ولابد على وزارة التربية أن تحدد بصراحة موقفها من الإسلام هل المراد تنشئة الطلاب على تعاليم الإسلام أم لا ؟[2] .

ثالثاً : إعادة صياغة كل العلوم التى تدرس صياغة جديدة تلائم عقائد الأمة الإسلامية ومقومات حياتها ، صياغة تخرج من جميع المواد روح الثورة على الله وروح المادية الغربية .

رابعاً : لابد من إحياء الأزهر والاهتمام به ووضع الخطط التى تعود به إلى قوته فالأزهر هو حياة الأمة الإسلامية .

---

(١) الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله - أبو البركات الدرديرى صـ (٤١) .

(٢) الشيخ محمد الغزالى - كفاح دين صـ (٢٣١) .

الفصل التاسع

□ إبعاد الإسلام عن مجال الحياة □

تمهيد : أدرك أعداء الإسلام أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بما قرراه من تشريعات وقوانين هما مصدر القوة الإسلامية ، وأنه لا أمل في استعباد المسلمين ماداموا يطبقون إسلامهم على حياتهم كنظام اجتماعى وسياسى واقتصادي وأخلاقى .

ومن هنا وضعوا أسلوبا جديداً لمقاومة الإسلام وهو : محاولة إبعاده عن مجال الحياة وإحلال القوانين الغربية محل القوانين الإسلامية ، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من هدم العقيدة الإسلامية وإخراج المسلمين من نطاق التوحيد إلى نطاق الشرك ، ذلك أن الدولة الإسلامية هى جزء من الدين الإسلامى ويستحيل فى عرف الإسلام أن يقوم دين بغير دولة وإلا انهدم الجزء الأكبر من هذا الدين ، وهذا ما قصد إليه أعداء الإسلام حين نادوا في المجتمعات الإسلامية بفكرة إبعاد الإسلام عن مجال التطبيق الواقعى ، والاستعاضة عنه بنظام الغرب وقوانينه ، وهو ما عرف في التاريخ « بالفصل بين الدين والدولة » .

وإمعانا في التضليل والخداع سماها الفكر الغربي « بالعلمانية » وهو اصطلاح يوحي للوهلة الأولى بصواب الدعوة واستقامة الطريق ، فمن الذى يرفض أن يحيا حياة تعتمد في مقوماتها على أساس من العلم الصحيح إلا أن يكون مخبولا ، إلا أن هؤلاء قد انكشف غرضهم حين وضعوا الدين والغيبيات فى الجهة المقابلة للعلمانية ، وقالوا للناس : إما هذا وإما ذلك[1] . ومن هنا أصبح المعنى الحقيقى للعلمانية هو اللادينية أو النظام الذى يستبعد الدين والغيبيات عن مجال الحياة .

وقد تناسى هؤلاء المضللون أن الدين ما هو إلا لون من ألوان العلم اليقينى : ﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ** ﴾[2] . وأن الغيب هو الحقيقة العلمية الوحيدة المستيقنة من وراء التجارب والبحوث ، وأن « العلمية » فى ضوء التجارب والنتائج الأخيرة مرادفة تماما للغيبية فما الذرة والإلكترون والطاقة والكهرباء وغيرها من المصطلحات التى يقوم عليها العلم إلا ضرب من « الغيبيات »[3] .

---

(١) د . عماد الدين خليل – تهافت العلمانية صـ (٣٧) .

(٢) البقـرة الآيـة [١٢٠] . (٣) راجع صـ (١٤٦) من العقيدة الإسلامية للمؤلف .

وعلى أية حال فوضع العلمانية فى مقابل الدين هو ضرب من الجهل بحقيقة العلم والدين على السواء . وهو نوع من التضليل حاول أعداء الإسلام أن يخدعونا به ، فنادوا فى المجتمعات الإسلامية بعزل الدين عن معترك الحياة ، والاكتفاء منه بالجانب العقدى الذى يجعل مكانه الوحيد هو المسجد ، فالإسلام زكاة وحج وصيام وشعائر فقط ، ولا مكان له فى معترك الحياة فهو دين لا دولة ، وعقيدة لا شريعة ، والتزام فردى لا تطبيق جماعى ، فهل لمثل هذه الدعاوى مجال فى الإسلام ؟ .

الحق أننا لن نصدر أحكاما مسبقة ، وإنما سنبحث الموضوع بحثاً منهجيا علميا فنرجع إلى ظروف نشأة الفكرة عند النصارى ثم نتبين ظروف الإسلام وطبيعته وكيف فرضت هذه الفكرة على المجتمعات الإسلامية وما النتائج التى أثمرت عنها ؟

وبعد ذلك نقارن بين النظام الإسلامى والنظام العلمانى وأخيراً نوضح خطورة تطبيق النظام العلمانى على المسلمين .

□ ظروف نشأة العلمانية في أوربا □

نشأت مسألة الفصل بين الدين والدولة فى النصرانية لظروف خاصة بها كدين وبرجالها كدعاة أخطئوا الطريق فى ممارستهم الدينية .

وأما ظروف النصرانية كدين فهى فى حقيقة أمرها ليست أكثر من نظام عقائدى ينظم علاقة المخلوقين بخالقهم ولم تأت بنظام تشريعى جديد ينظم علاقة الناس بعضهم ببعض ، ذلك أن عيسى عليه السلام قد أحالهم فى المسائل التشريعية إلى التوراة مع بعض التعديلات الطفيفة التى وردت بالإنجيل ، ولذلك كان المفهوم الطبيعى للنصرانية أن تحكم بشريعة الله المنزلة فى التوراة مع مراعاة التعديلات التى وردت فى الإنجيل ، إلا أن (بولس) الذى يعتقد النصارى أنه رسولهم قد حاول أن يعمم المسيحية بعرضها على غير اليهود - مخالفا بذلك منهج عيسى وتوصياته فرفض هؤلاء المدعوون دعوة بولس بحجة صعوبة تشريعات التوراة ، فحاول بولس أن يتغلب على هذه الصعوبة فأبطل العمل بتشريع التوراة وحول النصرانية إلى مجرد عقيدة ، وقال للناس إن النجاة لا تكون بالأعمال والتشريعات بل بمجرد الاعتقاد فى أن عيسى هو الإله المخلص للبشر من الذنوب[1] ، ولهذا انتشرت النصرانية بين

---

(١) د . أبو الغيط الفرت - بولس والنصرانية صـ (٥٣) .

الرومان الذين تمسكوا بنشر تشريعاتهم وقوانينهم الوثنية وأخذوا من النصرانية الجانب الروحى فقط .

هنا أصبحت النصرانية مجرد عقيدة لا شريعة ، ومجرد دين لا دولة بمعنى أنك لا تجد فيها نظاماً سياسيا ولا نظاماً اقتصادياً ، فقد تحولت إلى مجرد دعوة للتطهير الروحى فقط وليطبق أتباعها ما يشاءون وهذا ليس رأينا نحن وحدنا، بل هو رأى جميع المفكرين الغربيين الذين يعتد بهم ونكتفى هنا بالإشارة إلى رأى (ما ومان) فى كتابه « رسائل عن الدين » حيث يقول : « إن المسيحية حين جاءت لم تظهر اهتماما بحفظ كيان الدولة ، و لم تحفل بالتشريع و لم تعن بأحوال المجتمع الإنسانى ولذا كانت النتيجة ، إما أن يلقى الناس بأنفسهم بين براثن الفوضى متعمدين وإما أن تكون لهم شرعة سياسية إلى جانب العقيدة الدينية »[1] .

وأما بالنسبة للظرف الثانى : فهو أن دعاة الكنيسة قد تعدوا حدودهم وأعطوا لأنفسهم حقوقا ما أنزل الله بها من سلطان ، فالبابا هو خليفة المسيح فى الأرض وله بهذه المثابة الولاية العامة على عباد الله ، وأوامره فرض واجب على الناس . فهو ومن يوليهم مقدسون . معصومون عن الخطأ ولهم وحدهم حق تفسير الكتاب المقدس ، وهم يشكلون حكومة إلهية[2] ويملكون بأيدهم مغفرة الخطايا والذنوب لمن يشاءون ويبيعون فى الجنة لمن يريدون ، ويصدرون صكوك الغفران[3] من الذنوب ومراسيم الحرمان من الجنة .

وهم أحيانا آلهة ما يحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء وما يربطونه فى الأرض يكون مربوطا فى السماء كما هى نصوص إنجيلهم المحرف .

من هنا أعطى رجال الدين النصرانى لأنفسهم سلطات مطلقة رفعوها فوق سلطة الحكام المدنين حيث تدخلوا فى شئون الحكم . هم الذين يعينون الملك وهم الذين

---

(١) راجع صـ (١٥٩) من الله أو الدمار .

(٢) د . البهى خمس رسائل إلى الشباب المسلم صـ (٥٥) .

(٣) وإليك نص صك من صكوك الغفران « ربنا يسوع يرحمك » « يا فلان » ويحلك باستحقاقك الآمة الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى الملك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضاً من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، وامح جميع أقذار الذنب ، وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وارفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأردك ثانية إلى الطهارة التى كانت لك عند معموديتك ، باسم الأب والابن والروح القدس » راجع صـ (٣٨) من الله أو الدمار .

يخلعونه كما حدث للملك .. هنرى الرابع الذى جرده من سلطاته فاضطر للسفر للفاتيكان ووقف بالباب حافى القدمين حاسر الرأس ، معلنا التوبة ، ثم تفضل البابا فعفا عنه ، ورد إليه اعتباره[1] .

وقد تسبب تدخل القسس والبابوات فى شئون الحكم فى إثارة النزاع مما أغضب رجال الإمبراطورية وجعلهم ينكرون السمو البابوى المطلق ، ويقولون بأن للإمبراطورية سلطانا مطلقا موروثا ولا ينسخ[2] ، وأنه ليس من حق الكنيسة أن تتدخل فى هذا الأمر مما أشعل الحروب والصراعات بين الكنيسة والدولة قرونا طويلة كانت الغلبة فيها أحيانا كثيرة للكنيسة التى صنعت من نفسها حكومة إلهية تباشر سلطتها على أفراد المجتمع أكثر مما تباشره الحكومة السياسية حيث كانت تفرض الضرائب وتملك الإقطاعيات الكبيرة[3] ومن هنا حدثت فى المجتمعات النصرانية ثنائية متعارضة :

سلطة رجال الدولة الحاكمين المدنيين . - وسلطة رجال الدين الحاكمين المقدسين الدولة تريد أن تحافظ على سلطتها وتتوسع فيها ، والكنيسة تحاول أن توسع سلطانها فى مواجهة الدولة .

ومن هنا نشأت المشكلة بين الدين والدولة ، ولكنها لم تظهر إلا حين أن تخاصم الطرفان وامتنع كل واحد منهما عن الخضوع للآخر .

وكانت الكنيسة هى صاحبة السلطة طوال القرون الوسطى فى أوربا حتى قامت النهضة العلمية هناك . وهنا نشأ صراع جديد بين الكنيسة وبين رجال العلم . ذلك أن الكنيسة قد تعدت حدودها فى هذا المجال فألف رجالها فى التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية ، ووضعوا نظريات ادعوا لها العلمية ، وصبغوها بصبغة دينية وعدوها من تعاليم الدين المسيحى وأصوله التى يجب الاعتقاد فيها ، ونبذ كل ما يعارضها ، وكلما وصل العلماء إلى نظرية جديدة ، وجدوا الكنيسة تعارضها بنظرية مقدسة لا يجوز الخروج عليها حتى ولو أثبت الواقع المحس بطلانها .

وكانت هذه هى بداية الصراع المشئوم بين الدين والعلم والذى انهزم فيه الدين المسيحى هزيمة منكرة وسقط رجاله سقطة لم ينهضوا بعدها أبدا ، فقد انفجر بركان

(١) د . نعمان عبد الرازق السامرائى - التكفير جذوره وأسبابه صـ (١١٣) دمشق ١٩٨٤ .

(٢) فشر صـ (١٥٢) .

(٣) راجع صـ (٢١٢) من « الاجتماع الدينى » د . أحمد الخشاب .

العقلية فى أوربا وحطم علماء الطبيعة هذه النظريات الكنسية ، وأعلنوا اكتشافاتهم العلمية التى أثبتتها التجارب الواقعية .

– فقد أعلن جاليليو نظرية دوران الأرض حول الشمس فى مواجهة نظرية الكنيسة فى ثبات الأرض ودوران الشمس .

– وأعلن برنو نظرية الأفلاك المتعددة بناء على الرؤية الواقعية بالمنظار فى مواجهة نظرية الكنيسة فى تحديد عدد معين من الأفلاك .

فقامت قيامة الكنيسة ورجالها الذين كفروا العلماء وحرموا نظرياتهم وصادروا كتبهم واستحلوا دماءهم ، وأنشئوا محاكم التفتيش التى أحصت على الناس أنفاسهم ، وارتكبت من الجرائم الشنعاء ما يندى له جبين الإنسانية ، فقد عاقبت هذه المحاكم ثلاثمائة ألف أحرق اثنان وثلاثون ألفا أحياء كان منهم العالم الطبيعى برنو الذى حكمت عليه الكنيسة بالقتل واقترحت ألا تراق قطرة من دمه وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا وكذلك عوقب جاليليو بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس[1] .

وفى عهد قسطنطين وخلفائه كانت العلوم تعتبر نوعا من السحر أو الخيانة وكانت النزعة الدينية نحو كراهية العلوم العقلية هى التى عبرت عن نفسها خير تعبير بالمثل القائل : « الجهل أبو الإخلاص لله » وها هو البابا « غريغوروسى » الكبير يؤيد هذا المثل فينفى من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية ويحرق مكتبة « بلاتين »[2] .

إلا أن الصلف الكنسى لم يوقف المسيرة العلمية بل ألحق العلماء بالكنيسة وبعقائدها من الهزائم التى زعزعت الفكر الدينى فى أوربا ، بل أصبحت أوربا لادينية تقف بصرامة فى مواجهة النصرانية والأديان كلها وساد الاعتقاد بأن الفكر الدينى والعلمى قضيتان متناقضتان ، الإيمان بأحدهما يستلزم حتمية الكفر بالآخر .

وهنا انتقل ميزان القوى من الكنيسة إلى رجال الدولة والسياسة والعلم،والذين حاولوا بكل ما استطاعوا إبعاد الدين ورجاله من مجال الحياة ، وقد انتهى الصراع بينهما بصيغة اتفاق ، بحيث يكون هناك تحديد للاختصاصات .

– حيث تختص الدولة بشئون السياسة والاقتصاد والتعليم والتشريع .

---

(١) راجع صـ (١٩٤) من « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وقارن صـ (٣٨) من الله أو الدمار حيث يعرض صورة من قرار إدانة جاليليو .

(٢) الله أو الدمار صـ (٤٠) .

- وتختص الكنيسة بشئون الأسرة ومراسيم الزواج وطقوس الوفاة والعبادات[1] .

وبمعنى أوضح فالدين مهمته داخل الكنيسة فقط ولا داعى لوجوده خارجها ويكون لرجال الدولة والعلم إدارة شئون الحياة بالأسلوب الذى يناسبهم سواء كان متفقا مع مبادىء الدين أم لا ؟ !!

وهكذا نشأت فكرة فصل الدين عن الدولة والتى كانت من توجيه اليهود واختراعهم فى محاولة منهم لإضعاف العالمين النصرانى والإسلامى كما أشار إلى ذلك وليم غاى كار فى كتابه أحجار على رقعة الشطرنج[2] .

وقد قامت الثورة الفرنسية - وهى من صنع اليهود - بوضع مبدأ الفصل بين الدين والدولة كدستور للحكم ، كما قام المفكرون والفلاسفة الغربيون بتأييد هذه الفكرة وعلى رأسهم ميكافللى الذى دعا إلى فصل الدين عن السياسة وتحلل السياسيين من مبادىء الدين والأخلاق وتخلقهم بأخلاق الثعالب فلا يحتشمون من نقض العهود والكذب والخيانة والغش إذا كان فى ذلك أدنى مصلحة للدولة[3] .

وبهذا لم يعد للدين والأخلاق أى سلطان على الدولة أو الناس ، بل انعزل الدين فى ركن ضيق من الكنيسة يمارسه الفرد حين يذهب إليها يوم الأحد - ومَنْ الذى يذهب إليها ؟ ! وبعد أن يخرج منها يتحرر منه تماماً فى معاملاته وأخلاقياته ونظمه وقوانينه .

وهكذا خلقوا فى الإنسان ثنائية زائفة حين جعلوا الدين مجرد شعائر وعلاقات بين العبد وربه دون أن تحكم هذه الشعائر حركة حياة الإنسان وتنظم له قوانين التعامل ، وأصبح على الإنسان أن يختار أحد المصيرين إما الدنيا فيخضع لحكم قيصر وقوانينه ونظمه ويعيش حياته كما يريد دون التزام دينى ، وإما الآخرة فيخضع لأحكام الله وينسحب من الدنيا ويعيش حياة الزهد والرهبنة ، وهذا ما يفسر لنا انتشار الرهبانية كنظام للحياة بعد فترة قصيرة من ظهور المسيحية[4] .

---

(١) د . البهى - العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق صـ (٦) .

(٢) راجع هامش صـ (٢٢٨) من المشروعية الإسلامية العليا د . .على جريشة .

(٣) ماذا خسر العالم صـ (١٩٨) .

(٤) تهافت العلمانية صـ (٧٧) .

ومن ثم غدت حياتهم مبعثرة ممزقة لا يجمعها رباط ولا يشدها مصير ، يدخل الواحد منهم الكنيسة ليسجد لله ويلعن الطبيعة ثم يخرج إلى المصنع أو البنك لينحنى إلى الدولار ويكفر بالله .

يركض وراء العقل البشرى ليخطط له منهاجا فى حياته الجماعية ، ويسعى إلى الدين ليهبه الطريق فى حياته الفردية ، دنياه تتجه إلى اليسار ، وأخراه تتجه إلى اليمين ، فإن أراد الدنيا ابتعد عن الآخرة وضاع منه مصيره الأبدى ، وإن أراد الآخرة ابتعد عن الدنيا وضاع منه واقعة الذى يعيشه[1] .

هذه الثنائية التى جاء الإسلام من أجل القضاء عليها . كما سنوضح فيما يأتى :

□ طبيعة الإسلام تأبى العلمانية □

جاء الإسلام لكى يرفع الازدواجية فى حياة الإنسان فوحد بين الدين والدنيا والآخرة حيث جعل الدنيا مزرعة للآخرة ووازن بين العقيدة وبين الواقع الذى يعيشه الإنسان حيث حكمت العقيدة هذا الواقع وقننت لكل حركة من حركات حياة الإنسان ، وربط الشعائر بالحياة فالصلاة والصيام والحج والزكاة وسائل للتربية الأخلاقية ينبغى أن تسيطر على الإنسان فى معاملاته ودنياه ، ومن هنا يقول القرآن الكريم ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[2] وهكذا ارتبط المسجد بالحياة وأصبحت الدنيا والآخرة فى متناول حياة المسلم يعيش حياته ويأخذ من كل متع الحياة مادام ذلك وفقا لتعاليم الله التى أحلت الحلال وحرمت الحرام ، وهو فى الوقت ذاته قد ضمن الفوز فى آخرته ، كما جاء فى الأثر « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وبهذا رفع الإسلام الازدواجية التى صرعت الإنسان فى أوربا وبذلك لم يعد هناك مجال للفصل بين الدين والدولة ، فقد نشأت هذه الفكرة فى أوربا لظروف خاصة لا يمكن أن تنطبق على الإسلام وذلك لأسباب كثيرة منها :

أولاً : أن الإسلام فى حقيقة أمره دين ودولة عقيدة وشريعة ، حيث وضع نظاما كاملا ومحددا لكل شأن من شئون الحياة .

---

(١) السابق صـ (٨٣) .
(٢) العنكبوت آية [٤٥] .

– فقد احتوى الإسلام على النظام السياسى الذى يضمن حقوق الحاكم والمحكوم معا . وقنن ذلك فى أصول ثابتة كما حدد الرسول وصحابته شكل الدولة الإسلامية .

– وقد جاء الإسلام بالنظام الاقتصادى الأخلاقى الذى خلا من العيوب التى ظهرت فى الأنظمة الرأسمالية والشيوعية .

– كما حدد الإسلام النظام الاجتماعى ووضع له الأصول والقوانين التى تضمن التوازن والتكافل معا ، والذى لو طبقه المسلمون تطبيقا عمليا لما وجد بينهم جائع ولا محروم ، وكيف يوجد وأساسه قول الرسول ﷺ : « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ بَات شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِه وَهُوَ يَعْلَمُ** » .

ثانياً : أن الإسلام قد قرر المساواة بين جميع الناس ، وقرر أنه لا عصمة لبشر إلا الرسول ﷺ فيما يوحى إليه من ربه ، وبعد ذلك فالكل سواء رجل دين ، أو رجل دنيا خليفة كان أو من عامة المسلمين ، وبذلك سد الإسلام الباب أمام نظام الكهانة الذى ابتدعه القساوسه ، ولم يعترف بوجود طبقة ممتازة تدعى رجال الدين لها عصمة أو قداسة ، فما علماء الدين عندنا إلا رجال انقطعوا لدراسة الدين بمحض اختيارهم وليس لهم أى ميزة على غيرهم من الناس – كما ادعى رجال الكنيسة – وحتى اللباس الذى يلبسونه وهو العمامة والجبة يشاركهم فيه التجار وعامة الناس .

وما خليفة المسلمين إلا واحد منهم ، والحكومة الإسلامية ليست حكومة إلهية مقدسة معصومة من الخطأ ، يحكم فيها الإمام نيابة عن الله فى الأرض وله وحده حق تفسير وفهم القرآن الكريم – كما حدث فى النصرانية – بل هى حكومة بشرية تعمل تحت سلطان القانون الإلهى ، ولا تملك الخروج عليه بدءا من الرسول نفسه : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا** ﴾[1] .

أى أن الرسول ﷺ جاء داعيًا إلى منهج الله بإذن الله وكما أراد الله : ﴿ **قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ ، وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾[2] .

---

(١) الأحـزاب الآيـة [٤٥ ، ٤٦] .

(٢) الأحقـاف الآيـة [٩] .

وما كان الرسول ﷺ ليقول كلمة فى مجال التشريع إلا بوحى من الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنْ هوَ إلاَّ وَحْىٌ يُوحَى ﴾[1] .

ثم يأتى أبو بكر الصديق من بعده فتكون أول خطبة له : « أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم .. أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »[2] .

وهذا عمر بن الخطاب يقول له واحد من عامة الناس : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيقول عمر : « الحمد لله الذى أوجد فى أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه » .

إذاً فالحكومة فى الإسلام هى حكومة بشرية لا عصمة لها ولا قداسة ولا سيادة فالسيادة والعصمة إنما تتمثل فى كتاب الله وسنة رسوله . وهما اللذان يحكمان الحاكم والمحكوم معا .

إذاً لم يكن فى تاريخنا الإسلامى تقديس لأفراد ولا محاكم تفتيش ، ولا صكوك غفران ومراسيم حرمان ، ولا صراع على مناطق النفوذ بين رجال الدين ورجال الحكم ، ولا مجال للفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية .

ومعنى ذلك أنه ليس هناك مكان فى المجتمع الإسلامى لنزاع حول السلطة على أساس أن بعض الناس فى المجتمع يتميزون عن البعض الآخر باعتبار أن هذه المجموعة مقدسة معصومة من الخطأ ، وهذه الأخرى ليست لها قداسة ، كما هو تصوير مبعث النزاع بين الكنيسة والدولة فى الفكر الأوربى[3] .

ثالثاً : أنه لا يوجد فى الإسلام صراع بين الدين والعلم ، بل إن الإسلام – على عكس النصرانية – قد فتح الباب على مصراعيه للعلم والفكر والنظر الحر ، وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ولم يقيد حرية العلماء والباحثين فقد دعا القرآن إلى العلم بمختلف مناهجه فى أكثر من سبعمائة وخمسين آية[4] كما أشار إلى مناهج البحث العلمى : عقلية كانت ، أو تجريبية أو ذوقية إشراقية أو نقلية سماوية ، وفى رحاب القرآن الكريم وبتوجيه منه قامت فى العالم الإسلامى نهضة علمية ووصل علماء المسلمين من

---

(١) النجم الآية [٤] .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ (١٧٢) .
(٣) العلمانية والإسلام صـ (٣٠) .
(٤) تهافت العلمانية .

خلالها إلى تحديد خطوات منهج البحث العلمى الاستقرائى بل طبقوه على أبحاثهم ووصلوا من خلاله إلى كثير من الابتكارات العلمية فى مختلف المجالات كالطبيعة والكيمياء والفلك والطب ، وحسبنا أن نذكر جابر بن حيان فى مجال الكيمياء وأبى حنيفة الدينورى فى علم النبات والرازى وابن سيناء وابن النفيس وابن رشد فى علم الطب[1] ، وغيرهم مما يدل على أنه لا مجال للصراع بين الدين والعلم فى الإسلام ؛ بل على العكس فالإسلام يدعو دائماً إلى البحث العلمى ويوجه أنظار الناس إلى استكشاف حقائق الوجود والكشف عن العلل والأسباب والعلاقات .

ولم يحدث فى التاريخ الإسلامى أن عالما يبحث فى الطب ويبحث فى الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء ، وجد نفسه معزولا عن العقيدة الإسلامية أو وجد أنها تعطله عن البحث العلمى الدقيق ، ولم تقم الحرب أو الخصومة فى قلب المسلم بين العلم والعقيدة أو بين العلم والدين ، وإنما عاش العلم فى ظلال العقيدة[2] وها هو الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم يثبت هذه الحقيقة باعتراف علماء الغرب أنفسهم[3] .

ومن هنا فليس هناك مجال للفصل بين الإسلام والحياة ذلك أن المبررات التى أوجدت هذه الفكرة فى أوربا لا وجود لها فى ديننا ولا تاريخنا وعلى الرغم من أنه ليس هناك مجال لذلك ، إلا أن معظم الدول الإسلامية قد فرض عليها النظام العلمانى .

وكانت مصر هى أول دولة إسلامية تتحلل من أحكام الشريعة الإسلامية ويفرض عليها الأعداء القوانين الوضعية ، فما إن وصل محمد على إلى حكم مصر حتى أرسل البعثات الخارجية إلى فرنسا لدراسة القانون الوضعى سنة ١٨٢٨ ، ولما عاد المبعوثون كانوا هم نواة رجال القانون الوضعى فى مصر حيث أنشأ مدرسة الحقوق من أجل دراسة القوانين الوضعية ، ثم جاء الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ لكى يبدأ حملة شعواء على الشريعة الإسلامية حتى أبعدها عن مجال التطبيق وطبق بدلا منها القوانين الفرنسية سنة ١٨٨٥ ومعنى هذا أن مصر لها مائة سنة تقريبا حتى الآن بعيدة عن شرع الله وقوانينه .

وحينما طالب المصريون فى مؤتمر جنيف سنة ١٩٣٧ بأن تكون الشريعة الإسلامية مصدرا للتشريع رفض أعداء الإسلام ، واشترطوا لإلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر أن تستمر القوانين الوضعية وتظل الشريعة الإسلامية بعيدة عن التطبيق[4] .

---

(١) راجع صـ (٤٣١) وما بعدها من رسالتنا للدكتوراه « جهود المفكرين فى الرد على منطق اليونان » .

(٢) محمد قطب قبسات من الرسول صـ (٤١) دار الشروق سنة ١٩٨٤م .

(٣) راجع المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم للمؤلف . (٤) المشروعية الإسلامية العليا صـ (١٠٦) .

ومع أننا قد تحررنا من المستعمر الإنجليزى الذى فرض علينا قوانينه ونظمه إلا أننا مازلنا بعيدين عن الشريعة الإسلامية ومازلنا مستعمرين فكريا وقانونيا . وبعد مصر كانت تركيا التى خضعت لشروط النصارى بعد الحرب العالمية الأولى وقد كانت أول شروط استقلال تركيا – هو ما أشارت إليه شروط « كرزون » بإلغاء الشريعة الإسلامية فى نظام الحكم والقضاء والاقتصاد واستبدال النظام الغربى والقانون الوضعى[1] بها .

وقد استطاع أعداء الإسلام عن طريق صنيعتهم (كمال أتاتورك) إلغاء الشريعة الإسلامية ، وتطبيق النظام العلمانى على الرغم من معارضة الشعب ونوابه ، إلا أنه استطاع عن طريق القوة والقتل لكل معارض[2] أن ينفذ رغبات أسياده ، ففصل الخلافة عن السلطة ، فطبع الخلافة بطابع الروحانية حيث أصبح مجالها مقصورا على مسائل العبادة فقط ، وهذه صورة لم تعهدها الخلافة من قبل فلم تكن مهمة الخليفة هى النواحى الدينية فقط ؛ بل كانت مهمته بالدرجة الأولى دنيوية سياسية .

ولكن أتاتورك الماسونى حاول إبعاد الخليفة عن المجال السياسى وكرس جهده لتحويل الخلافة إلى فاتيكان إلا أن الخليفة رفض هذا الوضع مما دفع أتاتورك إلى إلغاء الخلافة نهائيا[3] وفصل بين الدين والسياسة وقرر أن الدين قضية شخصية لكل فرد أن يختار له دينا يدين به من غير أن يكون له دخل فى السياسة والإدارة ، وألغى المحاكم الشرعية ، وقوانين الشريعة الإسلامية ، وقرر العمل بالقانون المدنى السويسرى ، والقانون الجنائى الإيطالى ، والقانون التجارى الألمانى ، ومنع التعليم الدينى ، وعطل مراكزه ، ومنع الحجاب وقرر السفور والتعليم المختلط ، وألغى الحروف العربية وأبدل الحروف اللاتينية بها وبعبارة وجيزة قضى على الإسلام فى تركيا[4] .

وما حدث فى مصر وتركيا حدث فى كل أنحاء العالم الإسلامى اللهم إلا السعودية وباكستان فهى الدول الوحيدة التى لا تسير وفقا للنظام العلمانى[5] . ومما يؤسف له أن بعض حكام المسلمين قد طبق العلمانية أكثر من تطبيق الغرب لها ، فعلى الرغم من أن زعماء الغرب يستبعدون النصرانية من مجال السيطرة على الحياة إلا أنهم يحترمون دينهم ورجاله ولا يقفون من دينهم موقف العداء ، ولا يقللون من هيبة الكنيسة كما

---

(١) سموم الاستشراق صـ (١٠٦)
(٢) راجع صـ (١٤٨) وما بعدها من كفاح دين للشيخ محمد الغزالى .
(٣) الإسلام قوة الغد العالمية صـ (١٧٨)
(٤) راجع صـ (٩٠) من الصراع بين الفكرة الإسلامية .
(٥) وأخيراً قامت السودان بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مما أغضب منها الغرب النصرانى وأوقفه منها موقف العداء .

أنهم لا يتدخلون فى منطقة النفوذ الكنسى ، وهى الأسرة والأحوال الشخصية ، ولا يمنعون الكنيسة من أن يكون لها حزب سياسى وهو الحزب الديمقراطى المسيحى فى المجتمعات الغربية[١] .

بل إن الدول النصرانية الكبرى تعتبر نفسها حامية لدينها وعقيدتها فى أي مكان يتعرض فيه أتباعها للخطر .

إن فرنسا تعتبر نفسها حامية الكاثوليكية فى العالم ، وبريطانيا تعتبر نفسها حامية البروتستانتينية فى العالم[٢] .

أما بعض حكام المسلمين فقد وقفوا من دينهم ورجاله موقف العداء وساموهم سوء العذاب ألوانا ، بل ويتدخلون فى تعديل المبادىء الأساسية فى الإسلام والتى لا تقبل التعديل ، كتعديل القوانين الشخصية فى الزواج والطلاق مع أنه لا تجرؤ أية حكومة فى الغرب على الاقتراب من مناطق نفوذ الكنيسة . وبعض الحكام أقام نظامه على أساس منع الأحزاب الدينية ، وبعضهم لم يضع للإسلام أى اعتبار حين وقف بجانب شعوب غير إسلامية تحارب شعوبا إسلامية . وفى المجتمعات الشيوعية نجد أن رجال الحكم هم رجال الدعوة للنظام ، وأما حكامنا فيعتبرون الدعوة لدينهم رجعية .

وهكذا أصبح حكام المسلمين علمانيين أكثر من مخترعى العلمانية أنفسهم .

وقد كان لتطبيق النظام العلمانى كثير من الآثار السيئة على المجتمعات الإسلامية وهذا ما سوف نوضحه فيما يأتى :

---

(١) د . البهى عقبات فى طريق الإسلام صـ (١٠) .

(٢) د . البهى خمس رسائل إلى الشباب صـ (٥٤) .

□ نتائج إبعاد الإسلام عن مجال التطبيق □

١ - تمزق الشباب المسلم وثورته :

ذلك أن الأمم إنما تعيش وفقا لعقائدها وظروفها الخاصة ، وعقائدنا وظروفنا تحتم علينا أن نلتزم بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاما كما أمرنا الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَأَيُّها الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[١] ولكن المسلمين وجهوا بإبعاد الإسلام عن مجال الحياة ، فعاشوا فى صراع بين عقيدتهم وبين واقعهم ، بين دينهم الذى يحتم عليهم الالتزام بكل ما جاء فيه وبين مجتمعهم الذى فرض عليهم أن يقبلوا قوانين ونظم غريبة عنهم ، فشعرت طوائف كثيرة بهذا التناقض فى حياتها العملية بين ما تؤمن به وبين التشريعات التى تحكمها فى حياتها ، حيث تكون العقيدة إسلامية والشريعة فرنسية أو روسية حسب الأحوال[٢] .

إن العلمانية قد تقبل فى المجتمعات النصرانية ، لأنهم حولوا دينهم إلى عقيدة بلا شريعة ، وإنجيلهم نفسه قسم لهم الحياة نصفين أحدهما لله والآخر لقيصر ، وبهذا يعيش النصرانى فى ظل النظام العلمانى وهو غير مخدوش العقيدة ، كما كان للنصارى عذرهم فى الهرب من الحكم الدينى إلى الحكم اللادينى (العلمانى) ، لأن الحكم الدينى عندهم أذاقهم ألوان العذاب كما بينا سابقا[٣] .

أما نحن المسلمين فلا يوجد عندنا سبب واحد من ديننا ولا تاريخنا يجعلنا ننحى الإسلام عن مجال الحياة ، ومن هنا أصيب الشباب المسلم بحالة من التمزق والصراع النفسى فقد أصبح مترددا بين عقيدته وبين الواقع المر الذى يعيشه بعيداً عنها ، فالإسلام لا يقبل أبدا أن يعلن الإنسان إيمانه بالله رب العالمين ثم يصرف أمور حياته وفق قانون غير إلهى ، فهذا تناقض يصعب تصوره ولا يرضاه الإسلام الذى جاء أصلا للقضاء على مثل هذا التناقض[٤] .

---

(١) النساء آية [٥٩] .
(٢) حتمية الحل الإسلامى صـ (٧) .
(٣) د . يوسف القرضاوى - الصحوة الإسلامية صـ (١١٣) .
(٤) أبو الأعلى المودودى - الحكومة الإسلامية صـ (٢٢) .

ومن هنا كان فرض النظام العلمانى هو أهم أسباب ثورة الشباب المسلم فى العالم الإسلامى ، هذه الثورة التى نعيشها الآن من بلد إسلامى إلى آخر .

٢ - تحلل المجتمعات الإسلامية :

الناس ليسوا سواء وإذا كان بعض الذين شعروا بمسئوليتهم أمام الله قد ثاروا على الأنظمة العلمانية وأسقطوها من حسهم وشعورهم ، فإن هناك الكثير من المسلمين بالاسم استغلوا هذه الأنظمة العلمانية فى إشباع شهواتهم ورغباتهم من خلال قوانينها العاجزة عن تحقيق الفضيلة ، مما ساعد على شيوع الفاحشة والرذيلة وكل ما حرمه الله .

٣ - الصراع الداخلى بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة :

ذلك أن عقيدتنا - نحن المسلمين أن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام ، وأنه لا مجال للفصل بين الدين والدولة ، وقيام الحكم فى أى دولة إسلامية على غير أساس من تشريعات الإسلام معناه ثورة داخلية فى نفس المسلم ، وهذه الثورة سرعان ما تدفع المسلمين إلى الخروج على النظام الحاكم بالطريقة العلمانية ، لأنه أصبح فاقدا لشرعيته لأن شرعية الحكم لها شروط هى : إقامة شريعة الله كاملة غير مجزأة[١] وفى ظل النظام العلمانى تُنحى الشريعة عن النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ومن هنا يفقد هذا النظام شرعيته مما يجعل المسلمين يخرجون على هذا النظام فى محاولة لتغييره بما يتفق وحكم الله .

وهكذا ينشأ الصراع بين الأمة ، حيث يضطر الحاكم إلى اللجوء إلى القوة ليثبت وجوده ، فيقتل أو يعتقل هؤلاء الذين يهددون نظامه ، وهكذا تخسر الأمة الإسلامية رجالها وتضعف . وهنا يفرح أعداء الإسلام لأن المسلمين يخربون بيوتهم بأيديهم .

ولعل تجربة الإخوان المسلمين فى مصر وفى سوريا توضح لنا ذلك ، فما أن تشعر السلطة الزمنية أن عودها قد اشتد ، وأنها قد أصبح لها عند الشعب مكانة حتى تحاول القضاء عليها ، وهذا ما حدث فى أيام النظام الملكى ثم تكرر مع النظام الجمهورى فى عهد عبد الناصر والسادات فى مصر ، وحافظ الأسد فى سوريا ، وبورقيبة فى تونس ، والحسن فى المغرب . نخرج من هذا بنتيجة وهى :

---

(١) د . على جريشة - دعاة لا بغاة صـ (١٣٠) .

إن فصل الدين عن الدولة لابد وأن يؤدى إلى الصراع فى الأمة الإسلامية ، وتجربة التاريخ الطويلة شاهدة على ذلك ، وسيبقى هذا الصراع قائما فى الأمة الإسلامية أرادت أم لم ترد ، وستظل تدفع ثمن هذا الصراع من قوتها ومن دماء خيرة رجالها[١] ، وليس هناك سوى حل واحد هو أن يزول هذا الفصام النكد بين الدين والدنيا بحيث تعود الشريعة الإسلامية إلى مكانها الطبيعى تنظم حياة الناس ، فهى أفضل وأكمل وأشمل وأعدل ، كما سنبين فيما يلى :

□ مقارنة بين النظام الإسلامي والنظام العلماني □

لقد فرض علينا أعداؤنا أن نقارن بين نظامهم الذى لا قيمة له ، ولا يساوى عندنا شيئا وبين نظامنا الإلهى المقدس ، فرضوا علينا أن نقارن بين النقيضين اللذين لا وجه للشبه بينهما على الإطلاق ، إذ إن العلمانية تتعارض مع الإسلام على طول الخط ، فلا يجوز الجمع بينهما ، ولا يمكن بقاء أحدهما إلا بانعدام الآخر ، ذلك أن الإسلام عقيدة وتشريع فى حالة تلاحم واتصال دائم ، بل إن العقيدة والتشريع فيه هما وجهان لعملة واحدة ما ينفصل أحدهما عن الآخر حتى تمسخ الصورة الصحيحة له ، فالحقيقة فى نظر الإسلام هى بعينها تبدو دينا إذا نظرنا إليها من ناحية وتبدو دولة إذا نظرنا إليها من ناحية أخرى ، إذاً فالمقارنة بين النظامين – هى كما قلنا – مقارنة بين النقيضين ، وما كان لنا أن نضع النظام العلمانى فى مقارنة مع النظام الإلهى ، ولكن ماذا نفعل وقد فرض علينا أعداؤنا نظامهم ودفعوا بأتباعهم من أذيال المستشرقين[٢] لكى يسوغوا نظامهم المرفوض إسلاميا ، بل إنهم ليهاجمون – فى بجاحة – نظامنا الإسلامى .

وسوف تقتصر المقارنة على بيان الأساس الذى يقوم عليه كل منهما ثم طبيعة المجتمعات التى يخلقها كل منهما .

أما عن الأساس فى كل منهما فهو : أن النظام العلمانى يعتمد على قوانين وضعية بشرية من صنع الإنسان ، أما النظام الإسلامى فهو يعتمد أساسا على قوانين إلهية مقدسة من صنع خالق الإنسان .

---

(١) د . أبو المعاطى أبو الفتوح – حتمية الحل الإسلامى صـ (٤١) .

(٢) راجع ما كتبه على عبد الرازق – وخالد محمد خالد فى كتابه (من هنا نبدأ) وإن كان قد رجع عنه ، وراجع كذلك ما كتبه زكى نجيب محمود وعاطف العراق وطه حسين وغيرهم .

من هنا كان لأحكام الشريعة الإسلامية هيبة واحترام فى نفوس المؤمنين بها ، لأنها صادرة من عند الله ، ومن ثَمَّ فلها صفة التقديس ، وما له هذه الصفة من حقه أن يحترم ويطاع طاعة اختيارية تنبعث من النفس وتقوم على الإيمان ، ولا يقسر عليها الإنسان قسرا ، وفى هذا ضمان لحسن تطبيق القانون الإسلامى من الجميع ، وعدم الخروج عليه ولو مع القدرة على هذا الخروج ، أما القوانين الوضعية فليست لها هذه المكانة فى نفوس البشر ، ومن ثم فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعى كلما استطاعت الإفلات من رقابته وسلطته ، ونضرب على هذا مثلا واحدا .

كان العرب فى الجاهلية مولعين بشرب الخمر ، لا يستطيع الواحد منهم أن يستغنى عنها ، وما أن نزل قول الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[1] . وما إن أصبح الصباح حتى كانت شوارع المدينة معجون ترابها بالخمر الذى أراقه المسلمون على الأرض احتراما لقانون الله وخوفا من عقابه .

وأما فى القرن العشرين فقد أرادت أمريكا أن تخلص شعبها من مضار الخمر ، وقد مهدت لهذا القانون بدعاية واسعة عبر كل وسائل الإعلام تكلفت (٦٥) مليوناً من الدولارات ، وسودت تسعة آلاف مليون صفحة فى بيان مضار الخمر والزجر عنها ، ومع ذلك اضطرت أمريكا إلى إلغاء هذا القانون بعد ثلاث سنين فقط من تشريعه بعد أن عجزت عن تنفيذه ، ولم تنفعها تلك الأموال الطائلة لحمل الناس على ترك الخمر ، لأن القانون لم يكن له سلطان على النفوس يحملها على احترامه ، ولكن كلمة « فاجتنبوه » ألجمت أفواه العرب عن تذوق الخمر ، ودفعتهم إلى إراقتها بأيديهم لا بيد شرطى أو رقيب[2] .

ومن هنا امتازت التشريعات الإسلامية بأنها من عند الإله المالك الخالق الرازق : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ** ﴾[3] العليم بخلقه : ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[4] ، ﴿ **وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[5] .

---

(١) المائـــدة [٩٠] .
(٢) د . عبد الكريم زيدان – المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية – بغداد ١٩٧٦م .
(٣) آل عمـران [٢٦] . (٤) الملـك [١٤] .
(٥) البقرة ٢١٦ – ٢٣٢ وآل عمـران [٦٦] .

ومن هنا كان هو الحقيق بالحكم والتشريع ﴿ **فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ** ﴾[1] ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** ﴾[2] ، ﴿ **يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** ﴾[3] .

من هنا امتاز المنهج الإسلامى بأنه منهج قائم على :

✵ العلـم المطـلـق :

بحقيقة الكائن الإنسانى والحاجات الإنسانية وبحقيقة الكون الذى يعيش فيه الإنسان ، ومن ثَمَّ لا يفرط فى شىء من أمور هذه الحياة ، ولا يقع أى تصادم بين الإنسان وبين أخيه الإنسان ، ولا بين الإنسان والكون الذى يعيش فيه .

وهذا ما لا يمكن أن يتحقق من خلال القوانين الوضعية لأنها من صنع الإنسان الذى لا يعلم إلا ظاهرا من الأمر وإلا الجانب المكشوف فى فترة زمنية معينة ، وفى قطاع محدود من الأرض ، ومن هنا لا يسلم منهجه من القصور ، ولا يخلو من التصادم المدمر بين بعض ألوان النشاط الإنسانى[4] ، فتفكير الإنسان تفكير جزئى وتفكير وقتى ومن هذه الوقتية يقع الاضطراب فى التمييز بين الحق والباطل ، فيكون الباطل حقا فى عصر ، ويكون باطلا فى عصر آخر[5] حتى أصبحت القوانين الوضعية كأنها آلهة العجوة التى كان يصنعها العرب قبل الإسلام ، يسجدون لها فإذا جاعوا أكلوها ، فالسلطة الزمنية قد تأكل بأفواهها ما صنعته أيديها ، وهكذا يعجز القانون الوضعى عن إقامة شرعية تحمى الناس[6] .

✵ العـدل المطـلـق :

لأنه من وضع العالم بكيفية تحقق العدل المطلق ، لأنه رب الجميع فيملك أن يعدل بين الجميع بقوانينه ، وأن يأتى منهجه وشرعه مبرأ من الهوى والميل والضعف والجهل والقصور . الأمر الذى لا يمكن أن يتحقق من خلال المنهج الوضعى الذى وضعه بشر له شهوات وميول وأهواء مهما تحرى العدل فلن يستطيع أن يضع قانونا مبرءاً من

---

(١) غافر [١٢] .
(٢) الأعراف [٥٤] .
(٣) آل عمران [١٥٤] .
(٤) ظلال القرآن جـ ٢ صـ (٧٩٠) .
(٥) د . أنور الجندى - سموم الاستشراق فى العلوم الإسلامية صـ (١٠٠) .
(٦) المشروعية الإسلامية العليا صـ (١٧) .

الهوى ، وإنما لابد أن يراعى مصلحة الطبقة الحاكمة على حساب مصلحة الطبقة المحكومة .

ونأخذ على هذا مثالاً بسيطاً :

۞ مبدأ المساواة :

فقد جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ المساواة بين الناس بغض النظر عن اختلافهم فى اللون أو الجنس أو اللغة ، وجعلت أساس التفاضل بينهم العمل الصالح ، ومقدار قرب الإنسان من الله . يقول الرسول ﷺ : « **كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِن تُرَابٍ** » وقد بلغ تطبيق هذا المبدأ من الدقة إلى حد أن النبى ﷺ أنكر على من قال لمسلم غير عربى : « **يَا بن السَّوْدَاءِ** » واعتبر ذلك من بقايا الجاهلية وتفاخرها بالأنساب والأجناس .

هذا ما قررته تشريعات الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان حيث سوّت بين الناس فى الحقوق والواجبات حتى أن الرسول ﷺ يقول لمن جاء يتشفع لشريفة سرقت : « **وَاللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا** » وهذا ما لم يتحقق أبدا فى أى تشريعات وضعية لا فى القديم ولا فى الحديث ، فقديما كان القانون الرومانى يجعل لصاحب الجنس الرومانى مميزات على سائر الأجناس ، وجعل عقاب الرومانى فى الجرائم دون عقاب غيره من الأجناس الأخرى ، وحديثا لم تستطع أكثر الدول تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين الناس من خلال القوانين الوضعية ، ففى أمريكا حتى الآن لا تزال الفروق قائمة بين المواطنين على أساس اللون والجنس ، فصاحب البشرة البيضاء أسمى منزلة وأعلى قدرا من صاحب البشرة السوداء . ولا مساواة بين الاثنين فى الحقوق والواجبات أمام القانون .

۞ الحرية الكاملة :

إن المنهج الإسلامى هو المنهج الوحيد الذى يتحرر فيه الإنسان من العبودية للإنسان ففى المنهج العلمانى الوضعى يتعبد الناسُ الناسَ ، لأن التشريع من خصائص الألوهية ، والذى يُشرِّع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ، ويستخدم خصائصها فهم عبيده لا عبيد الله ، وهم فى دينه لا فى دين الله .

ولذلك نعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى أنهم اتبعوا رؤساءهم ورهبانهم فى تشريعاتهم الوضعية فقال : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[1] .

وهم لم يكونوا يعتقدون فى ألوهية الأحبار والرهبان إنما كانوا فقط يعترفون لهم بحق التشريع ويقبلون منهم ما يشرعونه لهم مما لم يأذن به الله ، ومن هنا وصفتهم الآيات بالشرك والعبودية لهم .

والإسلام حين يجعل التشريع لله وحده ، إنما يحرر الإنسان ويخرجه من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد[2] .

✵ الديمومة والاستمرار :

ويمتاز المنهج الإسلامى بالدوام والاستمرار ، لأنه هو الدين الخاتم ومن ثَمَّ أتى بالقواعد الأساسية التى تنظم حياة الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومن ثَمَّ كانت تشريعات الإسلام ثابتة باقية لا يلحقها نسخ ولا تغيير ، لأن الناسخ يجب أن يكون فى قوة المنسوخ أو أقوى منه ، فلا ينسخ الشريعة الإسلامية إلا تشريع آخر من الله ، وحيث إن الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع ومحمد ﷺ خاتم النبيين ، فلا نسخ ولا تغيير ولا تبديل فى أحكام دينه وتشريعاته ومن هنا اتصفت هذه الأحكام أيضاً بالعموم والشمول ، وإمكانية التطبيق فى كل زمان ومكان .

وهذه الخاصية تصل بالمسلمين إلى الأهداف التى تسعى إليها المجتمعات البشرية كلها وهو هدف الاستقرار القانونى باعتبار أنه ضمانه التقدم والاطراد والأمن للإنسان .

أما عن الأنظمة الوضعية فهى متغيرة دائما تملك فيها الأمة أن تُعَدِّل وأن تَلْغِى وأن تُبَدِّل وأن تَسْلِبَ الأفراد حقوقا ، وتعطى الحكام سلطات وفى كل يوم نسمع عن إلغاء قانون وإضافة قانون جديد[3] .

---

(١) التوبة آية [٣١] . (٢) فى ظلال القرآن صـ (٨٩١) .

(٣) د . أبو المعاطى أبو الفتوح – حتمية الحل الإسلامى صـ (١١٨) .

هذا جانب عن المقارنات العامة بين القانون الإسلامى ، والقانون الوضعي وإليك بعض المقارنات التفصيلية :

١ - القوانين الوضعية لا تتفق إطلاقا مع ظروف مجتمعنا الإسلامى ، الأخلاقى الذى يقدس العِرْضَ والشرف ويحافظ على المال والعقل ذلك أن القوانين الوضعية أجازت الربا الذى حرمه الله سبحانه وتعالى وآذن آكليه بحرب منه كما أن القانون الوضعى قد أباح الزنا وهتك العِرْضَ والشذوذ الجنسى إذا كان برضى الطرفين ، وبعد بلوغهما السن القانونية ، كذلك أباحت القوانين الوضعية شرب الخمر وبعض أنواع المقامرة . وكل هذه القوانين لا تتفق مع ظروف المجتمع المسلم ، بل إن نقلها إلى العالم الإسلامى كان المقصود منه فتح الباب واسعا أمام إفساد المسلمين ، وتغيير نظامهم القائم على القيم الأخلاقية المستمدة من الكتاب والسنة .

وهكذا نلاحظ أن القوانين الوضعية قد وضِعَتْ لمجتمعات غير مجتمعاتنا ولعرف غير عرفنا[1] ، ومن المسلم به أن القانون فى أمة من الأمم إنما يستمد مواده من قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، ومن هنا شكلت القوانين الوضعية تعارضا شديدا مع الإسلام ، ومعنى هذا أنه فرض على الإسلام أن يكون نسخة من النصرانية فى عهد انكماشها أى يكون عقيدة دون شريعة وعبادة دون معاملة ، ودينا دون دولة وقرآنا دون سلطان ، فرض على الإسلام أن يحمل أوزار تاريخ غير تاريخه لأمة غير أمته فى أرض غير أرضه .

ما ذنب الإسلام أن يحمل نتائج تاريخ أوربا الأسود ويحكم عليه بالعزل عن القيادة للأمة ، والطرد من موقع التشريع والتوجيه والتأثير ؟ إن النظام العلمانى نظام دخيل وغريب عن المجتمع الإسلامى[2] .

٢ - العقوبات الإسلامية للجرائم عقوبات رادعة تمنع منعا باتا من وقوع الجرائم ، بينما العقوبة الوضعية أقرب إلى الإغراء بالوقوع فى الجرائم منها بالزجر والردع . فعقوبة الزنا بغير رضا أحد الطرفين أو السرقة والاختلاس هى مجرد السجن لعدد من الشهور أو السنين بينما هى فى الإسلام الرجم وقطع اليد . ومن هنا عجزت القوانين الوضعية عن إصلاح المجتمعات ففى كل يوم يزداد عدد جرائم السرقات والزنا والقتل . ولقد

---

(١) سموم الاستشراق صـ (١١٥) .

(٢) د . يوسف القرضاوى - الصحوة الإسلامية صـ (١١١) .

كانت المجتمعات الإسلامية - إبان تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية - تمر بها الأعوام دون أن تحدث جريمة واحدة ؛ لأن العقوبة الرادعة تحول دون ذلك . ولقد وجه أحد الصحفيين اليهود إلى الملك فيصل سؤالاً فى مؤتمر صحفى - يقول فيه - سمعنا يا صاحب الجلالة أنكم تعاقبون السارق بقطع يده والزانى بالرجم ، وتلك عقوبات بربرية همجية ترفضها مدنية القرن العشرين فقال الملك فيصل - عليه رحمة الله - أحب أن أؤكد لك أن تطبيق تلك العقوبة خلال السنة الماضية قد اقتصر على حادثتين فى بلاد شاسعة كالسعودية التى يزورها كل سنة ملايين الخلق لأداء مناسك الحج والعمرة . وقد خففت قسوة تلك العقوبة - التى هى أمر الله - ما نطمح إليه فقد انقطع دابر السرقة أو كاد فى بلادنا ويستطيع أى مواطن أن ينتقل بمفرده آلاف الأميال وهو آمن على نفسه وماله ضامن أن لن يعتدى عليه إنسان ، ثم قل لى أنت هل حققت قوانينكم الوضعية القضاء على السرقات ؟ أو أنها شجعت الناس بالفعل على التفنن فى السرقات ؟... لقد قرأت فى صحفكم اليوم مئات الحوادث من السرقات المصحوبة بالعنف وبالأساليب التى يذهب ضحيتها كل سنة مئات الألوف من الأبرياء وإحصاءاتكم تؤكد أن أكثر حوادث القتل ناجمة عن السرقة ، فدعنى أسألك إذن : هل تعتقد صادقا أن قطع يد شخصين ثبتت عليهم جريمة السرقة دون مبرر من حاجة أو إملاق ، فنسلم المجتمع واستقر الأمن وشاعت الطمأنينة . هل هذا القانون أفضل أم قانونكم الذى ترتكب فى ظله أبشع الجرائم بدافع السرقة والاغتصاب ؟ أما عن عقوبة الرجم للزانى والزانية فقد أحاطها الإسلام بالاحترازات الكثيرة التى تجعل إقامة الحد فيها متعزرة البينة بل مستحيلة ، ولم تطبق هذه الجريمة فى حكم الإسلام كله إلا بالاعتراف .. أفهذا أفضل أم ما فى مجتمعكم من مباذل أخلاقية أستحى أن أشير إليها ؟ فحنى اليهودى رأسه وضجت القاعة بالتصفيق[1] .

٣ - وتمتاز تشريعات الإسلام بالشمول والإحاطة بشعب الحياة من العبادات ، وأعمال الأفراد وسيرتهم وأخلاقهم وعاداتهم وآدابهم فى الأكل والشرب ، والجلوس والقيام والكلام ، والشئون العائلية والصلاة الجماعية ، والقضايا المالية والاقتصادية والإدارية وحقوق المَوَاطَنَةِ وواجبات الفرد ، ومرافق الحكومة وحالات السلم والحرب والعلاقات بالأمم الأجنبية ، فليس هناك شعبة من شعب الحياة إلا وقننت لها الشريعة الإسلامية وأوضحت لنا فيها الخير من الشر ، خلافا للقوانين الوضعية التى لم تقنن لكثير من الشئون الإنسانية .

---

(١) راجع صـ (٣٠٨) من الله أو الدمار .

٤ - كذلك تمتاز هذه التشريعات بالترابط والتكامل الذى لا يقبل التجزئة فتشريعات الإسلام متشابكة متكاملة ومن طبيعتها أنها لا تقوم إلا وهى متكاملة الأجزاء كأنها الجسد الإنسانى لا يستطيع عضو مقطوع منه أن يؤدى أى شيء بعيداً عن بعض أجزائه ، فكذلك الشريعة الإسلامية لن تؤتى ثمارها إلا بالتطبيق الكامل لكل فروعها وأجزائها ، ولا يُحكم عليها إلا من خلال التطبيق الكلى والشامل لكل ما جاءت به .

فبعض الناس فى هذا الزمان يشمئزون ، وتتورم أنوفهم من بعض المواد فى القانون الجنائى ويحكمون على تشريعات الإسلام بالفظاعة والهمجية ، ولكن هؤلاء الجهلاء لا يعرفون أن هذه المواد هى جزء من صورة شاملة لنظام الحياة فى الإسلام معها نظام للاقتصاد والاجتماع والتعليم والتربية ، وما أراد واضع هذه الصورة المتكاملة أن يفرز قانونها الجنائى من مجموع نظامها ويُنفذ وحده فى المحكمة . ويضرب على هذا مثالاً واحداً :

وضع الإسلام قانونا يعاقب السارق بقطع يده ، ولكن ما جاء هذا القانون لينفذ فى كل نوع من المجتمعات ، إنما جاء لينفذ فى مجتمع الإسلام ، ذلك المجتمع الذى تؤخذ الزكاة من أغنيائه ، وباب بيت المال مفتوح لمساعدة كل ذى حاجة ، ذلك المجتمع الذى يتربى أبناؤه على قول رسول الله ﷺ « **مَا آمَنَ بِى مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ** » .

وكذلك قل عن سائر الحدود ، فإنها لا تطبق إلا فى مجتمع الإسلام .

٥ - القانون الوضعى هو لتحقيق السعادة فى الدنيا فقط أما القانون الإسلامى فهو لتحقيق السعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة معاً ولا افتراق فيه بين دين ودنيا ولا بين دنيا وآخرة وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] .

أى أن أصحاب الكتب السماوية حين يطبقون منهج الله على حياتهم فإن جزاءهم إنما يكون فى الدنيا والآخرة معاً .

---

(١) المائدة [٦٥ ، ٦٦] .

– أما فى الدنيا فصلاح حياتهم ووفرة أرزاقهم حتى أنهم ليأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

– وأما فى الآخرة فتكفير لسيئاتهم وضمان لدخول جنات النعيم .

وهكذا يتبين لنا ميزة القانون الإسلامي فهو صلاح فى الدنيا وفوز فى الآخرة . أما فى ظل القوانين الوضعية فهناك انفصال تام بين الدنيا والآخرة وعلى هؤلاء الذين يعيشون فى ظلها أن يتمزقوا نفسيا إما أن يلتزموا بالقوانين الوضعية ويربحوا الدنيا ويخسروا الآخرة ، وإما أن ينسحبوا من دنياهم ويزهدوا فيها ويعيشوا فقط من أجل آخرتهم ، إما قيصر وإما الله ولا جامع بينهما . وأما فى الإسلام فهو طريق واحد يصلح به أمر الدنيا والآخرة معًا[1] .

ونكتفى بهذه المقارنة حول القانون الوضعى والقانون الإسلامى ، لكى ننتقل إلى الجانب الثانى من جوانب المقارنة وهو طبيعة المجتمع الذى يخلفه النظام العلمانى وطبيعة المجتمع الذى يوجده النظام الإسلامى .

□ طبيعة المجتمع الذي يوجده النظام العلماني □

يقوم المجتمع الإسلامى على أساس إشباع عنصرى الإنسان : الجسد والروح ، أما المجتمعات العلمانية فتقوم على أساس الإشباع المادى فقط للإنسان مع إهمالها تماما للناحية الروحية والنفسية لأنها استبعدت الدين من مجال الحياة . وأقامت حضارة عوراء لا تنظر إلى الإنسان إلا بعين واحدة ، لذلك فقدت الرؤية الواضحة لهذا الإنسان وحولته إلى خنزير يأكل ويعمل ولا هم له وراء ذلك . مما دمر الإنسان هناك وأفقده سعادته . فعلى الرغم من أن الحضارة العلمانية الغربية قدمت للإنسان كل وسائل الراحة وكل أسباب التقدم المادى إلا أنها فشلت فى أن تقدم له شيئا واحدا وهو السعادة والطمأنينة والسكينة بل العكس قدمت للإنسان هناك مزيدا من التعاسة والقلق والبؤس والتمزق ؟ لماذا ؟ .

لأن السعادة والسكينة أمور تتعلق بالروح ، والروح لا يشبعها إلا الإيمان بخالقها والالتزام بأوامره : ﴿ **هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] وكيف تنزل السكينة فى قلوب أناس أقاموا حضارتهم على غير أساس من الإيمان بالله ؟ !!

(1) الظلال جـ ٢ صـ (٩٣١) .

(2) الفتح : [٤] .

لا بل مزيد من القلق والتعاسة والضيق والخوف ، ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحالة أصدق تعبير حين يقول : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾[١] .

هكذا تبين لنا هذه الآيات حالة القلق الرهيب التى تعيشها المجتمعات العلمانية رغم تقدمها المادى ووصولها إلى أرقى أساليب التكنولوجيا الحديثة وهذا ما أيده الواقع العلمى ، فقد ثبت أن أعلى نسبة للانتحار والجنون هى فى أكثر دول العالم تقدما من الناحية المادية ، ذلك أن الأنظمة العلمانية لا تستطيع أن تحقق الانسجام بين الناس وبين الكون الذى يعيشون فيه ، فذلك لا يكون إلا بالارتباط بشرع الله فالإنسان إنما يكون فى أحسن حالة نفسيا وبدنيا عندما تقوى صلته بالله[٢] ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله : « فى القلب شعث أى تفرق وتمزق لا يلمه إلا الإقبال على الله .

- ❋ وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله .
- ❋ وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته .
- ❋ وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه .
- ❋ وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه .
- ❋ وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ، ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً »[٣] .

وقد أعطيت المجتمعات العلمانية الدنيا وما فيها ومع ذلك لم تحقق السعادة النفسية ، وتعال معى نعدد الأمراض التى تعانى منها أوربا العلمانية والتى سوف تعانى منها المجتمعات الإسلامية التى تطبق النظام العلمانى .

إن إبعاد الدين عن مجال الحياة فى أوربا نتج عنه ما يلى :

١ - الولوغ فى المشروبات الروحية .
٢ - الإدمان على المخدرات .
٣ - الأمراض العصبية والنفسية .
٤ - الجرائم البشعة .
٥ - السعار الجنسى الرهيب .
٦ - الانتحـــار .

---

(١) الأنعـام : [١٢٥] .
(٢) راجع كتاب « العقيدة الإسلامية » للمؤلف .
(٣) مدارج السالكين - لابن القيم .

❊ وإليك بعض الأرقام المذهلة عن أمراض المجتمعات العلمانية :

١ – عدد الذين يدمنون الخمر فى أمريكا يزيد عن ٥٠٪ .

٢ – عدد الذين يتعاطون المخدرات ٤٩٪ من الشعب الأمريكى .

٣ – ٥٥٪ من أسرة جميع المستشفيات مخصصة للمرضى العصبيين .

٤ – فى السويد ٢٥٪ من الشعب مصاب بالأمراض النفسية ، وتنفق الدولة ٣٠٪ من ميزانيتها لعلاجهم ، ونسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب الأمراض النفسية ٥٠٪ .

أما عن أمراض الشذوذ الجنسى وجرائم السرقات والاغتصاب والقتل فى أمريكا فحدث عنها ولا حرج – فهناك ٩٠٪ من الشباب الأمريكى مصاب بأمراض الزهرى والسيلان .

وقد صرح الرئيس الأمريكى كيندى سنة ١٩٦٢ بأن ٨٥٪ من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين لأن الشهوات التى غرقوا فيها قد أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية[(١)] .

وأخيراً يبتليهم الله بالطاعون الجديد وهو مرض « الإيدز » لكى يكونوا عبرة لكل منحرف عن منهج الله وفطرته .

وخلاصة ما يمكن أن نصف به المجتمعات العلمانية هو : أنها مجتمعات خنازير – كما وصفها أدباؤها – يقول (كولن ولسن) فى كتابه سقوط الحضارة : « إن حضارتنا الغنية ماديا راحت تسعى حثيثا من أجل خلق مجتمع الخنازير التى تتميز بكفاءة فذة فى توجه فاعليتها الشيئية ، وقدرة عجيبة على الاستجابة لدوافعها الجسدية ولكن دون أى كفاءة أو قدرة على إيجاد علاقات روحية أو إشباع دوافع الوجدان » .

ويقول المؤرخ العالمى أرنولد توينبى : « لقد أغرت فنون الصناعة ضحاياها وجعلتهم يسلمونها قياد أنفسهم ببيعها المصابيح الجديدة لهم مقابل المصابيح القديمة لقد أغوتهم فباعوا أرواحهم وأخذوا بدلا منها (السينما) و(الراديو) وكان نتيجة هذا الدمار الحضارى .. اقفرارا روحيا وصفه أفلاطون بأنه مجتمع الخنازير »[(٢)] .

---

(١) د . عبد الله عزام – الإسلام ومستقبل البشرية صـ (٣٣) .
(٢) راجع صـ (١٣١) وما بعدها من تهافت العلمانية .

نعم لقد استطاع النظام العلمانى أن يحول الناس هناك إلى خنازير لا هم لها إلا العمل والإنتاج وإشباع الشهوات .

أما فى ظل النظام الإسلامى فسوف يظل الإنسان هو الذى كرمه ربه فأحسن تكريمه وأسجد له الملائكة ، لأنه يعيش حياته وفقا لتعاليم الله ، هذه التعاليم التى تحقق السعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة .

وإن هذا لنذير للمجتمعات الإسلامية التى تطبق النظام العلمانى ، فعودوا إلى دينكم وطبقوا شريعتكم حتى لا تتحول مجتمعاتكم إلى مجتمعات الخنازير والأمراض النفسية والعصبية .

عودوا إلى إسلامكم وإلا ضاع إيمانكم . وهذا ما سوف نوضحه فى الصفحات التالية :

□ خطورة إبعاد الإسلام عن مجال الحياة □

إن أعداء الإسلام قد عجزوا عن زحزحتنا عن عقيدتنا وديننا مباشرة فحاولوا أن يبعدونا عنها بطريق غير مباشر .

وأساس العقيدة عندنا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ومعناها أنه لا خالق ولا رازق ولا معبود ولا حكم ولا مشرع إلا الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ** ﴾[١] ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[٢] .

وأعداء الإسلام لا يستطيعون أن يقولوا لنا اتركوا هذه العقيدة واكفروا بها مباشرة ، ولكنهم دفعونا إلى الكفر بها من طريق آخر حين فرضوا علينا قوانينهم ونظمهم وعزلوا تشريعاتنا ونظمنا . وهذا معناه ببساطة أننا قد أشركنا بالله غيره من حيث لا ندرى وكفرنا بديننا من حيث لا نشعر . لماذا ؟ لأننا أطعنا هذه القوانين حين أحلت لنا الحرام وحرمت علينا الحلال وهذه الطاعة لون من ألوان الشرك تشير إليه الآية الكريمة : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ** ﴾[٣] .

---

(١) الشورى [١٠]

(٢) الأعراف [٥٤] .

(٣) الشورى الآية [٢١] .

وهكذا ندخل في نطاق الشرك بالله – حين نُبْعِدُ الإسلام عن مجال التطبيق – ويصبح إيماننا مجرد زعم وادعاء لا حقيقة له يقول الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً** ﴾[1] .

وبعد آيات قليلة فى نفس السورة نجد آية أخرى تنفى الإيمان عمن يطبقون النظام العلمانى ويتحاكمون إلى غير ما أنزل الله ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[2] .

ذلك أن الذين يطبقون النظام العلمانى لا يخرج حالهم عن واحد من ثلاثة :

١ – إما أنهم يَدَّعون أن شريعة البشر أفضل من شريعة الله وهذا إنكار لما عُلِمَ من الدين بالضرورة حيث أنكروا قول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[3] وقوله : ﴿ **وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا** ﴾[4] وقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ** ﴾[5] أى لا يكن لكم رأى ولا حكم ولا شرع فوق شرع الله ونظامه وأحكامه .

٢ – وإما أنهم يَدَّعون أنهم أعلم من الله بحال الناس وأحكم من الله فى تدبير أمورهم وهذا أيضاً إنكار لما علم من الدين بالضرورة : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[6] ﴿ **وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[7] ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[8] .

٣ – وإما أنهم يدَّعون أن شريعة الله ناقصة وأن أحوالا وحوادث جرت فى حياة الناس وكأن الله – تعالى عن قولهم – غير عالم بها وهو يشرع شريعته وهذا إنكار لما علم من الدين بالضرورة : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾[9] .

---

(١) سورة النساء [٦٠ ، ٦١] .
(٢) النساء الآية [٦٥] .
(٣) المائدة الآية [٥٠] .
(٤) التوبة : [٤٠] .
(٥) الحجرات الآية : [١] .
(٦) الإسراء الآية : [٨٥] .
(٧) سورة النور : [١٩] .
(٨) الملك [١٤] .
(٩) المائدة الآية : [٣] .

وهكذا لا يخرج المطبقون للنظام العلمانى عن واحد من هؤلاء الثلاثة وكلهم ضاع إيمانه وانتقضت عقيدته من أساسها وهذا ما قصد إليه أعداء الإسلام حين نادوا فى المجتمعات الإسلامية بالعلمانية .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأحكام إنما تشمل المسلمين حكاما ومحكومين ومع أن مسئولية الحاكم أشد ؛ لأنه صاحب القدوة والقوة والتوجيه إلا أن المحكومين أيضاً عليهم مسئولية أمام الله لرضاهم بالتحاكم إلى غير ما أنزل الله ، لأن الحاكم مهما تجبر فلن يستطيع أن يُكْره شعبا بأسره على ما يَكرَه ، وما ادعى فرعون الألوهية : ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾[1] إلا حينما رأى الجباه تعنو والظهور تنحنى[2] : ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ** ﴾[3] .

ومن هنا يقول الله عن المحكومين الذين يرتضون النظام العلمانى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾[4] ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ** ﴾[5] فمن رضى من المحكومين بما يريده العلمانيون ، فقد شاركهم فى الإثم ، من أنكر ذلك منهم فقد بَرَّأَ ذمته .

لقول الرسول ﷺ : « **سَيَكُونُ بَعْدِى أُمَرَاءُ يَعْمَلُونَ بِغَيْرِ طَاعَةِ الله ، فَمَنْ شَرَكَهُمْ فِي عَمَلِهِمْ ، وَأَعانَهمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَمَنْ لَمْ يشْرِكْهُمْ فِي عَمَلِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَهُوَ مِنِّى وَأَنَا مِنْهُ** » .

وأخيراً فإن المجتمعات الإسلامية التى طبقت النظام العلمانى هى مجتمعات منحرفة عن منهج الله ولا يمكن أن تدخل فى الإطار الكامل لكلمة « لا إله إلا الله » لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله ، ولكن لأنها تعطى أخص خصائص الألوهية لغير الله ، فتدين بحاكميه غير الله وتتلقى من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها وقيمها وموازينها وكل مقومات حياتها[6] ، ولأن الفصل بين الدين والدولة معناه الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر شأن بنى إسرائيل الذين قال الله فيهم : ﴿ **أَفَتُؤْمِنُون بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْض فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُم**

(١) النازعات [٢٤]
(٢) د . على جريشة - المشروعية الإسلامية صـ (٣٥) .
(٣) الزخرف [٥٤] .
(٤) النساء [٦٠] .
(٥) محمد [٢٦] .
(٦) معالم فى الطريق صـ (١٢٤) .

إلاَّ خِزْىٌ فِى الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيَومَ القِيَامَة يُرَدُّونَ إلى أَشَدّ العَذَابِ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلونَ ﴾[1] فالمسلم الذى يعتقد بصحة العلمانية ، ويدعو لها ، يُعد رافضا لأكثر ما شرع الله من أحكام ، ومن يرفض ذلك فهو كافر بالإسلام حتى وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، لأنه لا يحق للمسلم إن ينتقى من الإسلام ما يشاء ويرفض ما يشاء ؛ بل لابد من قبول الإسلام ككل متكامل وقد أفتى ابن تيمية بقتال أمثال هؤلاء العلمانيين فقال عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله** ﴾[2] إذا كان بعض الدين لله . وبعضه لغير الله وجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله[3] .

إن مؤامرات أعداء الإسلام فى إبعاد الإسلام عن مجال الحياة لا حدود لها ، وقد نقلوها من ميدان الحكم والتوجيه والنظام الاقتصادى إلى ميدان خطير هو الميدان الاجتماعى بالقضاء على الأسرة المسلمة وهذا ما سوف نتناوله فى الفصل التالى .

---

(١) البقـرة [٨٥] .

(٢) البقرة [١٩٣] .

(٣) راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٨ صـ (٤٦٩) .

الفصل العاشر

□ القضاء على صورة الأسرة المسلمة □

بعد إبعاد الإسلام عن مجال الأنظمة السياسية والاقتصادية والتعليمية لم يبق للمسلمين من تشريعات دينهم إلا قوانين الأسرة ونظم الزواج والطلاق وكانت هذه النظم هى آخر حَجَرٍ فى بيت المسلمين والبقية الباقية من شريعتهم ، ولم يسمح لنا أعداء الإسلام حتى بهذه البقية ، وإنما حاولوا أن ينتزعوها من المسلمين ، فاعتدوا على قوانين الأسرة المسلمة ونُظُمِهَا وعاداتها وتقاليدها ، عدلوا فيها وبدلوا ، وهذا أمر خطير لم يحدث حتى فى أوربا النصرانية ، فلقد كان الاتفاق - يوم تم الفصل بين الدين والدولة هناك - على أن يكون لرجال الكنيسة نفوذ محدد هى الأحوال الشخصية ومراسيم الزواج والطلاق ، يحكمون فيها بأهوائهم أو بما يظنون أنه تشريعات سماوية ، وقد التزمت الحكومات المدنية هناك بهذا الاتفاق فى أغلب الأحيان .

أما فى العالم الإسلامى فقد تعدوا هذه الحدود ، حيث طبقوا على الأسرة المسلمة قوانين الكنيسة ونظمها وعادات المجتمع الغربى وتقاليده ، وهذا ما يدعونا إلى العرض المفصل لنظام الأسرة فى الإسلام وخصائصه ، حتى نتبين أساليب أعداء الإسلام فى القضاء على هذا النظام .

□ نظام الأسرة في الإسلام □

الإسلام دين الفطرة ، يلائم دائما طبيعة الإنسان وغرائزه ويلبى هذه الغرائز بوضعها فى إطار مشروع ، وغريزة الجنس من أقوى الغرائز البشرية ، لذلك اهتم بها الإسلام ووضع لها الطريق الطبيعى والأمثل للتنفيس عنها وهو الزواج ، فهو الطريق الوحيد لبناء المجتمع الفاضل والعلاقة الوحيدة المشروعة بين الرجل والمرأة .

ومن هنا أمر القرآن الكريم بالزواج فقال : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ** ﴾[1]

(١) سورة النور آية [٣٢] .

﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] وحث الرسول ﷺ على الزواج وجعله نصف الدين فقال : « **إِذَا تَزَوَّجَ العَبْدُ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصفَ الدِّينِ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي النِّصْفِ البَاقِي** »[2] وقال : « **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللهَ طَاهِرًا مُطَهَّرًا فَلْيَتَزَوَّجِ الحَرَائِرَ** »[3] . وقال ﷺ : « **مَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ سُنَّتِي ، وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحُ** »[4] وييسر الرسول طريق الزواج فقد زوج أحد الصحابة على ما يحفظه من كتاب الله على أن يحفظه لزوجته ، وعن على رضى الله عنه : « جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة حشوها إذخره (نبات) » وعن جابر قال : « حضرنا عرس على وفاطمة ، فما رأينا عرسا كان أحسن منه – حشونا الفراش – يعنى الليف وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا وكان فرشها ليلة عرسها إهاب كبش »[5] .

هكذا جُهِزَتْ بنتُ رسول الله ﷺ لكى تكون سلفا ومثلا للمسلمين وأما الذين لا يستطيعون الزواج فقد وجههم الإسلام وجهات أخر تكفيهم شر الوقوع فى الخطأ ومن هنا كان قول الرسول ﷺ للشباب : « **يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَإِلاَّ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وُجَاءٌ** » .

كما أمر القرآن بالاستعفاف والطهر فقال : ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾[6] . ثم رسم القرآن الكريم المثل الأعلى لعفة الشباب فى هذه البطولة النفسية التى تتجلى فى قصة يوسف عليه السلام وجعلها نموذجا رائعا لانتصار العقل على الهوى ، حيث استعصم بدينه وتقواه بعد أن راودته امرأة العزيز وقال : ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** ﴾[7] ومن أجل هذا كان توجيه الرسول للشباب باستفراغ طاقاتهم فى الرماية والسباحة وركوب الخيل ، وكان ينادى فى الشباب دائما « **يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ : احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ لاَ تَزْنُوا ، أَلاَ مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الجَنَّةُ** »[8] .

وإذا كان الإسلام قد شرع النكاح فقد حرم السفاح وحذر من مجرد الاقتراب منه يقول الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾[9] وسد الإسلام كل الأبواب التى تؤدى إليه فوجه المسلمين إلى الأصول التالية :

---

(١) الروم آية [٢١] . (٢) رواه البيهقى . (٣) رواه ابن ماجة .
(٤) رواه البيهقى . (٥) راجع صـ (٣) من الأسرة فى الإسلام – د . مصطفى عبد الواحد .
(٦) النـور آيـة [٣٣] . (٧) يوسـف [٣٣] .
(٨) رواه الحاكم والبيهقى . (٩) الإسـراء [٣٢] .

غض البصر :

فلا يحل للمسلم أن ينظر إلى المحرمات بملء العين وعليه أن يكف النظر عما لا يحل له بخفضه إلى الأرض أو بصرفه إلى جهة أخرى ومن هنا كان الأمر القرآنى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ** ﴾[١] ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾[٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « **ثَلاَثَةٌ لاَ تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ ، عَيْنٌ حَرَسَتْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ** » وذلك سدا للذرائع فإن النظرة بريد الزنى وهى سهم من سهام الشيطان كثيرا ما يوقع الإنسان فى الخطايا ، والإسلام يريد أن يسد هذا الباب لكى يحيا المجتمع المسلم حياة طاهرة نقية يأمن فيه المسلم على بناته وزوجاته وأخواته .

فرض الحجاب على المرأة ومنعها من إظهار مفاتنها :

التبرج هو إظهار الجمال وإبراز المفاتن والمحاسن ، كما يقول البخارى رضى الله عنه : « التبرج أن تُخرِجُ المرأة محاسنها »[٣] .

وحفاظا على المجتمع من ضرر التبرج ، وصيانة لكرامة المرأة وحماية لها من التبذل والتهتك ، وإعفافا لها وللرجال نُهِىَ عن التبرج وإظهار المفاتن يقول الله تعالى : ﴿ **وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ** ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** »[٥] .

وهكذا فرض الله الحجاب الشرعى ليصون كرامة المرأة ، ويحفظ عليها عفافها ، ويحميها من النظرات الجارحة ، والكلمات اللاذعة والنفوس المريضة ، وللتمييز بينها وبين الأَمَةِ والكافرة فقد كانت الإمَاءُ والكافرات يَسرن متبرجات ، فكرم الله المسلمات بهذا الزىِّ المحتشم حتى يتميزن عن الإماء والبغايا من النساء[٦] . ومن أجل هذا شبه الرسول ﷺ المرأة المتبرجة بالظلمة التى لا نور فيها فقال : « **مَثَلُ الرَّافِلَةِ فى الزينَةِ**

(١) النور الآية [٣٠] . (٢) النور [٣١] . (٣) نعمت صدقى – التبرج صـ (١٢) .
(٤) النور [٣١] . (٥) الأحزاب [٥٩] . (٦) راجع جـ ٢ صـ (٣٧٧) من تفسير آيات الأحكام للصابونى .

فى غَيْرِ أَهْلِهَا ، كَمَثَلِ ظُلْمَةِ يَوم ِ القِيَامَةِ لاَ نُورَ لَها »[1] ذلك أن الأزياء الفاضحة والزينة عدوان على عفاف الإنسان وإرهاق لمشاعره وإغراء له باتباع الهوى والانحراف عن طريق الإيمان ، ومن أجل هذا حرم الله على المرأة المتزينة ريح الجنة ، وذكر ابن حبان والحاكم عن رسول الله ﷺ ما يثبت اللعنة للمتبرجات وأزواجهن الذين يرضون فعلهن ، فيقول النبى ﷺ : « **يَكُونُ فِى آخرِ الزَّمانِ رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ المسَاجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَات عَارِيَات عَلَى رُؤُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ العَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٍ** » .

ومن هنا كان حكم الحجاب فى الإسلام كحكم الصلاة ، فهو فريضة إذا تركته المسلمة جحودا فهى كافرة مرتدة عن الإسلام ، وإذا تركته تقليدا للمجتمع الفاسد مع اعتقادها بفرضيته فهى عاصية مخالفة لتعاليم القرآن الكريم[2] .

تحريم الاختلاط :

ينظر الإسلام إلى المجتمع على أنه مجتمع انفرادى للرجال مكانهم وللنساء مكانهن ، ولا التقاء بينهما ولا اختلاط اللهم إلا بالزواج يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾[3] وإذا كان الحجاب على أمهات المؤمنين أطهر لقلوب الصحابة رضى الله عنهم ، وهم نجوم الهدى فكيف برجال هذا الزمان ؟ إنهم أكثر احتياجا إلى حجب النساء[4] .

يقول الرسول ﷺ : « **لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثُهُمَا** » : « **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولُ عَلَى النِّساءِ** » ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : أَفَرَأَيْتُم الحَمُو ؟ أَىْ أَقَارِبُ الزَّوْجِ قال ﷺ : « **الحَمُو المَوْتُ** » .

وقال ﷺ : « **لأَنْ يُطْعَنَ فِى رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمَخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لاَ تَحِلُّ لَهُ** » وقد وصف الله نساء أهل الجنة بما تتصف به الحرائر العفيفات فى الدنيا ، فوصفهن بالبَيْضِ المكنون ووصفهن بالمقصورات فى الخيام .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) تفسير آيات الأحكام جـ ٢ صـ (٣٨٠) .

(٣) الأحزاب [٥٣] .

(٤) عبد العزيز الحصين – المرأة ومكانتها فى الإسلام (٦٩) .

بل إن الإسلام يحرم الاختلاط حتى فى المسجد ، فقد كان لهن باب مخصوص يدخلن منه ، وقد كانت النساء تقف خلف صفوف الرجال ، وكان النبى ﷺ إذا انتهى من صلاته مكث قليلا حتى تخرج النساء . كما كان النساء يحضرن صلاة العيد ، ولكن فى مكان خاص بهن ، وكان النبى ﷺ إذا انتهى من خطبة الرجال أتى النساء فخطب فيهن ، بل كان ﷺ يأمر النساء بالسير على حواف الطريق حتى لا يختلطن بالرجال[1] .

ولكن ما هى الحكمة من تحريم الاختلاط ؟ والجواب : إن فى هذا الأمر حِكَمًا كثيرة منها :

أ - أن الاختلاط ينافى العفة ، ولذلك قال أحد الحكماء : إن العفة حجاب يمزقه الاختلاط ، وهذا ما حدث بالفعل فقد رأينا البنت العذراء المصونة تدخل إلى مجتمعات الاختلاط ، بحيث تكون فى متناول كل ساقط وفاسق ، فيوجه السفهاء إليها أنظارهم ويسترسلون معها فى حديث الهزل والغزل ، فلا تلبث قليلا حتى تلقى عن نفسها جلباب الحياء والحشمة ، وتزول عنها العفة[2] .

ب - أنه يفقد المرأة حيائها الذى هو بمثابة السياج لصيانتها وعصمتها ، وإذا فقدت المرأة حيائها ، فقدت الخير كله (إن لم تستح فاصنع ما شئت) .

جـ - أنه يحط من كرامة المرأة فالمرأة المكنونة فى بيتها كريمة عزيزة يتمناها الأطهار من الرجال ولكن المرأة المختلطة بالرجال مهينة تَعُوَّدَ النظر عليها وألفها .

د - أنه يقضى على الرجولة : فمن كثرة اختلاط الرجال بالنساء نجد بعض الرجال يصبن بطراوة فى الأخلاق ولين فى الرجولة لا يقف عند حد الرقة بل يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة والتشبه بالنساء .

هـ - وقد يؤدى الاختلاط والالتقاء الدائم بين الذكر والأنثى إلى البرود الجنسى الذى يصل إلى حالة المرض الذى يستدعى العلاج ، وهذا ما يؤدى إلى ضعف النسل وتخلفه وانحطاط خصائصه ، ومن هنا يقول علماء الوراثة إن زواج الأقارب يؤدى إلى ضعف النسل وهذا ما كشف عنه الرسول ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان حين قال : « **لاَ تَنْكِحُوا القَرَابَةَ القَرِيبَةَ فَإِنَّ الوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِياً** » .

---

(١) قارن صـ (١٧٥) من تفسير سورة النور - أبو الأعلى المودودى .

(٢) الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود - الاختلاط وما ينجم عنه من مساوىء الأخلاق صـ (١٢) .

وأدرك ذلك أيضاً الإمام الجليل أبو حامد الغزالى ، فجاء فى كتابه (إحياء علوم الدين) من بين ما سرده فى الخصال المطيبة لعيش الزوجين قوله : « أن لا تكون من القرابة القريبة ، فإن ذلك يقلل الشهوة ، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس ، وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة ، فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ، ولا تنبعث به الشهوة » .

كما أن البرود الجنسى الناتج عن الاختلاط وتعود كل من الذكر والأنثى على رؤية الآخر ، يؤدى إلى نتيجة أخرى وهى انتشار الشذوذ ، وذلك أن الرجل الذى ألف أن يقع نظره على مفاتن المرأة فلا يثور ، إنما يلجأ إلى أساليب أخر لإثبات رجولته ، وقد يغرق نفسه فى أوكار المخدرات ، وأفلام الجنس وغير ذلك مما يساعد على إشباع الرغبة المفقودة ويؤدى بالتالى إلى هدم كيان المجتمعات ، وهذا ما حدث للحضارة الغربية التى بدأت فى التهاوى بسبب مصادمتها للفطرة الطبيعية التى فطر الله الناس عليها[1] .

و - وأخيراً فإن الاختلاط يفتت الأسرة ويقضى على الحياة الزوجية حيث يستغنى الرجل عن زوجته بمجتمعات النساء فى العمل وفى النوادى العامة ، وكذلك تستغنى المرأة عن زوجها بمجتمعات الرجال .

وقد تنبه الفيلسوف الإنجليزى « برتراند رسل » إلى مخاطر الاختلاط فحذر منه بقوله : هناك شرط مهم يساعد على دعم الحياة الزوجية ، ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظام الذى يسمح بالمصادقة والمخالطة بين المتزوجين من الرجال والنساء سواء فى العمل أو فى المناسبات والحفلات وما شاكلها ، ذلك أن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هى سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق[2] .

وهكذا يصل هؤلاء المفكرون أخيرا إلى ما قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ولا ينبغى أن يُفهم من تحريم الاختلاط أن الإسلام يرفض تعليم المرأة أو عملها ، كلا فالإسلام أوجب تعليم المرأة حيث يقول الله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ** ﴾[3] .

---

(١) د . محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها - صـ (٧٠) وما بعدها مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٨١م .

(٢) راجع صـ (١٣٨) من مفاهيم العلوم الاجتماعية - أنور الجندى .

(٣) الأحـزاب [٣٤] .

ويقول الرسول ﷺ : « **أَيُّما رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فعَلَّمَها فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَأَدَّبها فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَها ثُمَّ أعْتقَهَا وَتزَوَّجهَا فَلَهُ أجْرَانِ** »[1] وقال ﷺ : « **نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمنعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فى الدِّينِ** » وكانت عائشة رضوان الله عليها من أفقه نساء العالم وأكثرهن رواية للحديث عن رسول الله ﷺ ، إذاً فالإسلام لا يمنع من تعليم المرأة ولكن المشكلة هى نوعية العلم الذى تتلقاه المرأة :

إنه العلم بأصول دينها أولا ثم العلم بشئون الأسرة وتربية أطفالها وتدبير المنزل والشئون الصحية وسياسة الأطفال وغير ذلك مما تحتاجه فى بيتها .

أما أن تتعلم المرأة الجيولوجيا والتنقيب عن البترول ، والرياضة البدنية من الجرى والجمباز والكرة ، والموسيقى والنحت والتصوير وغير ذلك مما تتلقاه فتياتنا فى المدارس فهذا ما لا يرضاه الإسلام .

□ عمل المرأة □

كذلك فالإسلام لا يمنع من عمل المرأة ؛ بل إنه يراعى طبيعتها فيوكل إليها من الأعمال ما يتناسب وهذه الطبيعة ، إن الإسلام يدخر المرأة لأشرف عمل فى أشرف ميدان وهو بناء الرجال وتربية الأطفال الذين سوف يحملون على أكتافهم مسئولية بناء المجتمع ، ولذلك فرض الإسلام على الرجل أن يكد ويكدح ويسعى فى الأرض من أجل إنفاقه على زوجته وهى معززة مكرمة تمارس عملها فى بيتها ، ومن أجل هذا أسقط الفقه الإسلامى حق المرأة فى النفقة حين تخرج من بيتها رغما عن الرجل ، فقد جاء فى بدائع الصنائع : « أن المرأة محبوسة بحبس النكاح حقا للزوج ممنوعة من الاكتساب بحقه »[2] .

ولكن الإسلام فى الوقت ذاته أباح العمل للمرأة خارج المنزل إذا كانت هناك ضرورة لذلك ، ومن الضرورات :

أ - ألا تجد لها عائلا من زوج أو أب أو أخ .

---

(١) رواه البخـارى .

(٢) راجع صـ (١٠) وما بعدها من كتاب الزوجة العاملة للمستشار عبد الوهاب البندارى .

ب - حين يحتاج إليها المجتمع فى الميادين التى لا تصلح فيها سواها مثل أعمال طب النساء والتوليد ، وتعليم البنات وغير ذلك مما يناسب طبيعة المرأة .

ولكن عملها خارج بيتها مشروط بشرط أساسى وهو : أن تعمل فى ظروف تسمح لها بحفظ كرامتها بعيدا عن مزاحمة الرجال والاختلاط بهم ، أما أن تعمل على المكاتب عملا يمكن أن يقوم به الرجل ، وأما أن تقوم المرأة بالأعمال الشاقة فى المصانع وغير ذلك مما يتنافى مع طبيعة تكوينها ، فهذا ما لا يرضاه الإسلام تكريما للمرأة وصيانة لها وحماية للمجتمع من السقوط .

إن خروج المرأة للعمل كارثة على البيت ، لأنه ضياع للمهمة الأساسية وهى تربية الأطفال وإرضاعهم لبنا وحنانا ، ولكن قد تبيحه الضرورة أما أن يتطوع به الناس وهم قادرون على اجتنابه فهذا هو الدمار الكامل الذى يصيب المجتمعات فى مقتلها ، حيث يفتت الأسرة ويترك تربية الأطفال للخادمات والمدارس وحدها ، كما أنه يؤدى إلى ضياع الجانب الأنثوى فى المرأة ، ذلك أن المرأة الأوربية حين سعت إلى المساواة بالرجل فى جميع أعماله ووظائفه ، لاحظ المراقبون ظاهرة خطيرة وهى ضمور أجهزة الأمومة ووظائفها فلم تعد المرأة هناك امرأة كما فطرها الله ، ولم تصبح رجلا كما تمنت فى داخلية نفسها ، وإنما أصبحت جنسا ثالثا فى طريقه إلى الظهور جنسا حائرا قلقا مضطربا غير مستقر .

يقول « الكسيس كاريل » : « للغدد الجنسية وظائف أخر غير دفع الإنسان لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس ، فهى تزيد أيضاً من قوة النشاط الفسيولوجى والعقلى والروحى ، فليس هناك خصياً أصبح فيلسوفا عظيما ، أو عالما خطير الشأن أو حتى مجرمًا عاتيا ، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية ، إنها تولد الخلايا الذكورية والأنوثية وهى فى الوقت نفسه تفرز فى الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكورية أو الأنوثية المميزة على أنسجتنا وأخلاقنا وشعورنا ، فالخصية تولد الجرأة والوحشية والقوة ، ويؤثر المبيض فى جسم المرأة بطريقة مماثلة ، ولكن عمله يستمر فقط إبَّان جزء من حياتها ، فحينما تبلغ سن اليأس تضمر الغدد بعض الشىء ، وحياة المبايض القصيرة تجعل المرأة المتقدمة فى السن أكثر ضعفاً من الرجل الذى تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جدا ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ، ومسئوليات متشابهه ، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل فكل خلية

من خلايا جسمها تحمل طابعها الجنسى (. . . .) فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فإن دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة »[1] .

هذه شهادة علمية من طبيب متخصص وحائز على جائزة نوبل فى العلوم ، وهى دليل على مدى صدق موقف الإسلام من المرأة فهو موقف يؤيده العلم التجريبى ، وحينما خرجت المرأة من ثوبها ومن جلدها فى أوربا تحولت إلى أشباه الرجال وفقدت أنوثتها ..

إنها عقوبة الفطرة الحاسمة التى لا تخضع لحماقات الجاهلية وأهوائها و لم يكن الإسلام ليتبع الجاهلية ، ومن هنا لم يُرد للمرأة المسلمة أن تكون الجنس الثالث الضائع المحير الذى نشأ من انحراف الجاهلية الحديثة عن فطرة الله .

لذلك وَكل إليها وظيفتها الفطرية وكفل لها فى هذه الوظيفة كل رعاية ممكنة .

- كفل لها رزقها دون أن يحوجها إلى العمل .
- وكفل لها احترامها الإنسانى .
- وكفل لها صيانة جهدها أن يتبدد ما بين العمل الخارجى والبيت .
- كفل لها أخلاقها فلا تتعرض للفتنة ولا تصبح هى فتنة يستغلها أعداء الإنسان لتدمير الإنسان .

وحين تخرج المرأة المسلمة إلى العمل بعد كل هذا التكريم فإنه البطر بنعمة الله والكفر بها ، إنه الشقاء الشامل ، والخراب المدمر فلا بيت ولا أسرة ولا استقرار .

يقول كارليل « لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة استبدالا تاما ، ولهذا ترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأعمالهن ومطامعهن الاجتماعية أو مباذلهن أو ارتياد دور السينما ، إنهن مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهم أمورا كثيرة ، لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى طبقا للقوالب الموجودة فى محيطه ، إذ إنه لا يتعلم إلا قليلا من الأطفال الذين فى مثل سنه »[2] .

---

(١) د . الكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول) صـ (١٠٨) وما بعدها .

(٢) مفاهيم العلوم الاجتماعية صـ (١٤٢) .

وتقول الكاتبة الشهيرة « آنارورد » : « لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب حياتها إلى الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداءً ، إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال . فما لنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية ، من القيام فى البيت وترك أعمال الرجال سلامة لشرفها »[1] .

ألا ما أحكم الإسلام الذى قرر ما يطالب به الغربيون منذ قرون عديدة .

ويجب أن تعلم المرأة المسلمة أن الغرب المادى حين قدم المرأة فى بعض الأعمال على الرجل وبخاصة فى المتاجر والسفارات والقنصليات وفى الأعمال الإخبارية كالصحافة والإذاعة والتليفزيون ، يجب ألا تغفل المرأة المسلمة عن المقصد الخبيث الكريه من هذا التقديم ، إنه معنى النخاسة والرقيق إنه استغلال للحاسة الجنسية فى نفوس الزبائن ، فالذين قدموا المرأة فى هذه المجالات يدركون الفوائد المادية التى تعود عليهم من وراء استخدامها ، ويعرفون كيف تحصل المرأة على النجاح فى هذه الميادين ، ويعلمون ماذا تبذل المرأة من أجل الحصول على هذا النجاح ، فإن لم تبذل هى شيئا وهو فرض بعيد ، فهم يدركون أن شهوات جائعة ، وعيونا خائنة ، تستمتع بجسدها وحديثها . وهم يستغلون ذلك الجوع للكسب المادى[2] .

فعلى المرأة المسلمة أن تفهم أبعاد ذلك وتربأ بنفسها أن تكون كذلك ، وعليها أيضاً أن تعرف الفرق بين الحقوق والواجبات .

إن عمل المرأة وخروجها من بيتها ومكابدتها شقاء الحياة ليس حقاً حصلت عليه ، وإنما هو حق سلب منها ، إن إنفاق الرجل على المرأة واجب عليه وحق للمرأة ، وعمل الرجل وشقاءه من أجل تحصيل لقمة العيش واجب عليه وحق للمرأة ، فمن يقول إن الشقاء والتعب حق ؟ ! ومن يقول إن المرأة بخروجها من بيتها وتحملها المسئوليات الجسام هو حق حصلت عليه ؟ ! إن المفهوم الصحيح هو أن نقول : إن هذا واجب ألقته المرأة على كاهلها فى الوقت الذى تنازلت فيه عن حقوقها للرجل .

---

(١) المرأة ومكانتها فى الإسلام صـ (٩١) .

(٢) الشيخ سيد قطب – العدالة الاجتماعية فى الإسلام صـ (٦٠) القاهرة ١٩٦٤ .

ومن خصائص الأسرة المسلمة :
أن القوامة فيها للرجل

وذلك من أجل الحفاظ على نظام الأسرة واستمراره ، وهذا أمر طبيعى ملائم لفطرة الرجال والنساء معا ، فالقوامة هى مسئولية الرجل عن بيته من حيث الإنفاق والتربية والتنظيم ، يقول الله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾[1] . وقد جاءت أبحاث علم الأحياء والتشريح لكى تؤكد قوامة الرجل على المرأة لما يتميز به من الخصائص البدنية والنفسية التى تؤهله لذلك[2] .

فالمرأة باستعدادها الفطرى - البيولوجى - للحمل والولادة والإرضاع قد ركبت تركيبا نفسيا معينا يجعل الجانب العاطفى فيها هو الأقوى والأغذر والأملك لكيانها كله ، أما الرجل فقد ركب تركيبا خاصا يناسب مهمته فى الإنتاج والعمل .

وتتميز الأسرة المسلمة بإباحة الطلاق وتعدد الزوجات

(أ) الطـــلاق :

شرع الإسلام علاقة الزواج لتبقى وتدوم ، ولذلك شرع لها من الوسائل ما يكفل الثبات والاستقرار ، ومن هنا كانت الأوامر الإلهية بإحسان العشرة الزوجية والصبر على المكاره والملاطفة والملاينة وغير ذلك مما أمر به الإسلام .

ولكن الإسلام فى الوقت ذاته ينظر إلى الواقع ، فليس كل الناس على هذه الدرجة من الالتزام ، فهناك النفوس الشريرة ، وهناك الطبائع المتنافرة ، لذلك شرع الإسلام الطلاق لكى يرتفع الضرر عن الزوجين ، ويزول الحرج ﴿ **وإن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِن سَعَتِهِ ، وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا** ﴾[3] .

فالطلاق هو الحل الأخير للضرر الذى يصيب أحد الزوجين من الآخر ، ومن هنا كانت أحكامه فى الإسلام بين الوجوب والتحريم والندب والإباحة .

---

(١) النســاء [٣٤] .

(٢) راجع صـ (٩٥) من الحجاب لأبى الأعلى وصـ (١٦٨) من الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان .

(٣) النســاء [١٣٠] .

- فهو يكون واجبا إذا رأى الحكمين استحالة الحياة بين الزوجين .
- ويكون محرما إذا لم تكن هناك حاجة إليه .
- ويكون مباحا إذا ساء خلق المرأة وساءت عشرتها .
- ويكون مندوبا عند تفريط المرأة فى حقوق الله مثل الصلاة ونحوها[1] .

ومن عدل الإسلام أنه أعطى للرجل حق الطلاق ، وفى الوقت ذاته أعطى للمرأة حقا مقابلا وهو (الخلع) إذا تضررت من الرجل أو كرهت العيش معه .

ومع أن الإسلام قد أباح الطلاق - مسايرة للفطرة البشرية - إلا أنه وضع أمامه مجموعة من العوائق والقيود فهو :

أولاً : يُنَفِّرُ منه حين يجعله أبغض الحلال عند الله وحين يحذر المرأة من طلبه فيقول الرسول ﷺ : « **أَيُّمَا امْرَأَة سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ** » .

ثانيـا : وضع منهجا للإصلاح حين يحدث النفور والشقاق ، يبدأ بالوعظ ، ثم الهجر ، ثم الضرب غير المبرح .

ثالثـا : أمر بالتحكيم بين الزوجين فى محاولة أخيرة للإصلاح ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا** ﴾[2] .

رابعـا : وجعل للطلاق السنى وقتا محددا وهو الطهر الذى لم يجامعها فيه ، وليس له أن يطلقها وهو بعيد عنها فى فترة الحيض ، وفى ذلك دعوة له ليتمهل ولا يسرع بفصل عرى الزوجية ؛ بل واجب عليه عدم إخراج الزوجة من بيت الزوجية رغم طلاقها لعله يفكر ويراجع نفسه ويغلب حسناتها على سيئاتها[3] ﴿ **فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[4] .

خامساً : جعل الإسلام الطلاق بالتدريج إعذاراً وإنذاراً ، فجعل الطلاق مرتين وله الحق فى مراجعتها بعد كل مرة منهما مادامت لم تنقض عدتها ، وحتى بعد انقضاء العدة له الحق فى مراجعتها بعقد جديد .

(١) الشيخ سيد سابق - فقه السنة جـ ٣ صـ (٢٤٣) .
(٢) النســاء [٣٥] .
(٣) تفسير آيات الأحكام جـ ٢ صـ (٦٠٤) .
(٤) النســاء [١٩] .

فإذا لم تفلح تلك الوسائل فإن الطلاق يكون هو العلاج الوحيد ، وذلك سدا لباب الزنا والخيانة الزوجية ، وانتشار الفساد والفجور كما حدث فى أوربا التى حرمت الطلاق فدفعت الرجل والمرأة معا إلى مهاوى الرذيلة ، ففى أمريكا الآن عصابات من كبار المثقفين من المحامين والأطباء والكُتّاب ورجال القانون مهمتها تيسير مهمة الزنا لأغراض قانونية !!

فهناك لا يباح الطلاق إلا فى جريمة الزنا من أحد الزوجين ، فيحق للزوج الآخر أن يطلب الطلاق .

ومن ثم يلجأ الطرف الكاره الذى يطلب الطلاق - سواء الزوج أو الزوجة - إلى تأجير واحدة من هذه العصابات ، للإيقاع بالطرف الآخر فى جريمة الزنا ، وضبطه متلبسا ، وإعطاء المستندات اللازمة التى تُمَكِّن من طلب الطلاق ، لقاء أجر معلوم ، ولذلك أباح كثير من دول أوربا الطلاق كما سنبين فيما بعد إن شاء الله .

هذا هو حال المجتمع الأوربى الذى منع الطلاق فهوى فى حياة الرذيلة . ولكن المجتمع الإسلامى هو مجتمع الطهر والعفة ، ولذلك يضع من التشريعات ما يناسب ذلك .

(ب) تعدد الزوجات :

أباح الإسلام للرجل أن يتزوج بأربعة من النساء : ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾[1] . وقد شرّع لتعدد الزوجات فعل الرسول ﷺ والصحابة فهو من قبيل السنة العملية والتقريرية .

ومع أن الإسلام قد أباح التعدد إلا أنه قد قيده بقيدين .

الأول - هو القدرة المادية والجسدية .

الثانى - هو العدل بين النساء فى الأمور المادية .

والعدالة المطلوبة عند تعدد الزوجات هى حسن العشرة المطلوبة فى كل زواج ، والمساواة بين الزوجات فى المظاهر المادية دون النواحي النفسية ، ولذلك كان الرسول ﷺ يعدل بين زوجاته في الأمور المادية ، ولكنه كان يميل إلى عائشة ويحبها أكثر من غيرها . وحينما عاتبته أم سلمه قال لها : « **لاَ تُؤْذِينِي فِى عَائِشَةَ ، فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِى وَأَنَا فِى ثَوْبِ امْرَأَةٍ إلاَّ عَائِشَةَ**[2] » .

---

(١) النســاء [٣] .

(٢) رشيد رضا حقوق النساء فى الإسلام صـ (٨٤) .

وقال : « **اللَّهُمَّ إنَّ هَذا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ ، فَلاَ تُؤَاخِذْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ** » وما يملكه الله تعالى ولا يملكه العبد هو المحبة القلبية وهي غير مطلوبة[1] وإلا اتهم الرسول ﷺ وهو أعدل البشر بما لا يليق به . والعدالة النفسية هي المنفية في قوله تعالي : ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ** ﴾[2] .

فالعدل المطلوب هو عدل البشر لا عدل الملائكة وهو العدل الظاهري في الحقوق والواجبات لا العدل النفسي والقلبي الذي هو بيد الرحمن يقلبه كيف يشاء .

ولكن ما الحكمة من إباحة تعدد الزوجات ؟

والجواب لما فيه من الفوائد والمنافع التي تعود على المرأة أولاً .

وعلى الرجل ثانيا .

وعلى المجتمع ثالثا .

❁ فمن فوائده التي تعود على المرأة : أن النساء عادة يكن أكثر من الرجال ، وحين يمنع التعدد تتضرر النسوة اللائي لا يجدن زوجا يعولهن ، وتظهر هذه الصورة بصفة خاصة عقب الحروب التي تأكل الرجال وتكثر أعداد النساء والأرامل ؛ من هنا أباح الإسلام تعدد الزوجات وجعله رخصة ورحمة وحماية للمجتمع من السقوط في مهاوى الرذيلة والفوضى الاجتماعية التى تنشأ لا محالة من وجود نساء بلا رجال ، وفي هذه الحالة يكون التعدد مصلحة اجتماعية لصالح الأمة[3] .

❁ وقد يكون التعدد ضرورة بالنسبة للزوج كأن يتزوج بامرأة عاقر لا تلد أو بامرأة مريضة لا تكفيه لإحصان فرجه ، أو يكون الرجل بطبيعته شهوانياً لا تكفيه امرأة واحدة ، لأن غريزته تدفعه إلى كثرة الإفضاء[4] .

ففى كل هذه الحالات يكون التعدد ضرورة لابد منها ، وإلا فلابد من وقوع المحظور وهو الزنا والمخادنة وغير ذلك من العلاقات التى ظهرت فى أوربا نتيجة لتحريم التعدد .

هذه هى خصائص الأسرة المسلمة كما أراد الله سبحانه وتعالى ، ولكن أعداء الإسلام حاولوا انتزاع هذه الخصائص وصبغها بالصبغة الغربية ، وهذا ما سوف نوضحه فيما يأتى :

---

(١) راجع صـ (٦٩) من تنظيم الأسرة للشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) النســاء [١٢٩] .

(٣) مفاهيم العلوم الاجتماعية صـ (٥٢) .

(٤) السـابق صـ (١٣٠) .

□ أساليب أعداء الإسلام في مسخ الأسرة المسلمة □

لقد قام المجتمع الغربى على نقيض ما قام عليه المجتمع الإسلامى . فبينما قام المجتمع الإسلامى على أساس العفة والطهر وتقديس العرض والشرف ، واعتبار الزواج أساس بناء المجتمع ، قام المجتمع الغربى على أساس : السفاح والمخادنة والنظر إلى العرض نظرة ازدراء ، وسبب ذلك – أن أوربا قد داست على دينها بقدمها بعد الصراع الذى حدث بين الدين والدولة هناك – وحينما قامت الثورة الصناعية ، فرضوا على المرأة أن تخرج للعمل بجانب الرجل ، فخرجت المرأة لأن الرجل بخل بالإنفاق عليها ، واختلطت النساء بالرجال ، وترتب على ذلك أن ظهرت صور جديدة للعلاقة بين الرجل والمرأة مثل علاقة الزمالة ، والبغاء ، كما ترتب على ذلك أن أصبحت الرذيلة شيئاً معتادا ، بل أصبحت مهنة استغلها اليهود والرأسماليون الذين تاجروا فى كل شىء حتى فى أعراض النساء .

✵ ومع الثورة الصناعية وظهور الرأسمالية المستغلة ظهرت ثورة على الأخلاق والقيم حيث شاعت نظرية داروين التى ادعت أن الإنسان أصله القرد ، ونظرية فرويد التى فسرت الوجود الإنسانى وجودا جنسيا ، وحللت النفس البشرية على أساس من الشهوة الحيوانية ، ودعت الإنسان إلى التحرر من قيم الأديان وتعاليمه ، وإشباع الشهوات الحيوانية بأى طريق ، فالإنسان ينبع من طاقة واحدة من طاقاته هى الطاقة الجنسية ، وهى التى تحركه طفلا وشابا وشيخا .

هذا بالإضافة إلى ظهور نظريات دور كايم فى علم الاجتماع حيث راح يدعى أن الأخلاق والدين شىء لا يمكن الحديث عنه ككيان ثابت ، وأن الجريمة وارتكاب الفواحش ظواهر طبيعية ، وأن الزواج ليس فطرة .

وهكذا ظهرت المؤامرة على المرأة الأوربية .

- ماركس يقول : إن المرأة لابد أن تعمل .
- دور كايم يقول لها : إن الزواج ليس فطرة .
- وفرويد يتلقفها فيقول لها : إنها لابد أن تحقق كيانها تحقيقا جنسيا خالصا من القيود .
- والرأسماليون والمرابون اليهود يدفعونها إلى العمل تحت عنوان تحقيق الذات وتحرير المرأة .

- ثم قامت الحرب العالمية الأولى : وقتل فيها عشرة ملايين رجلٍ فى ساحة القتال . غير النساء والأطفال - ووجدت ملايين الأسر نفسها بلا عائل إما لأن عائلها قد قتل فى الحرب ، أو شوه بدرجة تعجزه عن العمل ، أو فقد عقله وأعصابه بفعل الحياة الدائمة فى الخنادق والغازات السامة ، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ، فإن الذين خرجوا من الشباب قادرين على العمل لم يكونوا كلهم على استعداد لأن يتزوجوا ويكونوا أسرة ، وإنما راحوا يعيشون حياتهم على هواهم ، فلا بأس بالمرأة صديقة تستجيب للرغبة اللاهفة ، أو جسدا يشترى بالنقود ، ولكن لا مرحباً بها زوجا وأم ولد[1] .

ومن هنا فرض على المرأة أن تخرج للعمل فى أى مكان وبأى ثمن ، وفرض عليها أن تشبع رغبتها بأى طريق ، مات الرجال وعزف الشباب عن الزواج ، والنظام الموجود هناك لا يسمح بتعدد الزوجات ، وإن كان يسمح بتعدد العشيقات .

ونضيف إلى ذلك الانقلاب النفسى الذى حدث للمرأة الأوربية ، فلقد كانت من قبل شيئا مهملا لا وجود له ، ولا كيان ولا استقلال ، بل مجرد تابع للرجل تعيش عن طريقه اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا وفكريا ، فقد كانت هذه المرأة فى جاهلية العصور الوسطى لا قيمة لها ، لا تملك شيئا ولا تستطيع أن تتصرف فى شيء ، محرومة من حقوقها فى كل شيء فلما حدث الانقلاب الصناعى وعملت المرأة ، شعرت بفرديتها ، وتعاملت بنفسها مع المجتمع فى المصنع والمتجر ، وتعاملت مع الرجل على أنها ند له يحاول أن يصل إلى مستواه وينازعه السلطان فى الحرية المطلقة من القيود ومن القيم والتقاليد .

فطالبت المرأة هناك بالمساواة فى كل شيء حتى المساواة فى الإباحية ، والتحلل والانطلاق من قيود الزواج . ومن هنا ضاع الزواج كأساس من أسس المجتمع ، وبعض دول أوربا مثل فرنسا حاولت تكثير نسلها بأى طريقة ، حتى ولو كان هو الزنا دون مراعاة للقيود والتقاليد ، فنادوا بأن العذراء التى تتبرع برحمها للتوليد خدمة للوطن تستحق الكرامة والعزة لا التحقير والازدراء ، وترتب على ذلك ظهور المحاضن الجماعية التى تربى أطفال الزنا ، واختراع وسائل منع الحمل وإباحة الإجهاض وغير ذلك .

---

(١) محمد قطب - معركة التقاليب صـ (٤٤) .

وهنا نجد أنفسنا فى مجتمع لا يفرق بين النكاح والسفاح ، بل الفضيلة فيه تتحول إلى رذيلة ، والرذيلة تتحول إلى فضيلة ، مجتمع تطالب فيه المرأة بإلغاء عقد الزوجية ، لأنه يحد من حريتها .

مجتمع ليس فيه فرق بين طفل شرعى وآخر غير شرعى ، مجتمع يتبادل الزوجات ، مجتمع متناقض تماما مع خصائص المجتمع الإسلامى الذى يقوم على أساس من الأخلاق والمبادىء الرفيعة .

وهنا حاول أعداء الإسلام صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الغربية ، والقضاء على صورة الأسرة المسلمة ، وسحب صفات الأسرة الغربية عليها .

وهذا ما أشار إليه الإنجليزى - (جلا دستون) بقوله : « لابد لاختلال قوى الإسلام من رفع الحجاب عن وجه المرأة المسلمة ، ونغطى به القرآن ، ولابد من إتيان المسكرات والمخدرات والفواحش والمنكرات »[١] .

ومن هنا قام أعداء الإسلام بما يأتى :

أولاً : حاولوا هدم النظام الإسلامى فى الزواج وتكوين الأسرة ، وأشاعوا فى العالم الإسلامى صورا أخر من العلاقات بين الرجل والمرأة غير علاقة الزواج .

وهدم الأسرة المسلمة خطة يهودية شيوعية معا - فقد نص عليها اليهود فى محاضر جلساتهم السرية بقولهم : « سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين ، ونفسد أهميتها التربوية »[٢] . كما أكد ماركس فى فلسفته على هدم نظام الأسرة وتنشئة الأطفال فى محاضن عامة ، بحيث لا يكون لهم أى ارتباط بأم أو أب أو أسرة ، بل يكون ارتباطهم الوحيد بالدولة والحزب .

كذلك أشار إنجلز إلى أهمية الزواج الجماعى ، ودعا إلى تقويض القيود التى فرضتها الأديان فى علاقة الرجل بالمرأة[٣] ، من أجل هذا دعا أعداء الإسلام فى المجتمعات الإسلامية عن طريق الإذاعة والتمثيلية والقصة الأدبية والتليفزيون والسينما - إلى تحرر المرأة والرجل من قيود الزواج ، والانطلاق فى خلق علاقات جديدة مثل الزمالة والصداقة والمخادنة والزنا ، وشاعت فى المجتمعات الإسلامية نظريات فرويد التى جعلت الإنسان حيوانا هائجا ليس له من هم إلا إشباع شهواته وأهوائه ، (فرويد) الذى

---

(١) المرأة ومكانتها فى الإسلام صـ (١٢) .
(٢) بروتوكولات حكماء صهيون صـ (١٦٣) ترجمة التونسى .
(٣) د . مصطفى عبد الواحد - الإسلام والمشكلة الجنسية صـ (٧٣) .

يقول عنه اليهود فى محاضر جلساتهم السرية : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان ، فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنتهى أخلاقه » .

نعم أشيعت نظريات فرويد فى العالم الإسلامى وتعلمها أبناؤنا وبناتنا فى الجامعات كما حاولوا تأخير سن الزواج فى المجتمعات الإسلامية بطريقة أو بأخرى ، حيث صورت أجهزة الإعلام فى الأفلام والتمثيليات الزواج على أنه كلفة ومشقة وأعداد معدودة من الحجرات وأكوام من الذهب والأدوات الكهربائية ، وغير ذلك مما جعل الشباب ينتظر حتى يصل إلى هذا المستوى الفاره ، فتأخر سن الزواج فى المجتمعات الإسلامية إلى ما يقرب من ثلاثين سنة بعد أن كان الشاب يتزوج حين يبلغ سن الرشد إحصاناً لفرجه وإعفافاً لدينه بصرف النظر عن الكلفة والجهاز وغير ذلك مما صوره لنا أعداء الإسلام .

وتأخير سن الزواج فى غاية الخطورة حيث لا مفر من أن يأخذ الجسم فى الثورة ، وأن تضعف القدرة على ضبط النفس وتصبح العفة التى كانت فضيلة موضعا للسخرية ، ويختفى الحياء الذى كان يضفى على الجمال جمالا ، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم ، وتطالب المرأة بحقها فى مغامرات غير محددة لكى تكون على قدم المساواة مع الرجال خصوصا ، والأفلام والمسرحيات وكل وسائل الإعلام تجسد الجنس فى أعين الشباب وتدعوهم إليه ليلا ونهارا ، وبذلك تضيع العفة ويختفى الحياء وينطلق الشباب فى مجونهم ولهوهم . يبحثون عن علاقات أخرى غير الزواج مثل السفاح والبغاء وغير ذلك من الصور التى كانت موجودة فى الجاهلية ولم يكن يلجأ إليها إلا أخس خلق الله والقلة والشواذ رغم الجاهلية التى كانت تغشاهم ، فإن العرب على شركهم كانوا يتهالكون فى حفظ أحسابهم وأنسابهم وصيانة نسائهم ، ولذلك حينما سمعت هند أحكام الزنا تعجبت وقالت : أوتزنى الحرة يارسول الله ؟!! استبعادا لوقوع الزنا من الحرائر[1] .

ولكن أعداء الإسلام حاولوا أن يعيدوا بين المسلمين كل هذه الصور الجاهلية بديلاً من علاقة الزواج الطاهرة الكريمة التى قررها الإسلام .

---

(١) قارن صـ (٨) من الاختلاط وما ينجم عنه من مساوىء الأخلاق وردت هذه الواقعة فى بيعة النساء .

ثانيا : دفعوا المرأة المسلمة إلى التبرج وإظهار زينتها ومفاتنها تحت عنوان براق وهو (تحرير المرأة) ، وأنشئوا لها بيوت الأزياء العالمية التى يديرها حفنة من اليهود الذين يتفننون فى إظهار مفاتن المرأة وجمالها عن طريق الموديلات الجديدة فى العالم أربع مرات مع الفصول الأربعة ، تحت عنوان (الموضة) التى تجرى وراءها المرأة لاهثة تبحث عن آخر خطوطها ، ومن خلال الموضة دفعوها إلى السفور والكشف عن وجهها وذراعيها وفخذيها ، كل هذا جرت وراءه المرأة المسلمة تحت عنوان الميدى والمينى والشورت والبكينى ومازال الاختراع مستمرا ، وقد وصل الأمر إلى حد العرى الكامل بقرية مجاويش بالبحر الأحمر فى مصر المسلمة !!

ومما هو جدير بالذكر أن قيصر ألمانيا حينما زار تركيا بعد قيام انقلاب كمال أتاتورك – الذى فرض السفور على المسلمات – فأرسل إليه الأتراك سرباً من البنات يلبسن الزى الغربى فغضب القيصر ، وقال لرئيس الوزراء : أتظن أنى أفرح برؤية نسائكم بهذا الزى ؟ إنكم أمة ليس لكم مكانة بين الدول إلا بالإسلام (...) والإسلام مئات الملايين فإذا أبحتم السفور لنسائكم وعبثتم بعادات قومكم آسفتم العالم الإسلامى الذى كل أهميتكم قائمة به ، ونفر منكم المسلمون ، فلا تفعلوا هذا ، فإنكم تصبحون على ما فعلتم نادمين ، ثم إن الشرف عندكم شيء جميل فلماذا تعدلون عنه[1] ؟ .

ثالثا : دفعوا المرأة إلى الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم فى الطرقات ، وفى المواصلات وفى العمل ، وادعوا أن الاختلاط بين المرأة والرجل ضرورة من أجل تهذيب الأخلاق ، والرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطبع ، كما ادعوا أن المباعدة بين الجنسين سيجعل كل منهما مشتاقا إلى الآخر ، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير فى هذا الشأن .

وانخدعت المجتمعات الإسلامية بهذا التضليل فخلطت الرجال بالنساء فى كل مجال من المجالات فى المدرسة ، وفى الجامعة وفى العمل وفى زحمة الأوتوبيس والقطار والترام . وجاءت النتائج على عكس ما بشر به المضللون :

– فقد ضاعت الأعراض ، وفسدت النفوس ، وتهدمت البيوت .

– ضاعت الرجولة وتخنث الشباب وظهر منهم الجنس الثالث الذى هو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

---

(١) د. عبد الودود شلبى – فى مسألة السفور والحجاب صـ (٣٤) .

لقد ظهر سوسو وميمى وتوتو الذين لبسوا لباس النساء وتحلوا بحليهم ، لبسوا السلاسل والذهب ، ووضعوا على وجوههم الكريمات والمساحيق ، وصنعوا بوجوههم ما يصنعه النساء بأنفسهن ، وظهرت المرأة المسترجلة ، التى تلبس لباس الرجال وتتخلق بأخلاقهم ، وتناسى الجميع تحت ضغط الاختلاط قول الرسول ﷺ : « **لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ** » بل أصبح المنادون بسيادة هذه القيم الإسلامية ، شواذ فى أعين المجتمع وكأن تاريخ الإنسانية يعيد نفسه ﴿ **أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾[1] .

– ازداد السعار الجنسى وهاجت الغرائز ولم تهدأ كما ادعى المضللون .

والواقع أن الهدف الحقيقى من هذه الدعوة هو : انهيار الأخلاق والقيم وهدم كل تعاليم الإسلام فى مجال العفة والطهر .

وإلى الذين مازالوا يطالبون بمزيد من الاختلاط ، وتقليد أوربا هذه الصفعة على وجوههم من إحدى الأمريكيات وهى الكاتبة الشهيرة « هيلين ستانبرى » قالت فى إحدى المؤتمرات الصحفية بمصر : « امنعوا الاختلاط ، فلقد عانينا منه فى أمريكا الكثير ، ولقد أصبح المجتمع الأمريكى مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة ، وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملئون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية »[2] .

رابعا : وحاولوا هدم نظام القوامة فى الإسلام ، فدفعوا المرأة إلى المطالبة بالمساواة بالرجال فى كل شىء حتى فى الميراث كما تنادى – أمينة السعيد – سفيرة أعداء الإسلام فى مصر ، وكما يكرر النداء اليوم الكاتب الماركسى أحمد بهاء الدين على صفحات جريدة الأهرام القاهرية . ونزلوا إلى الساحة بأبحاث مضللة وصفوها بالعلمية – تسوى بين الرجل والمرأة فى التكوين الطبيعى والتركيب البيولوجى والعقلى ومن هنا فهى مساوية له فى جميع الحقوق ، فلا داعى إلى ما يقوله القرآن الكريم : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾[3] .

ودفعوا المرأة إلى العمل حتى تستقل عن الرجل استقلالا تاما . ألم تكن القوامة ﴿ **وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ فلتعمل المرأة حتى تتحرر من الرجل ، هكذا قال

---

(١) النمــل [٥٦] .

(٢) د . عبد الودود شلبى فى مسألة السفور والحجاب صـ (٤٨) .

(٣) النســاء [٣٤] .

المضللون ، ولبئس ما قالوا فلقد دفعوا المرأة المسلمة إلى طريق الانتحار ، ودفعوها إلى العمل بصرف النظر عن حاجتها إلى هذا العمل ، وبصرف النظر عن طبيعة تكوينها وهل تقدر على هذا العمل أم لا ، وشبحوا المرأة ومزقوها بين متطلبات العمل ومتطلبات البيت ، فقصرت فى هذا وأهملت فى ذلك . وقد حذر الرسول ﷺ من إلجاء المرأة إلى العمل مضطرة حتى لا تسير فى طريق الرذيلة فقال : « **لاَ تُكَلفُوا الصِّبْيَانَ الكَسْبَ فإِنَّكُمْ مَتَى كَلَّفْتُمُوهُمْ الكَسْبَ سَرَقُوا ، وَلاَ تُكَلفُوا الأَمَةَ غَيْرَ ذَاتِ الصنْعة الكَسْبَ فَإِنَّكُمْ مَتى كَلَّفْتُمُوهَا كَسَبَتْ بِفَرْجِهَا ، وَعفُّوا إذا أَعَفَّكُمُ الله وَعَلَيْكُمْ مِنَ المَطَاعِمِ بِمَا طَابَ مِنْهَا** » .

ومع أن هذا الحديث ورد فى شأن الإماء اللائى يجبرهن سادتهن على الكسب من أى طريق ، فإن فيه إرهاصًا لما حدث للمرأة المسلمة فى هذا العصر حيث ألجأها المجتمع والدولة إلى الخروج من بيتها بحثا عن لقمة العيش من غير ضمانات أخلاقية حيث تعرضت للفساد ، فهى فى سبيل حصولها على مكافأة أو علاوة إضافية أو حوافز رئيسها فى العمل قد تبيع كرامتها ، وتهتك سترها ، وتسلك أخس السبل والوسائل من أجل مزيد من القروش وهذا ما تنبأ به المصطفى ﷺ منذ خمسة عشر قرنا من الزمان . « **فَإِنَّكُمْ مَتَى كَلَّفْتُمُوهَا كَسَبَتْ بِفَرْجِهَا** » .

وقد أحدث عمل النساء حدثين فى غاية الخطورة :

أولاً : فك رباط الأسرة المسلمة الذى كانت المرأة هى عماده يوم أن كانت أمّاً وزوجة تضفى على الأسرة من وجودها ومن أنوثتها وحيويتها وعاطفتها ما يجعلها كالكيان الحى .

ثانيا : أفسد أخلاق المرأة وجعلها تتعالى على زوجها فبأى شيء يتميز عليها ؟ بالمال والإنفاق . إنها الآن تكسب كما يكسب ، ألا فليمسح كما تمسح ، وليغسل كما تغسل ، وليصمت عن خروجها ودخولها وذهابها وإيابها ، ولتذهب الرجولة والقوامة إلى غير رجعة ، فلتخرج من بيتها كما تشاء وتأت متى تشاء وتصادق من تشاء ، ولتذهب كرامة الرجل إلى الجحيم هكذا أراد لنا أعداء الإسلام .

ثم دفعوا بالمرأة المسلمة إلى تعلم مالا ينفعها ولا تستفيد منه شيئا فى حياتها دفعوها إلى دراسة السينما والمسرح والنحت والتصوير والآثار ، والجيولوجيا وغير ذلك مما لا يناسب طبيعتها ، وفى الوقت ذاته أبعدوها عما ينفعها من تعلم أمور دينها وتربية أبنائها .

خامساً : دفعوا معظم الحكومات الإسلامية إلى سَن قوانين باطلة تمنع الطلاق وتقيد تعدد الزوجات بحجة الحفاظ على حقوق المرأة والأطفال ، وخلقوا مشكلة لا وجود لها مع أن نسبة تعدد الزوجات فى العالم الإسلامى كانت أقل بكثير منها فى أوربا – المحرمة للطلاق والتعدد .

فقد كانت النسبة فى مصر على سبيل المثال تعدد الزوجات ١,٦٪ والطلاق لا يتعدى ٣٪ فهل هذه النسبة التى لا تذكر تحتاج إلى سن قانون يحرم ما أحل الله ، ويحلل ما حرم الله ، مع أن نسبة تعدد العشيقات فى أوربا كانت تزيد عن ٤٠٪ ونسبة الطلاق تزيد على ذلك بكثير .

كما أن نسبة التعدد فى البلاد الإسلامية أخذت فى الانخفاض نتيجة لتعقد ظروف الحياة ، ومعظم الناس اليوم لا يستطيعون القيام بأعباء زوجة واحدة إلا بمشقة وجهد فمن الذى يفكر فى الثانية اللهم إلا إذا كانت هناك ضرورة لذلك .

إذاً فالمسألة لم تكن تحتاج إلى سن مثل هذا القانون الكنسى ، فالمرأة بيدها أن تمنع ذلك ، فهى التى تقبل أن تكون زوجة ثانية ، وهى التى ترفض ذلك إن أرادت ، وليس هناك رجل يستطيع أن يكره المرأة على أن تكون زوجة ثانية .

إذاً ما المشكلة ؟

المشكلة أن نظام الطلاق وتعدد الزوجات نظام إسلامى نابع من الكتاب والسنة ، وأعداء الإسلام لا يريدون للمسلمين أن يتمسكو بأى شيء من دينهم حتى ولو كان هو مسائل الزواج والطلاق ، ومن ناحية أخرى كان المقصود من سن هذا القانون أن يتجه المسلمون إلى تعدد العشيقات بدلا من تعدد الزوجات ، والبحث عن المواخير ودور الدعارة بدلا من الزوجات اللائى استحالت الحياة معهن ولم يجد الأزواج منهن فكاكا بسبب القوانين الكنسية .

والغريب فى الأمر أنه بينما يطبقون على العالم الإسلامى قوانين منع الطلاق والتعدد ، يطالب الأوروبيون أنفسهم بإباحة الطلاق والتعدد هناك . يقول كبير أساقفة إنجلترا : « إنه لا يجد علاجا لمنع التحلل الخلقى والانهيار العائلى اللذين فشيا بعد الحرب العالمية الثانية – إلا بإباحة تعدد الزوجات فهو الذى يمنع المرأة من الانهيار

النفسى وارتكابها للجريمة والعار ، ويرد إليها الكرامة والعزة حيث لا تكون فراشا لرجل إلا بكلمة الله »[1] .

وأعلنت أستاذة جامعية ألمانية بأن حل مشكلة المرأة الألمانية هو فى إباحة تعدد الزوجات كما هو فى الشريعة الإسلامية[2] .

وفى إيطاليا أقر مجلس النواب الإيطالى بالأغلبية إباحة الطلاق بين الكاثوليك ، وقد تقدم مليون إيطالى يريدون الطلاق .

وفى اليونان صدر مرسوم بإباحة الطلاق عام ١٩٧٦ .

وفى أمريكا وصلت نسبة الطلاق إلى ٥٠٪[3] وفى بريطانيا سمحو بالطلاق إذا طلبه أحد الشريكين ، وأثبت أن الآخر قد ارتكب نحوه جرائم معينة .

وفى النرويج والسويد والدنمارك واليابان والصين اعتبروا عقد الزواج كأى عقد آخر يمكن فسخه إذا وافق الطرفان على ذلك ، وفى سنة ١٩٧٦م صدر بفرنسا قانون يبيح الطلاق بشروط يشعر المسلم وهو يقرؤها أنها مستمدة من الإسلام ففيها نفس مراحل الإصلاح التى وضعها الإسلام قبل حدوث الطلاق[4] .

إيه يا حكام المسلمين !! أما زلتم مصرين على تطبيق قوانين ثبت فشلها واقعيا أم أن أعداءكم يريدون أن يدفعوكم إلى طريق الفشل رغما عنكم لكى تذوقوا ما ذاقوه .

وبهذا استطاع أعداء الإسلام مسخ الأسرة المسلمة وسلبها كل خصائصها الإسلامية . وهذا ما حدث فى معظم بلدان العالم الإسلامى بدءاً بتركيا التى منعت الحجاب وأمرت بالسفور والاختلاط وطبقت قوانين الكنيسة ، ثم إيران والتى قام فيها العميل رضا شاه بهلوى بتقييد حرية الطلاق وسمح للمرأة بالخروج والسفور والاختلاط ، وأصدر التعليمات للضباط بتشجيع الزى الغربى ومنع الحجاب الإسلامى ، بل إن ملكة إيران نفسها خلعت لباس الإسلام[5] وهذا ما حدث فى سوريا والأردن ولبنان والمغرب وليبيا وتونس التى منعت التعدد مطلقا من غير قيد ولا شرط ، ومنعت الطلاق إلا أمام القاضى وجعلت عقوبة من يعدد الزوجات السجن لمدة عام وغرامة مالية كبيرة .

---

(١) راجع صـ (٢١) من تعدد الزوجات د . عبد الحليم عويس وزميله .

(٢) السابق صـ (٢٠) .

(٣) المرأة ومكانتها فى الإسلام صـ (١٥١) وما بعدها .

(٤) د . أحمد شلبى – الإسلام صـ (٢٢٥) .

(٥) الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (١٣٧) .

وما حدث فى بلدان العالم الإسلامى كان نتيجة لمؤامرات محكمة وتخطيطات نفذت بتأن ورويه ، ولا نستطيع أن نفصل هذه المؤامرات فى كل بلدان العالم الإسلامى ، مما يجعلنا نقتصر على مصر كنموذج لسائر العالم الإسلامى .

□ المؤامرة على الأسرة المسلمة في مصر □

كانت أول محاولة للتدخل فى شئون الأسرة المسلمة فى مصر بعد الاحتلال الإنجليزى لها مباشرة ، حيث حاولوا التدخل فى القضاء الشرعى الإسلامى ، إلا أن الشيخ حسونة النواوى – شيخ الأزهر – وقف أمام هذه المحاولة بكل قوة حتى أقيل من منصبه ، ولكنه على أى حال قد نبه المسلمين إلى الخطر الذى يريده أعداء الإسلام بالدين الإسلامى . وفَضَّل هذا الرجل أن يضع دينه فوق رأسه . على أن يضعه تحت كرسى منصبه – شأن شيوخ آخرين باعوا دينهم بدنياهم .

ثم أخذ اللورد كرومر يهاجم مبدأ تعدد الزوجات مدعيا أنه السبب فى تأخر المسلمين[1] ، كما دفع بواحد من أذياله هو (مرقص فهمى) المحامى إلى كتابة كتاب بعنوان « المرأة فى الشرق » وفيه ظهرت خطة أعداء الإسلام سافرة حيث طالب هذا النصرانى بما يأتى :-

١ – القضاء على الحجاب الإسلامى .
٢ – إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب .
٣ – منع الزواج بأكثر من واحدة .
٤ – تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .
٥ – إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

وقد سهر على تنفيذ هذه الأغراض عدد من الشخصيات المصرية منها – الأميرة نازلى التى افتتحت نادياً جمع طائفة من الشخصيات الكبرى منهم – الشيخ محمد عبده – وسعد زغلول – واللقانى – ومحمد بيرم – وقاسم أمين – وقد كان هذا النادى بمثابة المركز الأساسى لتعبئة أذناب الإنجليز وتنظيم جهودهم ضد التقاليد الإسلامية .

وبعد خمس سنوات من ظهور كتاب مرقص فهمى ، ظهر كتاب آخر بعنوان « تحرير المرأة » كتبه قاسم أمين سنة ١٨٩٩ بإيعاز من الأميرة نازلى وبتشجيع من الشيخ محمد عبده ، بل ويقال : إن الشيخ محمد عبده هو الذى كتب له هذا الكتاب .

---

(١) أبو زهرة – تنظيم الأسـرة صـ (١١) .

وقد دعا فيه إلى نبذ كل القيم الإسلامية فى مجال الأسرة ، ورفض الحجاب والنقاب ، ودعا إلى العرى والاختلاط ، ثم عضد هذا الكتاب بكتاب آخر هو « المرأة » الذى سخر فيه من أحكام الإسلام واعتبرها استعبادا ، وسخر من أحاديث الرسول ﷺ فى منع الاختلاط كما دعا إلى تقييد الطلاق والتعدد[١] .

وقد وقف الحزب الوطنى القديم بزعامة مصطفى كامل ضد هذه الحركة وهاجمها ودعا إلى الالتزام بالقيم والأخلاق الإسلامية[٢] .

واتجه المخلصون من علماء الإسلام فى مصر إلى وضع قانون إسلامى مستنبط من المذاهب الأربعة – لا من مذهب أبى حنيفة وحده يحاولون فيه علاج مشاكل الأسرة بحيث لا يخرج عن نصوص الكتاب والسنة ، وفعلا وضع المشروع ولكن الحكومة المصرية فى ذلك الوقت رفضته بإيعاز من الإنجليز ، لأنهم كانوا يبيتون أمراً آخر . فقد تقدم جماعة من تلامذة الإمام محمد عبده بقانون آخر ينص على تقييد تعدد الزوجات ، وشجعهم عليه سعد زغلول تلميذ الإمام والصديق الحميم لقاسم أمين إلا أن الغيورين على الإسلام وقفوا أمام هذا القانون وأجهضوه .

وفي هذه الأثناء قامت الحرب العالمية الأولى ، وكانت فرصة سانحة لإخفات صوت الإسلام وتشريد دعاته ، فاعتقلت السلطات الإنجليزية رجال الحزب الوطنى ، وأوعزت إلى بعض أتباعها بإصدار مجلة (السفور) التى أخذت على عاتقها الدعوة ضد الحجاب وضد الآداب الإسلامية .

وفى سنة ١٩٢٣ أرسل الاتحاد النسائى برقية إلى امرأة تدعى هدى شعراوى وأخرى تسمى سيزا نبراوى – تدعوهم إلى حضور مؤتمر النساء الدولى المنعقد فى روما ، وفعلا ذهبتا إلى هناك حيث اتفق أعداء الإسلام معهما على خطوط جديدة للمؤامرة على الأسرة المسلمة ، وما أن وصلت هدى شعراوى وسيزا إلى أرض مصر حتى خلعتا الحجاب وداستاه بأقدامهما[٣] . وكانت هذه أول مرة فى مصر تضع امرأة مسلمة الحجاب عن وجهها وتسفر عن جسدها ، ومن بعدها انطلقت الدعوة المسعورة بين نساء مصر – اللائى كن حتى هذا التاريخ يلبسن النقاب الإسلامى .

---

(١) راجع كتاب المرأة الجديدة صـ (٣٩ ، ١٧٨) طبعة محمد زكى .
(٢) المرأة ومكانتها فى الإسلام صـ (٢٣٤) وما بعدها .
(٣) الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار صـ (١٥) .

وأوعز أعداء الإسلام إلى هدى شعراوى بتكوين الاتحاد النسائى العربى ، والذى سوف يعمل بالتعاون مع أعداء الإسلام فى الخارج على تنفيذ المخططات المرسومة ضد الأسرة المسلمة .

ومن هنا عادت فكرة المطالبة بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات مرة أخرى سنة ١٩٤٣ ، وقد نشرتها من قبرها وزارة الشئون الاجتماعية بفتوى أفتاها الشيخ المراغى — إلا أن رئيس الوزراء فى هذا الوقت رفض القانون وبذلك أنقذ الأسرة المسلمة و لم يجعلها تحكم بنظام غير إسلامى مستمد من الكنيسة ، وقد تراجع الشيخ المراغى بعد ذلك عن فتواه مقررا أن المضرة الاجتماعية فى التقييد أشد من الإباحة[١] .

ثم ظهر على الساحة حزب نسائى جديد هو حزب بنت النيل الذى أسسته « درية شفيق » التى ساعدها لطفى السيد على الحصول على الدكتوراه برسالة هاجمت فيها موقف الإسلام من المرأة ، وقد كان هذا الحزب على صلة وثيقة بالدوائر الصهيونية والنصرانية ، فقد هللت له صحفهم ونوهت بجهوده ، كما أعانوه بالأموال حتى أنشأ صحيفة أخذت على عاتقها الدعوة إلى تحرير المرأة ومهاجمة الإسلام[٢] .

ثم قامت ثورة ١٩٥٢ وحاول بعض الأوغاد إحياء القانون الكنسى من جديد ، ولكن جمال عبد الناصر رفض القانون فى مؤتمر الاتحاد القومى المنعقد ١٩٦٠ بعد أن ناقشه وفنده ، وكان مما قاله فى هذا المجال :

« إن هذه مسائل اجتماعية ودينية ، وإنها تترك للتوجيه والإرشاد وإذا كانت عيبا فإن علاجها لا يكون بقانون ، لأن مفاسده تكن أكثر من مضاره »[٣] .

وبعد وفاة عبد الناصر وَتَوَلِّى السادات ، نشطت الحركة النسائية من جديد خصوصا وقد ترأستها زوجة رئيس الجمهورية ، ورحن يطالبن بتنفيذ هذا القانون ، إلا أن علماء الأزهر قد نبهوا إلى خطورة هذا الأمر ، وألقى الشيخ الغزالى محاضرة عامة فى قاعة الشيخ محمد عبده أيقظت المشاعر الإسلامية فى نفوس الشباب مما جعلهم يخرجون عقب

---

(١) أبو زهـرة صـ (٣٢) .

(٢) الحركات النسائية صـ (١٨) وما بعدها .

(٣) أبو زهـرة صـ (٣٣) .

هذه المحاضرة فى مظاهرة جماعية سنة ١٩٧٤ هاتفين بسقوط القانون ومن وراءه ، كما كان للشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر مواقف مشهودة فى هذا الأمر حيث خير الحكومة بين استقالته وبين تنفيذ هذا القانون .

وبعد وفاة الشيخ عبد الحليم محمود استطاعت الحركة النسائية بزعامة « جيهان السادات » أن تنفذ هذا القانون رغم أنف المسلمين ، ورغم أنف علماء الأزهر الذين فندوه وبينوا ما فيه من أخطاء ومخالفات صريحة لنصوص القرآن الكريم ، وعلى رأس هؤلاء الدكتور موسى شاهين لاشين العميد الأسبق لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، إلا أن هذه المعارضات لم تجد شيئا ؛ فقد وضع القانون موضع التنفيذ بالفعل – وهكذا يصل أعداء الإسلام إلى أهدافهم التى دأبوا عليها طوال مائة سنة إلا أننا نتوقع أن يلغى هذا القانون أو على الأقل تلغى المواد المعارضة لنصوص الكتاب والسنة ، خصوصا بعد وفاة السادات ، ومطالبة بعض الجهات بإعادة مناقشته .

هذه هى قصة تحرير المرأة فى مصر ، وهى نفس القصة التى حدثت فى معظم بلدان العالم الإسلامى . وهى مسألة فى غاية الخطورة ، وإذا أردنا أن نتأكد من ذلك ، فعلينا أن نلقى نظرة على نتائج تحرير المرأة فى أوربا .

□ نتائج تحرير المرأة □

إذا أردنا أن نعرف نتائج تحرير المرأة فى العالم الإسلامى ما كان منها وما سيكون علينا أن نرجع إلى نتائجها فى الغرب .

إن أوربا اليوم – كنتيجة لتحرير المرأة – أصبحت مصابة بالتعفن الخلقى ، وسببه هو الإباحية الجنسية الموجودة هناك ، والتى تخطت حدود الحيوانية بمراحل كثيرة ، حيث أصبح الجنس والدعارة تجارتهم الرابحة ، وأصبحت المرأة سلعتهم الرائجة فى الأفلام – والمسرحيات – ودور عرض الأزياء ، وغير ذلك ، فالمرأة العارية اليوم هى كنزهم الذى لا يفنى ، وقد كشف معهد أبحاث أمريكى – فى لوس أنجلوس – عن فضيحة أخلاقية مفزعة وهى أن عشر فتيات فى كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالا

غير شرعيين – وأنه في مدرسة ثانوية واحدة في مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠ طالبة ، وما يحدث في أمريكا يحدث مثله في كل دول أوربا[١] .

والسبب الحقيقي لهذه الحيوانية هي حرية المرأة المطلقة – والتبرج والاختلاط بين الرجال والنساء ، وخروج المرأة ليلاً ونهاراً[٢] وتقييد الطلاق وتحريم تعدد الزوجات ، وإباحة الزنا بالقانون – كما كان من نتائج تحرير المرأة زيادة الجرائم بسبب اقتحام المرأة نفسها ميدان الجريمة . ونحن نضع أمام دعاة تحرير المرأة ما أذيع من توصيات مؤتمر الجريمة التابع للأمم المتحدة الذي انعقد في جنيف سنة ١٩٧٨م من أن حركة تحرير المرأة تعني مزيدا من النساء المجرمات ، فقد ارتفعت نسبة عدد النساء اللائي قبض عليهن بتهمة السرقة ٢٢٧٪ وجرائم السطو على المنازل ٣٠٠٪ ؛ بل إن النساء قد اقتحمن أنواعا من الجرائم الخاصة بالرجال مثل جرائم الاختلاس والعنف[٣] .

ومن هنا فكل بلد إسلامي سار في نفس الدرب وطرح الحجاب الإسلامي ، وسمح بالاختلاط ، وحرم التعدد ، وقيد الطلاق ، سوف يصيبه ما أصاب أوربا من التفسخ الخلقي والثورة على سائر حدود الله : ﴿ **وَمَن يَتَعدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** ﴾ .[٤]

وأخيراً فإننا نضع هذا السؤال المهم .

هل المرأة المسلمة في حاجة إلى تحرير ؟ أم المرأة الغربية ؟ !

الواقع أن المرأة الغربية الآن في أشد الحاجة إلى حركة تحرير إسلامية ، بعد أن تعرضت لحركة تحرير مزيفة لم تكن أكثر من حركة استعباد وامتهان لكرامة المرأة وعفتها وطهرها . نعم ، فالمرأة المسلمة ليست في حاجة إلى تحرير بالمفهوم الغربي بل على العكس هي في حاجة إلى العودة الحقيقية إلى تعاليم الإسلام التي حررت المرأة تحريرا حقيقيا بعد أن لم تكن شيئا مذكورا في كل مراحل التاريخ السابق على الإسلام .

ولا نريد أن نتحدث عن وضع المرأة عند اليونان ، والرومان ، والنصارى في العصور الوسطى ، والذين اعتبروا المرأة روحا شريرة نجسة ليس لها أي حق من الحقوق ولا تمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء . بل أصدر البرلمان الإنجليزي قرارا يَحظر على المرأة قراءة الأناجيل[٥] .

(١) صـ (٨١) مفتريات على الإسلام . (٢) أبو الأعلى المودودي – الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (١٦٢) .
(٣) أنور الجندي – الصحافة والأقلام المسمومة صـ (٥٧) . (٤) سورة الطلاق [١] .
(٥) أبو الأعلى المودودي – الصراع بين الفكرة الإسلامية صـ (١٦٢) .

وينقل الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى كتابه الحجاب بعض أقوالهم فيقول : « فمن نظريتهم الأساسية فى هذا الشأن أن المرأة ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور ، وهى للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جميعا ، فحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة ، وينبغى لها أن تستحى من حسنها وجمالها ، لأنه سلاح إبليس الذى لا يوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة ، وعليها أن تُكَفِّر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبدا ، لأنها هى التى أتت بما أتت من الذل والشقاء للأرض وأهلها »(1) .

هذا هو رأى رجال الدين النصرانى فى المرأة ونظرتهم إليها .

ولا نريد أن نفصل هذا التاريخ ، لأنه تاريخ مؤلم ومزرٍ بالنسبة للمرأة ونكتفى بقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « والله إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم » . نعم .

✵ فالإسلام هو الذى أعطى المرأة حق الإنسانية : ﴿ **هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسكُنَ إِلَيْهَا** ﴾(2) .

✵ وهو الذى أعطاها حق الحياة وحرم قتلها بعد أن كان مباحا فى عصور الجاهلية ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** ﴾(3) .

لقد عنى الإسلام بالمرأة منذ ولادتها حتى ساعة توديعها الحياة ، فلقد كانت تستقبل حين الولادة بالنفور والمقت والتشاؤم : ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَومِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** »(4) . فجعل ولادة المرأة تفاؤلا وخيرا وبشرى قال ﷺ : « **مِنْ عَلاَمَةِ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَبْكِيرهَا بِبِنْتٍ** » وسوى بينها وبين الولد فى الحقوق التربوية وفى المعاملة الطيبة قال ﷺ : « **مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَلَمْ يُؤْذِهَا وَلَمْ يُهِنهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيهَا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ** » وبذلك يقضى على النظرة الخاطئة التى ينظرها الأهل إلى البنت عند المقارنة بينها وبين الابن .

✵ وهو الذى كرمها وصانها وجعل جسدها حرمة لا يجوز النظر إليه بعد أن كان حقا مشاعا للجميع .

---

(1) الحجاب صـ (25) . (2) الأعراف [189] . (3) التكوير [8] .
(4) النحل : [58 ، 59] .

❁ وهو الذى أعطاها حق الإرث - وحق العلم - وحق العمل - وحتى حق الاعتراض على الحاكم حين يجانبه الصواب .

❁ والإسلام هو الذى سوى بين الرجل والمرأة فى الأجر والثواب وفى التكاليف العبادية : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلونَ** ﴾[1] ويقول الرسول ﷺ : « **إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِى الجَنَّةَ مِنْ أَىِّ الأَبْوابِ شِئْتِ** »[2] .

❁ والإسلام هو الذى كرمها حين أسقط شهادتها فى الجنايات وجعل شهادتها نصف الرجل فى الأمور الأخرى ، وذلك حتى يجنبها الدخول فى متاهات القضايا والمحاكم فهو ليس مكانها ولا مقامها ، بل مكانها هو البيت مكرمة معززة .

❁ والإسلام هو الذى صان المرأة وعظمها حين أوجب نفقتها على زوجها ، وفرض عليه التعب والعمل ، وترك لها الفرصة لكى تستريح فى بيتها تقوم بما يناسب طبيعتها من المهام .

وبعد هذا نكرر السؤال مرة ثانية ، هل المرأة المسلمة فى حاجة إلى تحرير أم المرأة الغربية ؟ .

من الذى سلب حقوق المرأة ؟ ومن الذى قهرها وأخرجها من بيتها لكى تكسب قوت يومها ، بعد أن كانت عزيزة كريمة ؟

من الذى هتك سترها وكشف عن عورتها ، وجعلها مشاعا للرجال ؟

من الذى دفعها إلى بيوت الدعارة والعهر ؟ .

من الذى جعلها رقيقا تباع وتشترى ؟ . الإسلام أم أوربا ؟؟ !! .

الحق أن المرأة الغربية - اليوم - فى حاجة إلى تحرير إسلامى ويجب أن تتبنى النساء المسلمات الدعوة إلى تحرير المرأة الغربية تحريراً إسلاميا .

والعجيب أن أجهزة إعلامنا المحترمة ، بدلا من أن تدفع النساء إلى الالتزام بقيم الإسلام وتعاليمه ، تدفعهن إلى تقليد المرأة الغربية ، مع أن الغرب يحاول الآن بواسطة خبرائه العودة إلى تصحيح مفاهيمه بالنسبة لوضع المرأة التى جرفها تيار العصر .

---

(١) النحل : [٩٧] . (٢) رواه ابن حبان وأحمد .

الفصل الحادى عشر

□ وقف المد البشرى فى العالم الإسلامى □

□ تمهيـــد □

تعتبر القوى البشرية من أهم عوامل التقدم ، والازدهار ، والسيطرة ، ولذا فإن كل حضارة أرادت لنفسها العزة والقوة ، اهتمت – أول ما اهتمت – بزيادة نسلها وتنميته ، واستغلاله أفضل استغلال . من هنا يرى المؤرخ العالمى (توينبى) أن القوى البشرية من أهم التحديات التى يتوقف عليها تقدم أى حضارة إنسانية ، كما يقول (أورجانسكى) : « أحسن أقطار العالم وأكثرها رفاهية ، هو القطر الذى فيه زيادة السكان ، وأنه أرفه ما يكون أيام يتجه عدد سكانه إلى الزيادة المضطرده »[1] .. والإسلام يهدف – أول ما يهدف – إلى بناء حضارة عالمية لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية معا لذا كان من أول مقاصده وأهدافه زيادة النسل وتنميته واستغلاله أحسن استغلال . من هنا كانت أوامر الإسلام بالنكاح من أجل النسل ، حتى أنه جعل مباشرة الرجل لامرأته معللة بقصد الإنجاب إذ هو أثرها اللازم فى الغالب . يقول الله تعالى : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾[2] والحرث هو موضع البذر والإنبات وقال ﷺ : « **إنَّ الرَّجُل لَيُجَامِعُ أَهْلَهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِجِمَاعِهِ أَجْرٌ وُلِدَ ذَكَرٌ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فَقُتِلَ** » ونظر الإسلام إلى النسل على أنه نعمة وهبة من الله تستحق شكر الله بالحفاظ عليها وأداء حق الله فيها ، يقول تعالى : ﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾[3] .

وقال على لسان زكريا : ﴿ **فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾[4] .

(١) أبو الأعلى المودودى – حركة تحديد النسل صـ (١٧٩) .

(٢) البقرة [٢٢٣] .

(٣) النحـل [٧٢] .

(٤) مريـم [٥ ، ٦] .

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُم ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1] ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾[2] ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾[3] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى ﴾[4] ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً »[5] .

فكل هذه الآيات تشير إلى أن النسل هبة ونعمة من نعم الله ، وخير محض يستحق الشكر ، ومن هنا كان نعى القرآن وتهديده لهؤلاء الذين يكفرون بنعمة النسل حين قال : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وبَنِينَ شُهُودًا ﴾[6] .

كما أمر الرسول ﷺ بزيادة النسل وتكثيره فقال : « تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا تَكْثُرُوا فَإِنِّى مُبَاهٍ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[7] .

وقال ﷺ : « تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإِنِّى مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ »[8] ومادام النسل هدفا أصيلا من أهداف الإسلام فلابد من المحافظة عليه وصيانته .

ولذا – أمر القرآن برعاية الأبناء وتربيتهم والإنفاق عليهم وتعليمهم وتهيئتهم لخدمة مجتمعاتهم ، وجعل ذلك حقا لهم على آبائهم ، وأولياء أمورهم وعلى مجتمعهم قال ﷺ : « مِنْ حَقِّ الوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ ، وَيُحْسِنَ مَوْضِعَهُ وَيُحْسِنَ أَدَبَهُ » وقال ﷺ : « مَنْ عَالَ ثَلاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ وَزَوَّجَهُنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ » وقال عليه السلام أيضاً فى ضرورة تأديب الولد وتهذيبه : « رَحِمَ اللهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ » .

إذاً فتعليم الأبناء وتربيتهم والإنفاق عليهم من أول حقوق الأبناء على آبائهم ، ثم فرض الإسلام لهم حقا آخر وهو حق المحافظة على حياتهم كما حذر من قتلهم .

---

(١) الشورى [٤٩ ، ٥٠] .
(٢) إبراهيم [٣٩] .
(٣) مريم [٤٩ ، ٥٠] .
(٤) الأنبياء [٩٠] .
(٥) آل عمران [٣٨] .
(٦) المدثر [١١ – ١٣] .
(٧) رواه الحاكم .
(٨) رواه أحمد عن أنس .

كما كان يفعل عرب الجاهلية الأولى خوف الفقر والحاجة ، قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم** ﴾(١) وقال : ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ﴾(٢) والإملاق هو الفقر والحاجة وضيق الأحوال الاقتصادية .

والفرق بين الآيتين : أن الآية الأولى حرمت القتل لفقر حاصل بالفعل « من إملاق » ، أما الثانية فقد حرمته لفقر متوقع « خشية إملاق » .

– ونلاحظ فى هذه الآية أمرين :

الأمر الأول : هو النهى عن القتل وهذه جريمة فى حد ذاتها .
الأمر الثانى : هو خشية الفقر واعتقادهم أن أولادهم سبب فقرهم وبؤسهم بسبب ضيق الأرض ونفاد موارد الرزق .

وهذا الأمر الثانى كفر لأنه إنكار لقدرة الله وإظهاره جل شأنه بمظهر العاجز عن كفاية خلقه ورزقهم ، مع أنه هو المتكفل بأرزاق عباده والمقدر لها ، قال تعالى : ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ** ﴾(٣) ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** ﴾(٤) ﴿ **إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾(٥) ﴿ **وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ** ﴾(٦) ﴿ **وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾(٧) . هكذا يبين الله لعباده أنه المتكفل بأرزاقهم والمقدر لها مهما تكن أعدادهم ولكن بشرط أساسى وهو سعيهم وطلبهم لهذا الرزق ، وضربهم فى الأرض بحثا وتنقيبا عنه .

يقول الله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾(٨) ﴿ **فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ** ﴾(٩) ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ** ﴾(١٠) .

---

(١) الأنعام [١٥١] .
(٢) الإسراء [٣١] .
(٣) العنكبوت [٦٠] .
(٤) هود [٦] .
(٥) الذاريات [٥٨] .
(٦) الحجر [٢٠] .
(٧) الحجر [٢١] .
(٨) الملك [١٥] .
(٩) العنكبوت [١٧] .
(١٠) الجمعة [١٠] .

وقرن القرآن الكريم بين السعى فى طلب الرزق وبين الجهاد فى سبيل الله فقال : ﴿ **وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾[1] . وقال رسول الله ﷺ : « **مَا مِنْ مُسْلِم يَزْرَعُ زَرْعًا أَوْ يَغْرِسُ غَرْسًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ** »[2] .

وإذا كان الله قد تكفل بأرزاق العباد ، وأمرهم بالسعى فى طلبها ، فإن قتل الأولاد خشية الفقر والظروف الاقتصادية يكون إنكارا لقدرة الله وعلمه الشامل بما كان وبم يكون مع أن الله تعالى يقول : ﴿ **اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾[3] فهو وحده الذى يتولى زيادة النسل ونقصانه تبعا لحاجة الكون إليه ﴿ **وَمَا تَحمِلُ مِنْ أُنثى وَلاَ تَضَعُ إلاَّ بِعِلْمِهِ** ﴾[4] ومن هنا كان تحذير الرسول ﷺ من قتل الأولاد خشية الفقر فقد سئل أى الذنب أعظم فقال : « **أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ** » ، قال : ثم أى ؟ قال : « **أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ** » .

هذا فيما يتعلق بحق الحياة وحق التربية والتعليم ، وحين ينفصل الزوج عن زوجته بالطلاق يفْرض لهم حقاً آخر وهو حق الحضانة .

هذه هى تعاليم الإسلام فيما يتعلق بالنسل ، ومن أجل إيمان المسلمين والتزامهم بها زاد عددهم وتضاعف عشرات المرات حتى وصلوا أخيرا إلى ما يزيد عن ألف مليون مسلم .

وهذا ما أقلق أعداء الإسلام ، خصوصا وإن أعدادهم أصبحت فى تناقص مستمر بسبب إيمانهم بتحديد النسل ، وبسبب الحروب التى قتلت عشرات الملايين منهم .

وسوف نوضح فيما يأتى ، خوفهم من زيادة نسل المسلمين وخطتهم فى القضاء عليه .

---

(١) المزمل [٢٠] .
(٢) رواه البخارى .
(٣) الرعد [٨] .
(٤) فاطر [١١] .

فزع أعداء الإسلام من زيادة نسل المسلمين :

أصيب العالم الغربى بفزع شديد من الاضطراد المستمر فى زيادة أعداد المسلمين ، خصوصا والمواجهة على أشدها بين المسلمين واليهود « حلفائهم الأعزاء » ، وزاد من خوف الغرب النصرانى ما يملكه العالم الإسلامى من المواد الخام وما تحتويه أرضه من الثروات مما يساعد على تحويله إلى قوة عالمية فى فترة وجيزة .

وقد عبر المفكر الألمانى (باول شمتز) عن هذا الفزع فقال : « يوجد لدى المسلمين عنصران يؤثران تأثيرا كبيرا فى سياسة التعاون بين الأقطار الإسلامية ، الأمر الذى يؤدى إلى أن يصبح غدا قوة عالمية : الزيادة المطردة فى عدد سكانه ، وما توصلت إليه الأبحاث من أن فى باطن الأرض ثروة من المواد الخام تكفى – كما يقول الخبراء – لقيام صناعة تضارع مثيلاتها فى أوربا ، بل سيكون لدى الشرق فائضا من المواد الخام يجعله من أول المناطق المصدرة فى العالم ، وهذا – أى الزيادة المطردة فى السكان ، والمواد الخام – هما مصدر القوة النامية فى العالم الإسلامي » .

ثم يقول :

« تشير ظاهرة نمو السكان فى أقطار الشرق الإسلامى إلى احتمال وقوع هزة فى ميزان القوى بين الشرق والغرب ، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوربية ، وسوف تمكن الزيادة فى الإنتاج البشرى الشرق على نقل السلطة فى مدة لا تتجاوز بضعة عقود »[1] .

ثم يشير شمتز إلى خطورة القوى البشرية الإسلامية على المواجهة بين المسلمين واليهود ، حيث يقارن بين عدد المسلمين وعدد اليهود فى فلسطين ، ثم ينتهى من هذه المقارنة إلى أن الخصوبة البشرية لدى المسلمين أكبر منها لدى اليهود مرتين ونصف ، وهذا ما يجعل آمال الصهيونية فى فلسطين تتحطم[2] .

ولقد دفع الصراع بين أوربا والعالم الإسلامى إلى قيام الأوربيين بدراسات مقارنة فى مجال السكان للوقوف على اتجاه ميزان القوى البشرية بين الطرفين ، وتوصل الباحثون

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية صـ (٢٠١) .

(٢) السابق صـ (٢٠٦) .

إلى نتيجة أصابت الأوربيين بالذعر والقلق ، فقد اكتشفوا أن بين كل ٣,١٣ من البالغين فى أوربا يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشر ، أما فى مصر وتركيا وإيران فقد أثبت الإحصاء أن فيها شابا تحت الخامسة عشرة بين كل ١,٣٨ من البالغين معنى هذا أن العالم الإسلامى يملك حوالى ٧٥٪ من القوى النامية « الأطفال » بينما الغرب يملك حوالى ٣٥٪ فقط . إذاً بعد عشرات السنين سوف تكبر القوى النامية الإسلامية مما يؤثر على العلاقة بين الشرق والغرب(١) .

ومن هنا وضع أعداء الإسلام خطتهم لوقف المد البشرى الإسلامى .

خطة أعداء الإسلام :

كانت خطة الغرب النصرانى فى وقف المد البشرى الإسلامى ، أن يقوم بالدعوة إلى تحديد النسل فى العالم الإسلامى بأية صورة من الصور ، حتى ولو كانت هى أن يرصد مئات الملايين من الدولارات ويرسلها إلى الدول الإسلامية فى صورة تبرعات خاصة بجهاز تنظيم الأسرة الذى أنشأ بواسطة الدسائس النصرانية لخدمة مخططات أعداء الإسلام .

وبدأت بالفعل دول أوربا فى إرسال هذه الأموال فى صورة هبات ومنح بشرط ألا تصرف إلا فى الدعوة إلى تحديد النسل ، وسلطوا على المسلمين أجهزة إعلامهم التى تحدثت كثيرا عما يسمى بالانفجار السكانى ، وادعوا أن الأرض محدودة ، وأن وسائل المعيشة ومواردها محدودة ، لكن القوى البشرية فى زيادة مستمرة مما يؤكد حدوث مجاعات فى المستقبل إن لم تقم الدول بتحديد النسل .

وقد انخدع بهذه الدعوات المضلله بعض حكام المسلمين فدعوا إلى (تحديد النسل) ؛ ولكن الحِسّ الإسلامى رفض هذه الدعوة ، لأنها تتعارض مع صميم العقيدة الإسلامية فعدلوا اسم الدعوة إلى : تنظيم الأسرة أو تنظيم النسل وكلها أسماء لمسمى واحد ، وبدأت الحكومات الغربية تعطى خبرتها فى هذا الميدان لهذه الحكومات الإسلامية المخدوعة ، وتمدها بالأجهزة والمال الذى يساعدها على تحقيق ذلك

---

(١) السابق صـ (٢٠٧) .

بحجة الخوف على مصالح المسلمين ، وخداعهم والخوف من قوتهم البشرية النامية ، أو كما قال شمتز : الخوف من اختلال ميزان القوى وانتقال السلطة من الغرب إلى المسلمين .

وهذا ما يشير إليه المفكر الهندى محمد إقبال حين يقول : هناك سيل عرمرم من الكتب والوسائل التى تحاول أن تجرف بلادنا إلى اتباع خطة منع الحمل ، على حين أن أهل الغرب فى بلادهم أنفسهم يتابعون الجهود الفنية لرفع نسبة المواليد وزيادة السكان . ومن أهم أسباب هذه الحركة عندى أن عدد السكان فى أوربا فى تدهور شديد ، بينما عدد السكان فى الشرق فى زيادة مطردة ، وهذا ما ترى فيه أوربا خطرا مخيفا على كيانها السياسى[1] .

إذًا لم تكن الدعوة إلى تحديد النسل فى العالم الإسلامى بهدف الخوف من الانفجار السكانى كما ادعوا ، وإنما كانت بهدف وقف المد البشرى الإسلامى بدليل أنهم صدَّروا هذه الدعوة إلى دول إسلامية تعانى من قلة النسل ، مثل سوريا التى يبلغ عدد سكانها سبعة ملايين تقريباً وبها نحو اثنا عشر مليوناً من الأفدنة الصالحة للزراعة والتى تستوعب أكثر من خمسين مليونا من الرجال .

ومثل العراق : الذى يبلغ سكانه تسعة ملايين تقريبا يملك نحو عشرين مليونا من الأفدنة الخصبة التى تستوعب أكثر من ثمانين مليونا من البشر .

ومثل السودان : الذى يملك نحو ٧٠ مليونا من الأفدنة ولا يجد من السكان من يزرع عشر هذه الأرض .

إذًا لو كانت الدعوة لمصلحة المسلمين حقا لتركزت فى المجتمعات الإسلامية ذات الكثافة السكانية العالية ، ولكنها كانت دعوة محمومة استهدفت وقف المد البشرى الإسلامى أياً كان مكانه .

وهذا ما يؤكد لنا أن الدعوة لتحديد النسل لها علاقة وثيقة بالصراع الدائر بين المسلمين واليهود فقد تركزت هذه الدعوة بصفة خاصة فى الدول المحيطة بإسرائيل مثل سوريا والأردن والعراق ولبنان ومصر .

وسوف نفصل قصة تحديد النسل فى مصر كنموذج لما حدث فى أنحاء العالم الإسلامى .

---

(١) انظر مقال استعراض علمى لحركة تحديد النسل للأستاذ خورشيد أحمد صـ (١٨٥) من كتاب حركة تحديد النسل .

الدعوة لتحديد النسل في مصر :

اهتم أعداء الإسلام بمصر بصفة خاصة ، حيث أشار شمتز إلى أن مصر لديها أعلى نسبة مواليد بين كل شعوب العالم الإسلامى وأنها سوف تنمو بشريا إلى درجة قد تمكنها من استعمار الكرة الأرضية[1] .

ومن هنا كان اهتمامهم بمصر حيث خصوها بالدعاية المركزة ، لأنها هى التى تقف بالمرصاد لإسرائيل ، ولأن جيشها المظفر هو بعون الله قوة للمسلمين أجمعين ، وكان أول من نادى بفكرة تحديد النسل فى مصر هو العميل المأجور والنصرانى الحاقد « سلامة موسى » الذى دفعه أعداء الإسلام إلى ترجمة عدد من الكتب التى تشرح الفكرة ، وتروج لها بين المسلمين – مع أنه هو لم يكن يؤمن بها طبقا لخطة الكنيسة ، فقد أنجبت زوجته ثمانية[2] .

وبعد تهيئة الجو الفكرى للدعوة عن طريق وسائل الإعلام ، بدأت دول أوربا فى إرسال ملايين الدولارات إلى مصر من أجل الدعوة لتحديد النسل وتنظيم الأسرة .

وقد نشرت صحف القاهرة خبراً مفاده أن الولايات المتحدة الأمريكية قد رفعت المعونة المقدمة منها إلى جمهورية مصر العربية والخاصة بتنظيم الأسرة من ٣٦ مليون دولار إلى ٤٥ مليون دولار !!

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ، ما سر الاهتمام الزائد من الأمريكان بموضوع تحديد نسل المصريين ؟

وهل يعطوننا هذه الأموال حبا فى سواد عيوننا ؟ أم أن لهم أهدافا أخرى يحاولون تحقيقها من وراء هذه المنح ؟ ونترك الإجابة على هذا السؤال لرجل من رجال المخابرات الأمريكية هو (مايلز كوبلاند) الذى يعبر عن وجهة نظر الحكومة الأمريكية فى المساعدات بصفة عامة فيقول : « فالحقيقة الكامنة وراء كل هذه المساعدات هى تحقيق مصالحنا بالدرجة الأولى ، هذا ما نأخذه دوما بعين الاعتبار عند تخطيط استراتيجيتنا فى أبراج وزارة الخارجية فى واشنطن ، إن أية مغانم يحققها

---

(١) الإسلام قوة الغد صـ (٢٠٣) .

(٢) محمد جلال كشك – الغزو الفكرى صـ (١٣٤) .

الطرف الآخر ، سواء كانت خيالا أم واقعا لن تكون مقصودة أبدا ، كما أنه لا يستبعد أبدا أن تكون طُعْمًا فى يد صياد يغرى بها فريسته حتى تقع فى شباكه »[1] .

إذاً فالمسألة ليست مصلحة المصريين وإنما مصلحة أعدائهم الذين يستفيدون من تحديد نسلهم وإضعاف قوتهم .

ثم نطرح سؤالاً آخر : هل مصر فى حاجة فعلا إلى تنظيم النسل ؟ وهل تنظيم النسل يفيدها اقتصاديا أم يضرها ؟ الذين يروجون للدعوة يقولون إن تحديد النسل سوف يؤدى إلى رواج اقتصادى ، وارتفاع بمستوى الخدمات والإنتاج . ولكنهم يتناسون مقررات علم الاقتصاد التى تقول : إن عوامل الإنتاج ثلاثة هى :

الأرض - رأس المال - والإنسان - وهو أهم العوامل على الإطلاق ، لأنه ما قيمة الأرض والثروات والمال إذا لم تكن هناك قوة بشرية تستطيع استغلالها ؟

إذاً فالنسل عامل إنتاج وثروة بشرية يمكن أن يدر على مصر الأرباح الوفيرة سواء من عمله داخل مصر أو من خارجها .

أما فى داخل البلاد : فهناك من الموارد والأرض ما يكفى لإعاشة أضعاف سكانها كما يقول الخبراء .

وأمامنا مثل واحد فى سيناء فهى كافية لإعاشة الملايين لو وجدت من يعمرها ويرد لها الحياة .

ونأسف غاية الأسف حين نقول : « لنا فى إسرائيل الأسوة الحسنة » فما إن استولت عليها بعد الحرب حتى حولت أجزاء كبيرة منها إلى مدن متكاملة ومزارع أمدت إسرائيل بالخضر والفواكه .

وهناك غير سيناء الصحراء الممتدة من مصر إلى بورسعيد ومن مصر إلى الإسكندرية ، ومن الإسكندرية إلى السلوم هذه المنطقة التى أثبتت الأبحاث صلاحيتها للزراعة ، وقد أعلن وزير الحربية أخيرا أن الصحراء الممتدة من الإسكندرية إلى السلوم بها ما يقرب من ستة ملايين فدان صالحة للزراعة وبها آبار ومياه جوفية ، وقد قامت القوات المسلحة بالفعل باستصلاح ألفى فدان فى هذه المناطق .

---

(١) لعبة الأمم صـ (٥٥) .

وإننا لنتساءل كم تحتاج هذه الملايين الستة من الأيدى العاملة ؟

والإجابة على هذا السؤال تأتينا حين نعلم أن مساحة الأراضى المزروعة فى مصر حالياً حوالى ستة ملايين فدان ومعنى ذلك أن الأرض الجديدة تحتاج إلى أضعاف العاملين فى الأرض الزراعية حالياً .

إذاً فنحن فى حاجة إلى زيادة النسل لكى يعود الخير على مصر .

وهل يليق أن ندعوا إلى تنظيم النسل وفى الريف يستأجر أصحاب الأرض من يزرعها لهم ؟

وكل هذا يؤكد أن الدعوة إلى تحديد النسل فى مصر أو تنظيمه فاشلة اقتصاديا ، وسياسيا ودينيا واجتماعيا وبكل المقاييس الممكنة .

وأما فى خارج مصر :

فقد جربنا هجرات الشباب إلى الدول العربية للعمل هناك وقد عادت التجربة على كثير من المصريين بالخير العميم .

إذاً فالنسل فى حد ذاته ثروة ، بل هو أثمن الثروات وأغلاها إلا أن أعداء الإسلام يريدون حرماننا من هذه الثروة التى حبانا الله بها .

وحين نستمع إلى دعوتهم ونسير على خطتهم نكون كمثل إنسان يملك كنزا من الذهب ، ولكنه لا يستطيع أن يستفيد منه بصنعه حليا أو نقدا أو ما ينفع الناس فى الأرض ، فيلقيه فى البحر ليتخلص من أعباء صناعته أو الانتفاع به .

وهكذا فنسلنا كنز . علينا أن نحسن توجيهه والاستفادة به وتوزيعه ، حتى يعود علينا بالخير العميم وأما أن نقتله فى أصلابنا فهذا هو الكفر بنعمة الله ، وإلى هؤلاء الذين يخوفوننا من كثرة النسل وقلة الموارد نهدى تجربة ألمانيا وفرنسا وإنجلترا .

❁ كان عدد السكان فى ألمانيا عام ١٨٨٠ ، ٤٥ مليونا وكانوا يعانون حينذاك من ضنك المعيشة والفقر حتى كانوا يهاجرون بحثا عن الرزق ولكن لما بلغ عددهم ٦٨ مليونا خلال أربعة وثلاثين عاما ارتفعت عنهم ضائقة العيش وتضاعفت مواردهم حتى اضطروا إلى استجلاب العمال من الخارج .

❁ أما إنجلترا فقد زاد عددها بصورة مدهشة من (١٢) مليونا فقط سنة ١٧٧٩ إلى ٣٨ مليونا سنة ١٨٩٠ ولكن مع تزايدهم على هذا الوجه تزايدت وسائلهم المعيشية بسرعة مدهشة حتى أصبحت دولتهم محتكرة للصناعة والتجارة العالمية .

❁ وأما فرنسا فقد سارت على خطة تحديد النسل حتى تناقص عددها تناقصا ملحوظا مما دفع بها إلى هزيمتها المنكرة فى الحروب ، بل إنها الآن تعوض زيادة النسل عن طريق الدعارة والطرق غير المشروعة[1] .

إذاً فلا ينبغى أن نخشى زيادة النسل لأنها ثروة قومية سوف تعود علينا بالخير إن شاء الله .

□ مناقشة فكرة تحديد النسل □

سوف نناقش هذه الفكرة من جميع جوانبها الدينية والاقتصادية ، والاجتماعية والصحية .

موقف الإسلام من تحديد النسل :

قبل أن أدخل فى مناقشة هذه الفكرة من الناحية الإسلامية أعرض على القارىء الكريم قرارين لمؤتمرين إسلاميين جمعا بين خيرة علماء المسلمين فى الأرض .

أولهما : هو قرار مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية المنعقدة سنة ١٩٦٥م بمصر والذى جمع أكثر من مائتى عالم من مختلف الدول الإسلامية ، وقد قرر المؤتمر فيما يتعلق بموضوع تحديد النسل ما يلى :

١ – أن الإسلام رغب فى زيادة النسل وتكثيره ، لأن كثرة النسل تقوى الأمة اجتماعياً ، واقتصادياً ، وتزيدها عزة ومنعة .

٢ – إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل ، فللزوجين أن يتصرفا طبقاً لما تقتضيه الضرورة ، وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه .

---

(١) راجع حركة تحديد النسل صـ (٦ ، ١٦٣) .

٣ - لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه .

٤ - أن الإجهاض بقصد تحديد النسل ، أو استعمال الوسائل التى تؤدى إلى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين[١] .

وثانيهما : هو قرار المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة المنعقد بمكة سنة ١٩٧٧م وقد قرر ما يلى : تحذير المسلمين من الدعوة المشبوهة التى روجها أعداء الإسلام لتحديد النسل ، واستنكار ما تقوم به بعض الحكومات من إجبار المسلمين على تحديد نسلهم بطريق التعقيم الإجبارى »[٢] .

هذه قرارات خيرة علماء المسلمين فى الأرض كلها ، لأنهم يقولون كلمة الحق دون خوف من حاكم أو سلطان ، ولا يقولونها إلا خالصة لله سبحانه وتعالى ، وهذا ما يدفع المسلم إلى أن يأخذ بكلامهم مأخذ التسليم ومع ذلك فسوف نناقش هذه الفكرة بمنهجنا الخاص :

والذى نراه أن فكرة تحديد النسل معارضة لأساس العقيدة الإسلامية من جهة كما أنها معارضة لمقاصد الإسلام وأهدافه من جهة ثانية .

- أما عن معارضة الفكرة لأساس العقيدة الإسلامية ، فلأن فلسفة هذه الفكرة هى أن الأرض محدودة ، وموارد المعيشة محدودة ، بينما الزيادة البشرية غير محدودة ، مما يؤدى إلى الانفجار السكانى واستحالة الحياة على هذه الأرض .

وهذا معناه انتقاد لذات الله سبحانه وتعالى ، وكأنهم يعلمون عن هذا الكون أكثر مما يعلمه الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا يدبرون الأمر لإنقاذه من الهلاك .

إن هذا الكلام معناه ببساطة أنهم يقولون للإله : لقد أخطأت التقدير وأسأت التدبير ، فلم تعد الأقوات التى خلقتها كافية للناس[٣] ولا الأرض بمتسعة لهم .

---

(١) راجع صـ (٦٩) من حقائق ثابتة لابن الخطيب .

(٢) قارن صـ (٢١٧) من دعاة لا بغاة للمستشار على جريشة .

(٣) ابن الخطيب صـ (٥٩) .

وهذا معارض لنصوص القرآن الكريم التى أكدت علم الله الشامل وتدبيره المحكم وتقديره لأقوات العباد وأرزاقهم ومعرفته بالأرحام وما حملت ، إنه إنكار لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾[1] ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[3] ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾[4] .

نعم فقد صدر هذا الكلام عن أناس ملحدين لا يؤمنون بالله أصلا فضلا عن أن يؤمنوا بأنه هو الرازق أو المقدر للأقوات . إذا فتعاليم الإسلام ترفض هذه الفكرة من أساسها لأنها صدرت من منطلقات مادية ملحدة . ومن أناس وضعوا أنفسهم مكان الإله هم الذين يدبرون وهم الذين يخططون للكون بعيدا عن تخطيط الله له . وما كان ينبغى أن يردد هذا الكلام فى وسط المجتمعات الإسلامية ذات المنطلقات الإيمانية .

– وأما عن معارضة فكرة تحديد النسل لمقاصد الإسلام وأهدافه ، فقد بينا فيما سبق أن زيادة النسل من أهم مقاصد الإسلام التى أمر بها القرآن وحث عليها الرسول ﷺ .

ومعنى هذا أن تحديد النسل معارض لأغراض الإسلام ، ومع ذلك فقد وردت بعض أحاديث يفهم منها إباحة العزل .

مثل حديث جابر : « **كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ وَالقُرْآنُ يَنزِلُ ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَلَمْ يَنْهَنَا** » .

ورواية أبى سعيد الخدرى التى قال فيها « أصبنا سبيا فكنا نعزل فسألنا الرسول ﷺ : **فَقَالَ أَوَ إِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ ؟ قَالَهَا ثَلاثًا ، مَا مِنْ نَسْمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إلاَّ وَهِى كَائِنَةٌ** »[5] .

وفى رواية أخرى أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال : إن لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا ، وأنا أطوف عليها ، وأنا أكره أن تحمل ، فقال : « **اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ ، فَإِنَّهَا سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا** »[6] .

---

(1) المؤمنون [17] .
(2) القمر [49] .
(3) الفرقان [2] .
(4) فصلت [9 ، 10] .
(5) رواه مسلم .
(6) رواه البخارى ومسلم .

وردت بعض روايات تنفر من العزل وتقول إنه (الوأد الخفى) وقد ضعفها بعضهم .

وعلى أية حال فإننا إذ لم نأخذ بالاعتبار إلا قولة النبى ﷺ التى تدل على إباحة العزل ، فإنه يمكن الاستدلال بها على إباحة العزل للأفراد بصفتهم الفردية وفى ظروفهم الشخصية ، ولا يمكن أن يستدل بها على إباحة القيام بحركة شعبية عامة لمنع الحمل فقد رأينا أن معظم الظروف الشخصية فى هذه الأحاديث كانت تدور حول الإماء والخوف من حملهن الذى يترتب عليه أن تستحق الأَمةُ الحرية إذا صارت أم ولد ، فرخص الرسول لهم أحيانا وإن كانت الرخصة بصورة التنفير من هذا الأمر .

من هنا قال العلماء المخلصون : إن تحديد النسل رخصة رخصها الشارع للزوجين إذا دعت الضرورة – وهى محصورة فى الخوف على حياة الأم من الهلاك إذا حملت ، أو تخاف على ولدها الرضيع ضررا غير عادى إذا وقع الحمل – ففى هذه الظروف إذا استخدمت الأم طريقة من طرق منع الحمل فلا بأس ولكن بعد مشورة الطبيب المسلم .

إلا أن هذه الرخصة لا تجوز شرعاً أن تأخذ شكل العموم وإلا خرجت من حكم الإباحة إلى حكم المنكر ، لأن ما يجوز للفرد لا يجوز للجماعة حرصا على المصلحة العامة . وعلى هذا فإذا ما عمد الحاكم فوجه الناس توجيها عاما إلى تحديد النسل فإن ذلك يكون عدوانا على حق طبيعى من حقوق المجتمع ولذلك يكون توجيهه توجيها محرما ، ولا ينبغى أن يلقى أية استجابة من الناس له .

وعلى هذا فالدعوة العامة إلى تحديد النسل دعوة آثمة لا تقوم على أساس شرعى ، ولا على أى مصلحة اجتماعية[1] .

---

(١) د . محمد سعيد رمضان البوطى – مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجها صـ (٣٦) .

مناقشة الفكرة اقتصاديا :

لاشك أن المناقشة الدينية هى الفيصل والأساس ، فالمسلم حين يسمع هذه الحقائق لا يملك إلا الإيمان والتسليم بخطأ هذه الفكرة ، ومع ذلك فسوف نفصل المناقشة الاقتصادية لكى نقنع هؤلاء الذين جعلوا المادة كل شيء فى حياتهم .

فهل لفكرة تحديد النسل جدوى من الناحية الاقتصادية ؟

الواقع أن هذه الفكرة باطلة اقتصاديا سواء على المستوى العالمى أو على مستوى العالم الإسلامي .

أما بالنسبة للمستوى العالمى : فلأن الأرض الموجودة بالفعل أوسع بكثير من عدد السكان الموجودن « ومالتوس » مخترع هذه الفكرة حين ادعى ضيق مساحة الأرض بالنسبة للسكان لم يكن على صواب ، فقد حسب حسابه على أساس مساحة إنجلترا فقط وأنّى له أن يحيط بكل الكرة الأرضية .

إن الكرة الأرضية تبلغ مساحتها « ٥٠ مليون و٧١٦٨ » ألف ميل مربع ، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء ١٩٥٩م (٢٨٥٠) مليون نسمة ، ومعنى هذا أن كل ميل مربع لا يسكنه إلا ٥٤ شخصاً إذا فالأرض فى حاجة إلى أعداد وفيرة من السكان لاستصلاحها . ولا أدل على ذلك من أن ٩٠٪ من أراضى الصين لم تستغل بعدُ ، رغم الأعداد الوفيرة للسكان هناك و٦٢٪ من الأراضى الصالحة للسكنى والزراعة فى غرب أفريقيا لم تستغل بعد . كما أن البرازيل لا يزرع من أرضه إلا ٢,٥٪ وكندا ٨٪ .

وإجمالا فالإنسان لم يستخدم من مساحة الكرة الأرضية إلا ١٠٪ فقط مع أن هناك ٧٠٪ صالحة للزراعة و٢٠٪ غابات ومراعى يمكن أن تستغل أيضاً .

ومعنى هذا أن تحديد النسل خسارة اقتصادية على العالم ، لأنه لو زاد النسل لأمكن استصلاح كل هذه الأراضى الخالية . يقول أبو الأعلى المودودى : « ليس ضيق الأرض على سكانها بمشكلة واقعية ولا من المشاكل المتوقعة ، وإنما تكاسل الإنسان وتخاذل عزيمته هو الذى يدعوه إلى أن يقتل أولاده ويحدد نسله بدلا من أن يبذل جهوده ، لاكتشاف الإمكانات الجديدة لنموه وتقدمه »[1] .

---

(١) حركة تحديد النسل صـ (١١٣) .

❁ أما عن ضيق الموارد البشرية فهو مجرد ضيق فى أفق مخترعى فكرة تحديد النسل ، فهل استطاع هؤلاء المضللون أن يطلعوا على الثروات الطبيعية الموجودة فى باطن الأرض ، وفى قلب البحار حتى يقولوا بأن الثروات البشرية محدودة ؟ .

إذاً فأحكامهم غير واقعية ، وهذا ما أثبته البحث العلمى ، فقد أثبت العلم الحديث أن الإنسان لم يستطع حتى الآن أن يستغل إلا جانبا قليلا جدا من الموارد البشرية الموجودة تحت سطح الأرض ، وفى قاع البحار .

ومن هنا يقول (بول برليس) إن العالم يواجه كارثة إذا تقلص نموه السكانى ويقول (ويلفردنيكرمان) إن العالم الآن لا يستخدم من المواد البروتينية الموجودة فى البحار إلا ٧,٥٪ من الموجودة على سطحها ، والزيادة السنوية فى المادة البروتينية تقدر بحوالى ٣٠ مليار طن بينما يستعمل الإنسان حوالى ٦ مليون طن فقط[١] .

وهكذا يثبت العلم أن العالم يعانى من نقص فى النمو السكانى ، وليس من انفجار سكانى ، بدليل أنه لم يستغل إلا جانب قليل من الثروات والموارد التى أودعها الخالق فى باطن الأرض والمحيطات .

بل إن المشكلة التى تعانى منها بعض دول أوربا اليوم هى زيادة الإنتاج والموارد ومحاولة إيجاد الطرق للاستهلاك ، فأمريكا تنفق فى كل عام حوالى ٤٠٠ مليون دولار لمجرد إضاعة الكمية الفائضة من البطاطا ، أو بيعها بسعر منخفض ، وإن كميات كبيرة من الزبيب تبلغ أثمانها مئات الملايين من الدولارات تقدم لأكل الخنازير ، وفى أمريكا فائض من السلع يساوى عشرين ألف مليون دولار ، من القطن والقمح والذرة والبيض والزبدة ، والحليب[٢] .

إذاً ليست هناك مشكلة فى الموارد ، وإنما المشكلة هى مشكلة عدالة توزيع الثروة ، والأنانية التى يتحلى بها الإنسان الغربى حتى أنه يتخلص أحيانا من مخزونها برميها فى البحار أو تخزينها لأجل غير مسمى ، ولا يفكر فى الشعوب التى تموت جوعا .

كما أن المشكلة أيضاً فى الاستخدام السيىء لموارد الكون ، فدول أمريكا وروسيا يبددان موارد العالم فى سباق رهيب للتسليح ، فحسب ما نشرت وكالات الأنباء العالمية

---

(١) مجلة الدعوة : العدد الستون صـ (٤١) .
(٢) حركة تحديد النسل صـ (١٥٦) .

تجاوز الإنفاق العسكرى فى العالم خلال عام ١٩٧٧م مبلغ ٣٥٠ مليار دولار ، وقد بلغت ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية وحدها لعام ١٩٧٨م (١٢٠) مليار دولار منها ٢ مليار دولار لإنتاج حاملة الطائرات النووية ، فى الوقت الذى تعانى فيه دولة من الدول الغربية مثل (هاييتى) من حالة من الفقر لا مثيل لها .

ومن المعروف أن لدى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى من الترسانات النووية ومخزون السلاح الذرى ما يكفى لتدمير الكرة الأرضية أكثر من عشرين مرة ، ويذكر بعض الخبراء أنه لو اكتفت إحدى الدولتين العظميين بمخزون يكفى لتدمير العالم مرة واحدة بدلاً من عشرين مرة لفاض من ميزانيتها ما يغطى مشروعات الإنتاج والخدمات ، ليس لهذه الدول فحسب ، بل فى العالم أجمع[1] ومع ذلك يتبجحون وينحون باللائمة فى المشكلة الاقتصادية على الله سبحانه وتعالى ، وهم الذين صنعوها بأيديهم ، واكتووا بنارها .

من هنا نفهم أن فكرة تحديد النسل ، ليس لها أية قيمة من الناحية الاقتصادية بل على العكس حيث يشير علماء الاقتصاد إلى أنها أدت إلى كثير من الخسائر الاقتصادية ، حيث فقدت الإنسانية عنصرا أساسيا من عناصر الاقتصاد وهو الإنسان المبدع الخلاق الذى يستطيع أن يتعامل مع موارده حتى ولو كانت محدودة ويزيد منها ويتفاعل معها .

كما أن هذه الفكرة كانت سببا فى الكساد الاقتصادى الذى أصاب بعض البلدان ذلك أنه بانخفاض نسبة المواليد يقل عدد السكان المستهلكين عن عدد السكان المنتجين ، وهذا ما يؤدى إلى البطالة بسبب قلة الطلب على المنتجات[2] .

أضف إلى هذا أن فكرة تحديد النسل فكرة سلبية فهى تقلل من عدد الناس ، ولكنها لا تساعد على زيادة الموارد والإنتاج وبالتالى فضررها أكثر من نفعها .

❋ أما بالنسبة إلى العالم الإسلامى :

فالفكرة خسارة اقتصادية لاحد لها على المسلمين ، فالعالم الإسلامى يملك مساحات شاسعة من الأراضى لم تستغل بعد ، ويملك موارد بشرية وثروات فى باطن الأرض ، ويملك قوة بشرية لا يستهان بها ، وحين تتفاعل هذه العوامل الثلاثة ، ويحسن المسلمون

---

(١) قارن صـ (١٣) من كتاب الإسلام والمشكلة الاقتصادية د . محمد شوقى الفنجرى .

(٢) السـابق صـ (١٠) .

استغلال ثرواتهم سوف يتحولون إلى قوة عالمية تنفض عن نفسها غبار استعباد الغرب لها ، واستغلاله لمواردها وتحكمه فى مقدراتها .

ولذلك يركز الغرب النصرانى فى دعايته على العالم الإسلامى عامة ، وفى العالم العربى بصفة خاصة .

مع أن المساحة فى العالم العربى وحده تبلغ ١٢,٧٦ مليون كيلومتر مربع ، ولا يزيد عدد سكانه عن ١٢٥ مليون نسمة ، والكثافة السكانية فى هذه المنطقة لا تزيد عن ٩ أشخاص فى الكيلو متر المربع فى حين تبلغ الكثافة السكانية فى بعض دول أوربا ٨٧ فى الكيلو متر ، بل فى دولة السعودية وعمان لا تزيد الكثافة فى الكيلو متر مربع عن خمسة أفراد ، وفى دولة الإمارات العربية تبلغ الكثافة ستة عشر فردا فى الكيلو متر المربع .

وفى العالم العربى عشرات الملايين من الأفدنة فى حاجة إلى من يستفيد منها . أما عن الموقع الجغرافى للعالم العربى فهو موقع عالمى ومتميز ، ويعتبر من أهم موارد الثروات . إن مفاتيح البحار والمحيطات تقع كلها تحت يده ، إذ يشرف على مضيق جبل طارق ، حيث نقطة الاتصال بين أوربا وحوض البحر المتوسط ، وعلى قناة السويس حيث نقطة الالتقاء بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط ، كما يطل على مضيق باب المندب حيث نقطة الاتصال بين المحيط الهندى والبحر الأحمر ، أى أن حركة الصادر والوارد فى هذه المنافذ كلها تقع تحت عينه[1] .

ومن هنا نعلم أن دعوة تحديد النسل فى العالم الإسلامى ، دعوة باطلة مضرة باقتصاديات العالم الإسلامى ، لأنها تهدف إلى عدم استغلال المسلمين لمواردهم استغلالا كاملا ، حتى لا ينهضوا ، ولا تقوم لهم قائمة .

خطورة تحديد النسل من الناحية الصحية :

إذا كانت هذه الفكرة فاشلة اقتصاديا ، فهى أيضا لها كثير من الأضرار الصحية ، على الرجال والنساء ، فقد أثبت العلم وشهد الأطباء الأمناء بأن كل وسائل تحديد

---

(١) د . سعيد رمضان صـ (٥٠) .

النسل من الحبوب واللولب ، والعازل والتعقيم للرجال ، تؤدى إلى إلحاق الضرر بالرجل والمرأة معا .

أما بالنسبة للرجال ، فيقول تقرير نسبة الولادة القومية فى بريطانيا – إن هذه الوسائل تصيب الرجل بالاختلال فى نظامه الجسمانى ، والضعف فى قوته التناسلية ، كما يصاب بالقلق .

– أما المرأة فتصاب بالانهيار العصبى ، والقلق ، والأرق ، والتوتر والصداع ، وشلل اليدين والرجلين ، وسقوط الرحم ، وفساد الذاكرة وأحيانا بالجنون[1] . كما أثبت المركز العلمى للبحوث الجنائية بمصر أن هذه الوسائل تصيب المرأة بأخبث الأمراض ومنها السرطان[2] وأضف إلى ذلك ما تصاب به المرأة من التضخم وامتلاء جسمها بالماء ، والضعف العام وغير ذلك من الظواهر الملموسة للعيان .

وإننا لنتساءل كم تدفع الدولة من إمكانياتها الاقتصادية لعلاج آثار وسائل منع الحمل ؟ وإذا فهى خسارة اقتصادية جديدة !! لأن الدولة لو وجهت ما تنفقه من ملايين الدولارات على إعلانات ووسائل منع الحمل ، وعلاج الآثار الضارة التى تنتج عن استخدام وسائل منع الحمل ، لو وجهت كل هذا إلى مشاريع التنمية لكانت الفائدة أعم ولكن هل يسمح الذين يرسلون إلينا هذه الدولارات بذلك ؟ ؟ !

نتائج حركة تحديد النسل :

أثمرت هذه الحركة كثيرا من النتائج السيئة ومنها :

١ – كثرة الفواحش والأمراض الخبيثة .

فقد ساعدت وسائل منع الحمل على شيوع الزنا ، وضياع الأعراض فقد كانت البنت تخشى أن يظهر حملها ، أما اليوم فلم تعد تخشى ذلك ، لأن وسائل منع الحمل أعطتها الأمان ، خصوصا وهى فى متناول الجميع وتوزع بدون أدنى رقابة ، ولا شك أن شيوع الزنا إنما يؤدى إلى كثير من الأمراض الفتاكة ومنها : الزهرى ، والسيلان وغيرها .

---

(١) حركة تحديد النسل صـ (٨٢) وما بعدها .

(٢)) أبو زهـرة صـ (١٠٥) .

خصوصا وأن ظروف المجتمعات الحديثة تدفع إلى ذلك من حيث العرى والتبرج والاختلاط ، وانعدام الحياء ، كل هذه أسباب تفاعلت مع وسائل منع الحمل وأدت إلى شيوع الفاحشة .

٢ – ضياع نظام الأسرة وكثرة حالات الطلاق :

مادام الشاب يجد حاجته من الفتاة وتسترهم وسائل منع الحمل ، فما الداعى إلى الزواج ؟ ومن هنا أضرب الشاب عن الزواج وتزعزت أركان الأسرة ، ولم يعد الشاب فى أوربا ينظر إلى الزواج على أنه ضرورة اجتماعية . وكذلك المتزوجون ، ما الذى يربطهم ببعض وما الذى يجعل كل واحد منهم يتحمل أخطاء الآخر ؟ إنهم الأولاد فهم السبب الأول فى استمرار الحياة الزوجية رغم الأعاصير التى قد تتعرض لها ، ولكن حبوب منع الحمل جعلت الأزواج يؤجلون الإنجاب عشرات السنين حتى يصلوا إلى المستوى الذى يحلمون به لتربية أبنائهم ، ولذلك كان من السهل على كل واحد منهما أن يفارق الآخر عند حدوث أى مشاكل بينهما .

يقول الأستاذ « يارنس » : « إن الأزواج والزوجات الذين يطالبون بالطلاق ثلثاهم ممن لم يرزقوا طفلا ، وخمسهم ممن لم يرزقوا أكثر من طفل واحد ، والحقيقة أن هناك علاقة واضحة بين الطلاق والحياة بدون ذرية »[١] ويقول ول ديورانت : « إن اختراع موانع الحمل هو السبب فى تغيير أخلاقنا ، فقد انحلت الرابطة بين الأزواج والزوجات ، وتغيرت العلاقات بين الرجال والنساء »[٢] .

٣ – قلة المواليد ، لدرجة أنها أصبحت مشكلة يبحثون لها عن حل فى أوربا ، حتى أنهم أنشئوا أجهزة لزيادة النسل .

هذه هى نتائج حركة تحديد النسل فى أوربا ، وهى لاشك سوف تحدث لكل مجتمع إسلامى يأخذ بهذه الحركة .

---

(١) حركة تحديد النسل صـ (٣٥) .

(٢) مفاهيم العلوم الاجتماعية صـ (١١٨) .

الغرب يغير موقفه من حركة تحديد النسل :

اليوم يعترف الغرب النصرانى بخطئه بعد أن ذاق الأَمَرَّيْن من نتائج حركة تحديد النسل ، وفاق من غفلته لكى يجد نفسه يعانى من قلة النسل ، ومن هنا تعمل الحكومات الغربية جاهدة على زيادة النسل بأى طريق .

ففى فرنسا وألمانيا وإيطاليا والسويد واليونان وإنجلترا ، حدث الآتى :

١ - قاموا بإنشاء جمعيات تقوم بالتحقيق فى مشكلة قلة السكان وتعلم الناس كيف يتناسون فكرة تحديد النسل .

٢ - منحوا الأسرة مكافآت مالية كبرى على قدر ما يكون لديهم من الأطفال ، ففى فرنسا دعا الرئيس الفرنسى السابق جيسكار ديستان الشعب الفرنسى إلى العمل على كثرة النسل ، وقرر راتبا شهريا قدره ٨٣٠ دولار لكل طفل . وفى ألمانيا الغربية يدفعون ١٠٨ دولار للطفل الثالث و٥٤٠ للطفل الرابع وفى أسبانيا أهدى الجنرال فرانكو جائزة الأب المثالى إلى فلاح أسبانى أنجب (٢١) طفلاً[١] .

وفى روسيا أصدر مجلس السوفيت الأعلى قراراً بإهداء ميدالية فخر الأمومة إلى الأمهات اللائى أنجبن أكبر عدد ممكن من الأطفال[٢] . كما أنهم فى روسيا منعوا تداول الحبوب المانعة للحمل ، وأعطوا للحوامل أجازات طويلة وقال لهم خروتشوف : « إذا أضيف مائة مليون آخرين إلى المائتين الموجودتين لدينا الآن ، فلن يصبح العدد كافيا بعد »[٣] وقررت حكومة اليونان صرف مكافآت مالية مجزية لكل أبوين عن الطفل الثالث ومن بعده .

ويقول وزير داخلية بريطانيا ١٩٤٣م : « إن بريطانيا إذا كانت تحب المحافظة على مستواها فى الوقت الحاضر ، والتقدم فى سبيل الرقى والازدهار فى المستقبل ، فمن اللازم أن يتزايد فيها أفراد كل أسرة بنسبة ٢٥٪ على الأقل »[٤] .

٣ - أصدروا قوانين تمنع تعليم منع الحمل وترويج طرقه .

٤ - فرغوا النساء للبيوت واستغنوا عن عملهم من أجل التفرغ للنسل ، وفى الوقت ذاته يعطون الشباب مبالغ ضخمة باسم (دين الزواج) .

---

(١) جريدة الجمهورية ١٩٧٣/٥/٢م .
(٢) جريدة الأهرام ١٩٧٢/٣/١٦م .
(٣) حركة تحديد النسل .
(٤) د . محمد سعيد رمضان صـ (٤٢) .

٥ - رفعوا الضرائب على غير المتزوجين ، أو المتزوجين بدون إنجاب ، وخفضوها عن الذين ينجبون ذرية كبيرة .

٦ - أصدروا قوانين جنائية تعاقب كل من يدعو إلى تحديد النسل بالعقوبة سنة ، وبغرامة مالية .

٧ - عدلوا فى نظامهم المعمارى فلم يعودوا يبنون الشقة حجرة وصالة ؛ بل عدلوها إلى ثلاثة حجرات على الأقل[1] .

فهل يعدل حكام المسلمين عن خطتهم فى تحديد النسل ؟ أم أنهم يصرون على السير فى طريق الخطأ ؟ .

ولو فرض أن هناك مشكلة حقيقية لزيادة السكان ، فإن علاجها لا يكون بهذا الأسلوب الذى ثبت فشله ، وإنما هناك الكثير من الحلول النافعة وهذا ما سوف نوضحه فى الأسطر التالية :

الحل الصحيح لزيادة السكان في العالم الإسلامي :

إن مشاكل التنمية فى العالم الإسلامى لا يمكن أن تحل بتحديد النسل فهو ليس حلا ، وإنما هو تعقيد لمشاكل العالم الإسلامى . فهو فى أشد الحاجة إلى المحافظة على نسله ، لأنه يعيش صراعا مع قوى عالمية ، فالاستعمار الصهيونى فى قلب العالم الإسلامى والاستعمار الشيوعى على أطرافه ، ويحاول أن يزحف على القلب ، على الرغم من تفكك الاتحاد السوفيتى إلا أن عداءه للإسلام يزداد يوماً بعد يوم ، وتقوم إسرائيل بزيادة نسلها بكل الطرق ، كما تفعل روسيا أيضاً ، فعلينا أن نحافظ على نسلنا وتقويته وإعداده والنهوض به حتى نستطيع أن نصمد أمام هذه القوى الطاغية . وأما حلول المشكلات السكانية فهى كثيرة نذكر منها .

١ - زيادة وسائل المعيشة وتنمية الموارد :

فلابد من بذل الجهود الفعالة لزيادة وسائل المعيشة ، واستغلال الموارد الحالية استغلالا كاملا ، والبحث عن موارد جديدة للرزق ، فظاهر الأرض الإسلامية غنى

---

(١) حركة تحديد النسل ص (٥٦) وما بعدها .

وخصب وباطنها غنى بالمواد الخام التى لم تستغل بعد ، بل لم يبحث عنها بعد . ولابد من الأخذ بالوسائل العلمية الحديثة لزيادة الإنتاج فى المجالين الصناعى والزراعى وتوسيع الرقعة الزراعية أما تحديد النسل فهو هروب من مواجهة الواقع .

٢ - الهجـــرات :

إن تنظيم الهجرات داخل العالم الإسلامى عامل هام من عوامل علاج الكثافة السكانية فى بعض أقطاره .

ولابد أولا من إزالة ما بين دول العالم الإسلامى من الشقاق والخلافات الأيديولوجية ، كما أنه لابد من أن تعود العلاقة بين هذه الدول على أساس الأخوة الإسلامية ، فإذا ما تحقق شعار (المسلم أخو المسلم) فى السياسة الخارجية للمجتمعات الإسلامية ، انتهت كل مشاكلهم السكانية والاقتصادية[١] .

- إن السودان وحده يمتلك ٧٠ مليونا من الأفدنة الصالحة للزراعة ، وهو مهجر طبيعى لصعيد مصر ، وهذه المساحة تسع العرب جميعا ، فهل نترك هذه الأرض شبه موات ونحدد نسلنا ؟ !!! .
- وفى ليبيا مساحات شاسعة من الأرض تحتاج إلى الأيدى العاملة الإسلامية ، وللأسف أن ليبيا تستورد الأيدى العاملة من كل أنحاء العالم ، فأولى بشباب مصر أن يعمرها .
- والجزائر بها ثلاثون مليوناً من الأفدنة تحتاج إلى الشباب ، وفى سوريا اثنا عشر مليونا ، وفى العراق عشرون مليوناً ، إذاً فلو كانت هناك حركة منظمة لهجرة الشباب من البلاد التى عندها فائض إلى البلاد التى تعانى نقصا ، لحدث تكامل اقتصادى يعود بالخير العميم على العالم الإسلامى كله .

٣ - عـدالـة التوزيـع :

معظم مشكلات المجتمعات الإسلامية المكتظة بالسكان ليست مشكلة فقر ، وإنما هى مشكلة عدالة توزيع الثروة ، إنها مشكلة اعتداء الأغنياء على حقوق الفقراء ، فهناك أقلية مترفة ومتخمة لا تجد مجالا لتصريف ما معها من الملايين اللهم إلا اللهو والعبث ،

---

(١) د . محمد البهى - الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية صـ (٢٢٧) .

وهناك أكثرية معدمة كادحة ، من هنا وجب على حكام المسلمين أن يأخذوا حق الفقراء من الأغنياء ، فلو أن حكام المسلمين نفذوا نظام الزكاة فى المجتمعات الإسلامية لما وجد فى العالم الإسلامى جائع ولا محروم .

ولكن المشكلة أن حكام المسلمين تركوا الأغنياء ، ولم يأخذوا منهم حق الفقراء فبدلاً من أن نقول للفقير اقتل أسباب النسل فى صلبك وفى رحم امرأتك نقول للدولة خذى من ذوى الفضل من المال وأعطى من يحتاج ، والجميع بكثرتهم قوة للأمة[1] .

٤ - عدم تبديد طاقات الناس فيما لا ينفع :

إن طبيعة النظام الإسلامى توجب زيادة الإنتاج ، والموارد البشرية وصيانة ثرواتها من التبديد والضياع فيما لا ينفع .

فالإسلام يحفظ طاقات الناس من أن تستهلك فى شرب الخمر ، والمسكرات واللهو ، والمجون والسهر العابث أمام وسائل اللهو من التليفزيون والفيديو والمسارح والسينمات .

إن الشعب الذى يستقبل يومه من الصباح الباكر متوضئا مصليا طيب النفس مستريح الجسم ، سيفوق إنتاجه - لا محالة - إنتاج الشعب الذي يقضى نصف ليله فى الخلاعة والعبث والمجون ، فإذا أدركه الصباح لم يقم من نومه إلا مكرها ، وإذا توجه إلى عمله ، كان خبيث النفس كسلان مهدد القوى[2] .

إذا فلو طبق النظام الإسلامى تطبيقاً صحيحا لما كانت هناك مشكلة قلة الإنتاج أو قلة الموارد ، ولما كانت هناك حاجة للدعوة إلى تحديد النسل الذى يخلق للمسلمين مشكلات كبرى ، ويهدد طاقاتهم البشرية الهائلة .

---

(١) أبو زهرة صـ (٩٦) .

(٢) د . يوسف القرضاوى - الحلول المستوردة .

الفصل الثاني عشر
□ القضاء على الحركات الإسلامية □

□ تمهيـــــــد □

في وسط حالة الضياع التي كان يعيشها العالم الإسلامي من إلغاء الخلافة الإسلامية ، وتطبيق الأنظمة العلمانية ، وسيطرة الاستعمار الأجنبي على معظم أجزاء العالم الإسلامي ، وعبثه بالحكومات الإسلامية ، فى وسط هذا كله يقيض الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها ، فيظهر محمد بن عبد الوهاب وينشىء أول حركة إسلامية فى العصر الحديث ، وهى الحركة الوهابية التى أحيت الروح الإسلامية فى نفوس المسلمين وساعدت على خلق كثير من الحركات الإسلامية فى أنحاء العالم الإسلامى فى الجزائر والمغرب وليبيا ومصر والهند وباكستان وغيرها .

ثم ظهر على أثره كثير من الدعاة للإسلام ومنهم السيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده والشيخ حسن البنا الذى فاق الجميع حيث استفاد من أخطاء السابقين وأسس أول حركة إسلامية جامعة فى مصر وهى حركة « **الإخوان المسلمون** » .

وقد دعا الشيخ حسن البنا إلى :

١ – إحياء الإسلام كدين ودولة وخلق المجتمع المسلم الذى يحكم الإسلام كل حركة من حركات حياته ، وإلغاء القوانين الوضعية وتطبيق القوانين الإسلامية .

٢ – تحرير العالم الإسلامى من الاستعمار الأجنبى .

وقد استطاع الشيخ حسن البنا فى فترة وجيزة أن يربى جيلا جديدا من الشباب الذى آمن بالله ربا وبالإسلام دينا إيمانا حقيقيا يضحى فى سبيله بالغالى والنفيس .

كما أحدث فى مصر وفى العالم الإسلامى حركة ثقافية إسلامية حيث أنشأ كثيراً من المجلات الإسلامية ، واتصل بكل الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى فى سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، وباكستان ، وأندونيسيا[١] .

---

(١) محمود عبد الحليم – الإخوان المسلمون جـ ١ صـ (٣٢٢) .

يقول الدكتور ميتشيل : « لقد صارت دار الإخوان منتجعا لكل العاملين فى الحركة الإسلامية فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى »[1]، وفى سنوات معدودة كان لجماعة الإخوان المسلمين فى مصر (٢٠٠٠) شعبة ومنها شعب فى الجيش وتنظيم الضباط الأحرار[2] . كما أنشأت هذه الحركة كثيرا من المدارس الإسلامية والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية ، من أجل الوقوف فى وجه المد التبشيرى فى مصر .

وكانت وسائل الشيخ حسن البنا في تكوين الجماعة هي :

١ - الإيمان العميــق .   ٢ - التكوين الدقيــق .   ٣ - العمل المتواصل .

كما كان منهجه فى الدعوة هو : الحكمة والموعظة الحسنة والحوار الهادف الأمين كما كان فى الوقت ذاته يعد نفسه وجماعته إعداداً عمليا تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[3] فأنشأ (التنظيم السرى العسكرى) لمواجهة الإنجليز فى مصر .

وقد كان همه الأول هو : أن يجلوا أعداء الإسلام عن العالم الإسلامى ومن هنا يقول : « إن الإسلام لا يرضى من أبناءه بأقل من الحرية والاستقلال فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد ولو كلفهم ذلك الدم والمال ، فالموت خير من الحياة : حياة العبودية والرق والاستغلال »[4] .

ولذلك أخذ على نفسه أن يقاوم صلف الإنجليز فى مصر ، فأحيا فى العمال الذين كانوا يعملون معهم الروح الإسلامية والعزة الإسلامية التى جعلتهم يشعرون بقيمتهم ولا يقبلون إهانة الإنجليز لهم ، كما عارض المعاهدات الإنجليزية التى تنازل فيها الساسة عن حقوق الوطن .

ولم يقف عند هذا الحد بل أرسل رجاله لمقاومة الإنجليز فى الإسماعيلية والقناة فنسفوا معسكرات الإنجليز وأذاقوهم الويل .

كما اهتم الشيخ حسن البنا بصفة خاصة بقضية فلسطين ، واتصل بالمجاهدين المسلمين

---

(١) راجع ص (٥٢) من كتاب لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا - عبد المتعال الجبرى .

(٢) د . زكريا سليمان بيومى - الإخوان المسلمون ص (٢٤٧) .

(٣) الأنفـــال [٦٠] .   (٤) محمود عبد الحليم ص (١٢٢) .

هناك وعلى رأسهم الحاج « أمين الحسينى » كما قام بإحياء الوعى المصرى تجاه فلسطين فأرسل رجاله إلى المساجد يبصرون الناس بخطورة اليهود فى فلسطين ويجمعون التبرعات لمساندة المجاهدين هناك[1] .

كما قامت الجماعة بعقد المؤتمرات العالمية من أجل شرح أبعاد قضية فلسطين[2] . ولم يقف أمرهم عند حد الجهاد بالكلام فقط ؛ بل جاهدوا بأنفسهم وأموالهم ، فما أن قامت الحرب بين العرب واليهود سنة ١٩٤٨ حتى كان الإخوان المسلمون فى مقدمة الصفوف ، وأقاموا لأنفسهم معسكرات للتدريب اعتمدوا فيها على أموالهم الخاصة ولم يكلفوا الدولة شيئا ، ودخلوا إلى فلسطين فى مارس سنة ١٩٤٨ أى قبل وصول القوات النظامية العربية بشهرين ، ولعبوا مع اليهود لعبة حرب العصابات التى أظهروا فيها بطولات خارقة شهد بها قادة اليهود حيث يقول أحدهم : « إن الهجوم على الإخوان المسلمين مخاطرة كبيرة يشبه الهجوم على غابة مملوءة بالوحوش »[3] .

بل وصل الأمر إلى حد أن الإخوان المسلمين قد فتحوا القدس وحرروها من اليهود وأقاموا حكومة إسلامية مصغرة[4] . ولولا الخيانة التى وقع فيها حكام العرب وملك مصر لكان لفلسطين شأن آخر .

كذلك وقفت جماعة الإخوان المسلمين كالسد المنيع أمام المد الشيوعى فى مصر . وهكذا أصبحت جماعة الإخوان المسلمين - كما يقول حسن الهضيبى رحمه الله : « اسما لا يعبر عن منظمة فى مصر ، وإنما يعتبر عنوانا لنهضة الإسلام ، وبعثه وحيويته فى جميع البلاد الإسلامية من المحيط إلى المحيط ، وصارت دعوتهم رعبا للمستعمرين وأنصار المستعمرين والمنافقين »[5] .

نتائج ظهور حركة الإخوان المسلمين :

كان لظهور هذه الحركة كثيرا من النتائج الطيبة ومنها :

١ - إحياء الشعور بالإسلام فى نفوس المسلمين ، فلقد حولت الإسلام من مجرد عقيدة

---

(١) محمود عبد الحليم صـ (٨٨) .
(٢) السابق صـ (١٨١) .
(٣) فهمى أبو غدير - قضيتنا صـ (١٨) .
(٤) عبد المتعال الجبرى - صـ (١٢٦) .
(٥) راجع مذبحة الإخوان - جابر رزق صـ (٧) .

وشعائر – كما أراد أعداء الإسلام – إلى قوة ناهضة صاعدة تستطيع أن تشق طريقها وسط القضايا العصرية ومشكلاتها .

٢ – إظهار الاتجاه الإسلامى فى مصر كقوة يحسب لها ألف حساب ، لدرجة أن القصر الملكى والحكومات القائمة كانت تخطب وُدَّ الإخوان المسلمين ولا أدل على ذلك من أن النحاس أثناء رئاسته للوزارة سنة ١٩٤٢ قد ترجى الشيخ حسن البنا أن يتنازل عن ترشيح نفسه فى مجلس النواب ، كما تكرر نفس الموقف مع أحمد ماهر رئيس الوزراء سنة ١٩٤٥[١] . وبعد وفاة الشيخ حسن البنا وتولى الأستاذ حسن الهضيبى أمر جماعة الإخوان أرسل إليه الملك وحاول أن يتودد إليه ، وأن يكسبه إلى جواره ، وتنصل من كل ما دبره للإخوان المسلمين ، ولم يعبأ به الهضيبى ، بل إن الملك أهداه صورة مبروزة فما كان من الهضيبى إلا أن وضعها فى دورة المياه[٢] .

٣ – سببت القلق والضيق للإنجليز واليهود والأمريكان ، فإن أخشى ما يخشاه الاستعمار أن يواجه بدعوة عقدية ، ولقد وُجِه الاستعمار فى مصر بدعوات قوامها ودوافعها الوطنية أو القومية أو غير ذلك ، ولم يكن يعبأ بهذه المقاومات ، ولم تكن تسبب له أى قلق ولم يقلق مضاجعه إلا الدعوة الجديدة التى حملت الإسلام الحقيقى شعارا .

خوف أعداء الإسلام من جماعة الإخوان المسلمين :

لا يخاف أعداء الإسلام من شيء أكثر من خوفهم من تحريك الشعور الدينى وهذا ما أشار إليه رجل المخابرات الأمريكية مايلز كوبلاند ، فلقد فكروا مرة فى وقف المد الشيوعى فى العالم الإسلامى عن طريق تحريك الشعور الدينى ولكنهم تراجعوا لأن هذه الفكرة سلاح ذو حدين يقف فى وجه المد الشيوعى والمصالح الغربية فى آن واحد[٣] .

ومن هنا شكلت حركة الإخوان المسلمين خطراً حقيقياً على أعداء الإسلام ومخططاتهم .

---

(١) محمود عبد الحليم جـ ١ صـ (٣٢٤) . (٢) السابق صـ (٤٩٨) .
(٣) لعبة الأمم صـ (٨١) .

والسبب فى ذلك : أن هذه الجماعة تدعو إلى إعادة الإسلام وسيادة المفاهيم الإسلامية وسيطرتها على كل مجالات الحياة . وهذا أمر غاية الخطورة عليهم لأنهم يعلمون أن فى ارتفاع كلمة الإسلام مصرعا لوجودهم ، وقضاءً على مخططاتهم . ذلك أنه يوم أن تعلوا المفاهيم التى جعلت المسلمين الأوائل يتمكنون من القضاء على دولتى الفرس والروم ، سوف يقضى على كل القوى المعادية للإسلام من اليهود والنصارى والشيوعيين .

ومن هنا كان الهلع الذى أصاب أجهزة الإعلام الغربية والصهيونية والتى راحت تحذر من الإخوان المسلمين .

فكتبت الصحف الأمريكية عن الشيخ حسن البنا وبينت خطورته فقالت : « إن هذا الرجل هو أقوى رجل فى العالم الإسلامى اليوم ، ولا يمكن أن يغلب إلا أن تصير الأحداث أكبر منه »[(١)] . وقالت الكاتبة الصهيونية روث كارين : « إذا لم يدرك العالم حقيقة خطر الإسلام والإخوان المسلمين على الاستعمار وعملائه ، فإن أوربا قد تواجهها فى العقد الحالى إمبراطورية إسلامية ، تمتد من شمال إفريقيا إلى باكستان ومن تركيا إلى المحيط الهندى » .

وقال بن جوريون معقباً على اشتراك الإخوان المسلمين فى معارك سنة ١٩٤٨م : « إنه لا سبيل إلى استمرار إسرائيل إلا بالقضاء على الرجعيين فى العالم العربى والمتعصبين من رجال الدين ، والإخوان المسلمين »[(٢)] ، كما قال : « نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات فى المنطقة ، إنما نخشى الإسلام ، هذا المارد الذى نام طويلاً وبدأ يتململ فى المنطقة ، إنى أخشى أن يظهر محمد جديداً فى المنطقة »[(٣)] .

من أجل هذا اجتمع الزعيم البريطانى مع وزير الخارجية الأمريكية ، والسفير الفرنسى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ وقرروا ضرورة القضاء على جماعة الإخوان المسلمين ، ووضعوا لذلك الخطط اللازمة وهذا ما سوف نفصله فيما يأتى :

---

(١) محمود عبد الحليم صـ (٤٣٦) .

(٢) عبد المتعال الجبرى صـ (١٢٢) .

(٣) د . عبد الله عزام – الإسلام ومستقبل البشرية صـ (٦١) .

أساليب أعداء الإسلام في مواجهة الإخوان المسلمين :

كانت أساليب أعداء الإسلام تعتمد على الوقيعة والتشكيك فى أهداف الإخوان المسلمين ، فقد حاولوا أن يوقعوا بينهم وبين الحكومات القائمة ، ويدفعوا هذه الحكومات إلى حل جماعتهم والقضاء عليهم ، ففى سنة ١٩٣٥ أبدى الإنجليز للنحاس تخوفهم من هذه الجماعة وأشاروا عليه بحلها إلا أنه لم يخضع لهم فى البداية ، وفى سنة ١٩٤١ أوعزوا إلى حكومة حسين سرى بالقضاء عليهم ، ولكنه رفض[1] . وفى سنة ١٩٤٢ دفع الإنجليز حكومة الوفد إلى حل الجماعة وإغلاق جميع الشعب فخضع لهم النحاس رئيس الحكومة ثم تراجع بعد ذلك ، وسمح بإعادة فتحها فى مقابل أن يتنازل الشيخ البنا عن ترشيحه فى مجلس النواب .

ثم حاولوا الوقيعة بين الملك فاروق والإخوان المسلمين ، فقالوا له إن حسن البنا يريد أن يجعل من القدس مملكة إسلامية جديدة تفتح هذه الأمصار ، وتوحد العالم الإسلامى فلا يكون لأحد من الملوك ملك ولا سلطان .

ومن هنا كانت المؤامرة الكبرى والتى تعاون فيها الإنجليز مع الملك وحكومة السعديين بزعامة محمود فهمى النقراشى رئيس الحكومة وإبراهيم عبد الهادى ونائبه ، ففى سنة ١٩٤٨ أبرقت إنجلترا إلى النقراشى بضرورة حل الجماعة وقد تبين هذا من نص البرقية المرسلة من قيادة القوات البريطانية فى مصر إلى المخابرات الإنجليزية ونصها : « فيما يختص بالاجتماع الذى عقد فى فايد ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بحضور صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا ، أخطركم أنه سوف تتخذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين »[2] .

وأخطر الإنجليز القصر الملكى والحكومة ووافقت الحكومة على هذه المؤامرة ، فأصدرت أمرا عسكريا بحل الجماعة واعتقال جميع أعضائها ومصادرة أموالهم وشركاتهم ومؤسساتهم وكل ما يخصهم .

والغريب فى الأمر أنهم لم يعتقلوا زعيم الجماعة وهو الشيخ حسن البنا ، بل تركوه وحيدا ، وحاصروه بمخابراتهم ، وقد طلب منهم إما اعتقاله ، وإما الإفراج عن

(١) عبد المتعال الجبرى صـ (١٣٠) .
(٢) راجع صـ (١٣٢) وما بعدها من كتاب عبد المتعال الجبرى لماذا اغتيل الإمام .

المعتقلين ، وإما إخراجه إلى أى قطر إسلامى ، فرفضت الحكومة الآثمة الظالمة لأنها بيتت أمراً خطيراً وهو قتل الشيخ حسن البنا ، ففى ١٩٤٩/٢/١٢ ، وفى ليلة عيد ميلاد الملك قام البوليس السياسى بتدبير من إبراهيم عبد الهادى والملك بإطلاق الرصاص على الشيخ حسن البنا ، ولم يمت ساعتها بل طلب لنفسه الإسعاف وذهب إلى القصر العينى ، وهناك صدرت الأوامر بعدم إسعافه بل تركوه ينزف حتى الموت ومنعوا الناس من السير فى جنازته فلم يحمله إلا والده الشيخ الكبير والنساء[١] . ثم أفرج عن الجماعة مرة ثانية وقد لمت شملها وترأسها المستشار « حسن الهضيبى » إلا أن مؤامرات أعداء الإسلام على الجماعة لم تقف .

الإخوان المسلمون والثورة :

قلنا فيما سبق إن تنظيمات الإخوان المسلمين قد وصلت إلى الجيش حتى أن الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة كانوا على صلة بالجماعة ، وكان بعضهم عضوا فيها ، ومن هنا ساعد الإخوان المسلمون رجال الثورة وتعاهد معهم عبد الناصر على أن يكون الحكم إسلامياً ، فقد أقسم على المصحف فى ساعة الصفر لمندوب الإخوان المسلمين فى حركة الثورة وهو « المقدم صلاح شادى » على أن يحكم بالقرآن[٢] ونجحت الثورة وساندها الإخوان فى أحلك الظروف . إلا أن المخابرات الأمريكية والصهيونية والشيوعية تكاتفت على الوقيعة بين الإخوان والثورة وكانت المؤامرة هى : أن تقوم أجهزة الإعلام الشيوعية بالدفاع عن الإخوان المسلمين وامتداحها وتظهر قدرتها على مناهضة الإمبريالية ، كما تقوم أجهزة الإعلام الصهيونية بإظهار قدرات الإخوان المسلمين وقوتهم ، واستطاعتهم الإطاحة بنظام عبد الناصر[٣] . ثم تقدم السفير الأمريكى إلى عبد الناصر باقتراح لحل الجماعة والقضاء عليها إذا كان يريد مساعدة أمريكا ومعونتها[٤] .

وفى هذه الأثناء سقطت شعبية عبد الناصر بسبب إقصائه لمحمد نجيب رئيس الجمهورية واستئثاره بالسلطة ، فنصحه الخبير الأمريكى فى الدعاية والإعلام بأن

---

(١) محمود عبد الحليم جـ ٢ صـ (٧٣) وما بعدها .

(٢) الجابـرى صـ (١٧٩) . (٣) كوبلانـد صـ (٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(٤) الجابـرى صـ (٢٠٠) .. وللأسف الشديد تتكرر نفس المأساة اليوم فى الجزائر فالقضاء على الاتجاه الإسلامى هناك مرهون بالمساعدات الاقتصادية . وفي مناطق أخرى من العالم الإسلامى تتم نفس المؤامرة على الإسلام .

يختلق محاولة لإطلاق الرصاص عليه ونجاته منها ، فإن هذا الحادث بمنطق العاطفة والشعور الشعبى لابد أن يزيد من شعبية عبد الناصر .

وهنا أراد عبد الناصر أن يضرب عصفورين بحجر واحد :

١ – يتخلص من جماعة الإخوان المسلمين .

٢ – يزيد من شعبيته عند الناس .

فنقض ما عاهد الله عليه ، ونكث بوعده واخترع ما عرف بحادث المنشية حيث ادعى أن أحد الإخوان المسلمين قد أطلق عليه الرصاص وحاول اغتياله ، وبناءً عليه أصدر الأوامر باعتقال الجماعة ، وأعدم زعماءهم ظلما وبهتانا ، فأعدم ستة من خيرة الرجال ومنهم الشيخ محمد فرغلى والمستشار عبد القادر عودة ، وإبراهيم الطيب ، وهنداوى دوير المحاميان كما أعدم يوسف طلعت ومحمود عبد اللطيف .

وفى سنة ١٩٦٥ وجه ضربة ثانية إلى جماعة الإخوان المسلمين حيث أعدم عددا من الزعماء الجدد وعلى رأسهم شهيد الإسلام والمفكر العظيم « سيد قطب » « وعبد الفتاح إسماعيل » « ويوسف هواش » ، وكانت الضربة الثانية بتوجيه من روسيا ، لقد أعلن عنها عبد الناصر أثناء زيارته للاتحاد السوفيتى[١] ، ثم انتهى حكم عبد الناصر ، وظهر السادات على المسرح فأفرج عن المعتقلين بهدف وقوفهم أمام التيار الماركسى فى مصر ، وفعلا ظهرت الجماعات الإسلامية التى أشعرت المسلمين بالإسلام مرة ثانية بعد أن أماته عبد الناصر ونظامه الماركسى ، إلا أن هذه الجماعات قد خرجت عن المدى الذى قرره السادات وهو الوقوف أمام التيار الماركسى ، فقد بدأت هذه الجماعات تطلب منه أن يحكم بالشريعة الإسلامية كما انتقدته وخطأته فى استسلامه لليهود وتعاونه معهم ، مما جعل اليهود يدفعونه إلى القضاء عليهم .

فأعدم جماعة صالح سرية ، ثم أعدم جماعة شكرى مصطفى ، وأخيراً اعتقل كل جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية وأغلق جريدة الدعوة مما ترتب عليه قتله على يد جماعة الجهاد الإسلامية .

وبعد وصول الرئيس مبارك إلى كرسى الحكم أفرج عن جماعة الإخوان المسلمين

---

(١) أحمد رائف – صفحات من تاريخ الإخوان صـ (٩٦) .

والجماعات الإسلامية اللهم إلا الذين أدينوا فى قضايا جنائية ، كما سمح لإحدى المجلات الإسلامية بالظهور وهى مجلة الاعتصام .

وإن كانت الاتجاهات الإسلامية تشكر للسيد الرئيس هذا العمل إلا أنها تطالب بالمزيد من الحريات ، وبتكثيف الجهود من أجل العودة للإسلام كنظام شامل خاصة وأن الإخوان المسلمين يدينون أعمال الإرهاب ويستنكرونها ويعترفون بشرعية النظام القائم بدليل مشاركتهم فى مؤسساته التشريعية مثل مجلس الشعب والشورى ، مما يؤكد أنهم لا صلة لهم بأعمال العنف التى تتم فى مصر ، ونرجو من السلطة القائمة ألا تسير وراء الشيوعيين والعلمانيين الذين يحاولون الوقيعة بين الإخوان وبين الحكومة .

وما حدث فى مصر للإخوان المسلمين حدث لكل الجماعات الإسلامية فى أنحاء العالم . ففى الهند قضى الاستعمار الإنجليزى على حركة المجاهد « أحمد عرفان » ، وفى إيران استطاعوا القضاء على جماعة « نواب صفوى الإسلامية » .

وفى سوريا قامت الحكومة هناك بالقضاء على جماعة الإخوان واستعملوا معهم أبشع الوسائل حتى أنهم دمروا مدينة حماة معقل الإخوان المسلمين ، وفى المغرب وتونس ، والجزائر تدبر للإخوان المسلمين المؤامرات ويزج بهم فى السجون والمعتقلات بلا جريمة ولا ذنب اللهم إلا أنهم رضوا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولاً ، وهكذا يتضح لنا أن المخطط الموضوع للقضاء على الاتجاهات الإسلامية ينفذ بدقة وإتقان فى أنحاء العالم الإسلامى ، وما نريد أن نلفت النظر إليه هو أن القضاء على الاتجاهات الإسلامية كان بتدبير وتخطيط القوى المعادية وهى :

- المخابرات المركزية الأمريكية .
- الشيوعية العالمية .
- الصهيونية .

وعلى من يريد التأكد من هذه الحقائق أن يراجع كتاب « دعاة لا بغاة » الذي نشرت فيه الوثائق السرية لضرب الحركة الإسلامية والتى تمت بالاتفاق بين (ريتشارد ميتشيل) رئيس هيئة الخدمة السرية بالمخابرات المركزية الأمريكية .

ومساعده الصهيونى (بيجن) للشئون الإسلامية وبعض الشخصيات المصرية[1] .

---

(١) دعاة لا بغاة صـ (١٦٠) وما بعدها .

□ نتائج اضطهاد الحركات الإسلامية □

كان لضرب الحركات الإسلامية كثيراً من النتائج الخطيرة ومنها :

١ - انتشار الشيوعية فى بعض بلدان العالم الإسلامى بعد أن انحسرت الاتجاهات الإسلامية ، ذلك أن الشيوعية لا يمكن أن تقوم مع وجود الحركات الإسلامية[١] وأكبر دليل على ذلك ما نشاهده الآن فى مصر حيث عادت سيطرة الشيوعيين على أجهزة الإعلام ، وعلى الصحف القومية التى فتحت الباب على مصرعيه للمفكرين الحمر لكى ينفثوا سمومهم وينفسوا عن أحقادهم على الإسلام ودقق على سبيل المثال فيما يكتبه لطفى الخولى ، ومحمود السعدنى ومحمود أمين العالم ، وصلاح حافظ ، وصلاح منتصر ، وسعيد سنبل وغيرهم من الذين كشفوا عن وجوهم القبيحة تجاه الإسلام بعد أن انحسر المد الإسلامى فى مصر .

٢ - الكبت الذى أصاب بعض الشباب لإحساسه بأن الحكومات الإسلامية تضطهد الإسلام والدعاة إليه وتحجر عليهم ، بينما تفسح المجال لحركات الشيوعيين والعلمانيين والماسونيين وغيرهم من دعاة الفكر المعادى للإسلام .

٣ - ظهور بعض الجماعات الإسلامية المتشددة فى منهجها وفكرها بسبب ما أصابهم من التعذيب والإرهاق فى سجون عبد الناصر والسادات[٢] .

إذن فما هو الحل ؟

لن ينتهى الصراع بين الحكومات الإسلامية وبين الحركات الإسلامية ، ذلك أن العقائد لا تموت ، والإيمان الحقيقى لا يمكن القضاء عليه بالحديد والنار ، فهو محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[٣] . ومن هنا فإن أساليب القهر والعنف لا تزيد المؤمنين إلا صلابة وقوة وإيماناً ، لأنهم يتقبلون هذا القهر على أنه ابتلاء وزيادة فى ميزان حسناتهم عند الله ،

---

(١) فتحى يكن - مشكلات الدعوة والداعية صـ (٢٣١) .

(٢) راجع على سبيل المثال كتاب المذبحة لمصطفى المصيلحى ، وكتاب أيام من حياتى للمجاهدة زينب الغزالى ، وكتاب صفحات من تاريخ الإخوان لأحمد رائف وغيرها لكى تشاهد ألوان التعذيب التى تقشعر منها الأبدان ، وتشمئز منها النفوس .

(٣) الحجـر [٩] .

حتى أن الواحد منهم كان يساق إلى المشنقه وهو ضاحك مستبشر فرح ؛ بل كان إخوانه يغبطونه ، لأنه نال الشهادة فى سبيل الله .

ومن هنا يقول جون كونى فى مجلة مونيتر الأمريكية : « إن جماعة الإخوان المسلمين محصنة ضد الفناء »[1] ويقول المفكر الغربى (سميث) إن حركة الإخوان سوف تعيش وتستمر رغم سوط الإرهاب والاستبداد[2] .

ومن هنا كان لابد من حل جذرى لهذا الصراع حتى لا تضيع جهود الدول الإسلامية هباءً .

والذى نراه أن هناك واجبات على الشباب المسلم وواجبات على الحكومات الإسلامية .

– أما واجب الشباب المسلم فهو التعقل والاتزان والبعد عن التهور والحماس الزائد ، كما يجب عليهم أن يتبعوا منهج القرآن فى الدعوة وهو الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وتجنب الاصطدام بالحكام ، ويكفيهم تربية أنفسهم وذويهم تربية إسلامية ، ذلك أن الفرد المسلم يخلق الأسرة المسلمة ، والأسرة المسلمة تخلق المجتمع المسلم ، والمجتمع المسلم يلد الحكومة المسلمة ، وكيفما تكونوا يولى عليكم .

أما أن يقف الشباب المسلم أمام التيار وهو أضعف من أن يتحمل قوته ، فذلك مساوى للانتحار ، ذلك أن السياسة لعبة خطيرة ذات أطراف متعددة ، والفوز فيها لا يكون إلا للأقوى خاصة وأن هناك قوى عالمية تقف بحزم أمام العودة إلى الإسلام .

ومن هنا كان على الشباب المسلم أن يعد نفسه أولاً بقوة العقيدة والتنظيم ولا يستعجل النتائج بالأعمال المتهورة ، فلقد ظل الرسول ﷺ فى مكة ثلاث عشرة سنة يربى الشباب على كلمة التوحيد ، ولم يواجه قريشاً بأسلوب القوة العسكرية إلا بعد أن أعد نفسه تماماً لذلك .

فعلى الشباب أن يفهم ذلك وكفاهم ما خسروه من خيرة الرجال ، والعاقل هو الذى يعتبر بحركة التاريخ .

---

(١) الجابرى صـ (٢٠٨) . (٢) أبو الحسن الندوى – الصراع صـ (٣٣٩) .

– أما واجب الحكومات الإسلامية فهو يتلخص فى إعطاء الحرية الكاملة للدعاة إلى الإسلام ، والاهتمام بالدين فى المدارس والجامعات . وتنقية مناهج التعليم مما يتعارض مع الإسلام ، وعلى الحكومات الإسلامية أن تعلم أن حظر النشاط الإسلامى والتضييق عليه هو الذى يدفع الشباب المسلم إلى العمل السرى ، وبالتالى[1] مواجهة الحكومة . وفى النهاية فالخسائر مشتركة والربح لأعداء الإسلام وحدهم .

فهذا الشباب المسلم الذى يقتل كل يوم ويزج به فى المعتقلات فى سوريا والمغرب وتونس والجزائر ومصر وغيرها هو ثروة قومية ينبغى أن تحافظ عليه حكومات هذه الدول ، وأن تفتح معه مجالاً للحوار المتكافىء فقد أثبتت التجارب على مدى التاريخ القديم والحديث أن العقيدة الإسلامية خالدة خلود الدهر ، وأن المؤمن بها بحق لا يثنيه عن إيمانه ما يلقاه فى سبيلها من مظاهر الابتلاءات .

إذاً فالحكومات التى تتبنى طريق العنف إنما تدور فى حلقة مفرغة ، والدليل على ذلك أن المد الإسلامى فى اضطراد مستمر على الرغم من أساليب القهر والعنف .

فلا مفر من الحوار المتكافىء الذى لابد وأن ينتهى بالطرفين عند كلمة سواء فلن تضيع الحقيقة فى مناقشة حرة أبداً ، بل لابد أن تزدهر وتتألق من خلال الحوار الهادىء المتزن ، وبذلك يزول سوء الفهم وتتوحد كلمة الأمة وتتفرغ للبناء والتقدم ومواجهة الأخطار الخارجية .

---

(١) سالم البهنساوى – الحكم وقضية تكفير المسلم صـ (١٤٢) .

الفصل الثالث عشر

□ تكوين الفرق الهدامة المدعية الإسلام □

لم يكتف أعداء الإسلام بمحاولة القضاء على الجماعات الإسلامية الملتزمة التى حملت الفكرة الإسلامية فى صفائها ووضوحها ، وإنما راحوا يخلقون فرقاً وجماعات هدامة نسبوها إلى الإسلام بهدف القضاء عليه من الداخل وبواسطة بعض المنافقين الذين أعلنوا الإسلام وأبطنوا الكفر أو النصرانية أو اليهودية والماسونية .

وهكذا يتجاوز أعداء الإسلام من أسلوب الضرب غير المباشر للعقيدة الإسلامية إلى أسلوب الضرب المباشر .

ولقد كانوا سابقاً يحاولون إقناعنا بنظريات تتعارض فى طبيعتها مع عقيدتنا وتشريعاتنا ، وما جرءوا يوماً أن يقولوا لنا : اتركوا الإسلام ، ولكنهم من خلال هذا الأسلوب الخبيث يقولون بكل وقاحة : اتركوا الإسلام فقد انتهى عهده ، وها هى النبوات الجديدة ، ابحثوا لكم عن نبوة بينها .

فلقد خلق أعداء الإسلام عدداً من الفرق والمذاهب والجماعات المنحرفة مثل القاديانية ، والبهائية والروحية الحديثة وأخيراً الإخوان الجمهوريين والتى تبنت آراء تهدم مبادىء الإسلام من أساسه . وكان الهدف من إنشاء هذه الجماعات .

أولاً : ضرب الإسلام كعقيدة وشريعة وتشكيك المسلمين فى دينهم ، بعد أن حاولوا إبعاده من مجال التطبيق .

ثانياً : أن تساعدهم هذه الفرق على إسقاط شريعة الجهاد التى أقلقت مضاجع المستعمرين ، وذلك ضماناً لاستمرار احتلالهم لبلدان العالم الإسلامى .

ثالثاً : أن تساعدهم على إشاعة الفرقة الفكرية بين المسلمين وشغلهم بالرد على بعضهم ، واستنفاد قوتهم فى الجدل والمناقشات .

رابعاً : أن تساعدهم على نشر عقائدهم الباطلة ، فقد تبنت هذه الجماعات كثيراً من عقائد النصارى واليهود والماركسيين وبذلك تستخدم هذه الجماعات كمدارس تبشيرية جديدة داخل العالم الإسلامي .

خامساً : أن تعمل هذه الفرق وخصوصا البهائية كجناح آخر للحركة الماسونية الصهيونية التى تحاول تحقيق السيطرة العالمية .

ومن هنا جاءت مبادىء هذه الفرق متفقة تماماً مع أغراض أعداء الإسلام وسوف نبدأ بأحدث الفرق التى كونها أعداء الإسلام فى السودان وهى فرقة (الإخوان الجمهوريين) والتى أسسها مضلل يدعى : (محمود محمد طه) والذى استطاع أن يضلل عدداً كبيراً من الأخوة السودانيين على مدى ثلاثين سنة إلى أن حاكمته أخيراً حكومة السودان الإسلامية وحكمت عليه (بالإعدام) بعد أن ناقشته فى فكره فتبين لها أنه كافر مرتد عن الإسلام حيث ادعى النبوة والرسالة ، وأنكر عقيدة ختم النبوة ، بل ادعى أن الإله قد تجسد فى شخصه . وقد أودع هذه الأفكار كتابين من كتبه هما (أدب السالك على طرق محمد) وكتاب (الرسالة الثانية) .

ومما يستلفت الانتباه أن هذا المضلل لم يأت بجديد فى فكره وعقائده المضللة ، بل كان يردد نفس أفكار (غلام أحمد) مؤسس القاديانية و(ميرزا على محمد الشيرازى) مؤسس البهائية ، مما يدل على أن المؤامرة على الإسلام ما تزال مستمرة ، وأنه كلما ماتت فرقة من هذه الفرق التى يؤسسها أعداء الإسلام ، أنشئوا فرقة جديدة تحاول أن تبعث من جديد مبادىء الفرق الهدامة وهذا ما سوف يتضح حينما نتعرض لمبادىء (محمود محمد طه) .

قامت هذه الجماعة الجديدة على أساس من المبادىء والعقائد التالية :

١ – أن رسالة محمد ﷺ ليست دائمة ، وإنما هى رسالة وقتية ، لها وقت تنتهى فيه وهو القرن العشرين ، وبعد ذلك سوف يأتى رسول جديد برسالة جديدة .

٢ – أن العقائد والشرائع والشعائر التعبدية الإسلامية لم تعد صالحة للناس فى هذا العصر .

٣ – فالاعتقاد القديم بأن الإله واحد لا شريك له ومنزه عن صفات البشر وتصورات البشر أصبح باطلاً والعقيدة الجديدة هى أن الله سبحانه وتعالى ليس إلا مظهراً ينعكس فى شخصية من الشخصيات ، لأن الله سبحانه وتعالى له أسماء وله صفات ، ولكن هذه الأسماء والصفات لا يمكن أن يشار بها إلى الله لأن الله بمعزل عن الإشارة فإذن هى للإنسان الكامل وهذا الإنسان الكامل جمهورى هو الله فى تجسيد (وهو محمود محمد طه) الذى ادعى أنه المسيح المحمدى صاحب

- وأخذ من القاديانية فكرة عدم ختم النبوة وعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر وهنا نجد أنفسنا أمام مؤامرة متعددة الأطراف على الإسلام (شيوعية ، يهودية ، نصرانية) وهى مؤامرة خطيرة لأنها استهدفت اجتذاذ الإسلام من جذوره كعقيدة وشريعة وشعائر وعبادات وهذا ما سوف يزداد وضوحاً حينما نعرض للبهائية والقاديانية فيما يأتى :

□ القاديانية □

مؤسسها هو « ميرزا غلام أحمد » الذى نشأ فى مدينة (قاديان) بالهند فى بؤرة من الخيانة ، فأبوه كان عميلاً للإنجليز ومعاوناً لهم كما يقول أحمد نفسه : « وقد قدم والدى فرقة مؤلفة من خمسين فارسا لمساعدة الحكومة الإنجليزية فى ثورة سنة ١٨٥٧ ، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة .

وأخوه كان جندياً يخدم فى صفوف الإنجليز ضد المسلمين « وكان أخى الأكبر (غلام قادر) بجوار الإنجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة[١] وقد اعترف أحد قادة الإنجليز المدعو (نكلسون) بمدى إخلاص أسرة غلام أحمد لهم فقال : « إن فى قاديان تسكن هذه الأسرة التى وجدنا فيها دون جميع الأسر الوفاء للإنجليز »[٢] . وهكذا ينشأ مؤسس القاديانية فى هذه البؤرة العفنة ، وحينما يكبر يرسله والده إلى البعثات التبشيرية لكى يتتلمذ على يديها ، وبعد أن يتم تعليمه يعمل فى خدمة هذه البعثات التبشيرية .

وقد توسمت هذه البعثات فى ميرزا غلام أحمد شخصاً تجعله مخلب قط بالنسبة لسياستها التبشيرية ، فجعلت منه شخصية محبوبة فى محيط المسلمين حتى يلتفوا حوله[٣] ويتلقوا منه توجيهاته ، وبذلك يضمنون أن يكون شأن توجيه المسلمين بأيديهم هم ، لأنه مجرد صنيعة لهم . خصوصاً وأن الجماعات الإسلامية الحقيقية

---

(١) راجع صـ (٤١) وما بعدها من كتاب القاديانية د . حسن عيسى .

(٢) السابق صـ (٣٥) .

(٣) د . أحمد عون - القاديانية الخطر الذى يهدد الإسلام صـ (٢٥) .

المقام المحمود ، ومالك يوم الدين ، وحينما يصل إلى هذا المستوى سوف يتحقق قول الله تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ .

ومن هنا (فالإنسان الكامل) هو مالك الملك وعند ظهوره يتحقق لمن يؤمن به الجنة الموعودة .

ولذلك لا داعى للاعتقاد فى جنة أو نار بعد الموت فالجنة التى وعد بها – القرآن لا وجود لها فى الآخرة وإنما هى متحققة فى الدنيا لمن يتبع محمود محمد طه وينضم إلى حزب (الإخوان الجمهوريين) .

– لا داعى لعقيدة الحساب والجزاء والنفخ فى الصور كما قال القرآن ، فالنفخ فى الصور معناه مجىء الكلام إليه عن طريق إسرافيل الذى ينفخ فى روحه وينقل إليه وحى السماء .

٤ – أما عن تشريعات الإسلام من حدود وأنظمة وقوانين فلم تعد صالحة لهذا العصر وإنما ينبغى أن يأتى تشريع جديد يلائم حال الناس ، وصاحب هذا التشريع المرتقب هو (محمود محمد طه) .

٥ – إن شعائر الإسلام التعبدية من صلاة وزكاة وصيام وحج كما وصفها محمد ﷺ وكما حدد مواصفاتها لا داعى لها فى هذا العصر ، ومن هنا أتى هذا الدجال بمفاهيم جديدة لهذه الشعائر فالصلاة لا يلزم أن تكون بالركوع والسجود ، والزكاة لا يلزم أن تكون بنفس المقادير والشروط التى حددها رسول الله ﷺ وهكذا سائر الشعائر لا داعى لها بهذه الصورة الإسلامية .

هنا نجد أنفسنا أمام خليط من العقائد والمذاهب المضادة للإسلام .

– فقد أخذ من الشيوعية فكرة إنكار الإله الغير محسوس وإنكار الغيبيات حين ادعى أن الإله لا يمكن أن يوصف بما وصف به نفسه .

– وأخذ من النصرانية فكرة تجسيد الإله حين ادعى أن الإله قد حل وتجسد وظهر فى صورة عيسى .

– وأخذ من اليهود فكرة إنكار مراحل ما بعد الموت والادعاء بأن الجنة والنار لا وجود لها إلا فى الدنيا وتفسيرها تفسيراً مادياً بحتا .

هناك قد أمرت الناس بالجهاد واعتبرت الهند دار حرب ، وقد تولى قيادة هذه الجماعات شاه ولى الله الدهلوى وابنه عبد العزيز وأحمد بن عرفان الذى أذاق الإنجليز الأَمَرَّين .

ومن هنا دفع الإنجليز بصنيعتهم (غلام أحمد) من أجل مواجهة الحركات الإسلامية الصحيحة ، فكون الجماعة القاديانية ، ويعبر نهرو الزعيم الهندى عن مدى الصلة بين الإنجليز وبين جماعة القاديانية بقوله : « إذا أردنا أن نضعف قوة بريطانيا علينا أن نضعف الجماعة القاديانية »[١] . ذلك أن مبادىء وعقائد القاديانية هى نفسها أحلام وآمال أعداء الإسلام وإليك بعضاً من هذه المبادىء .

مبادىء القاديانية :

١ - إسقاط شريعة الجهاد فى سبيل الله

من المعروف أن الجهاد فى سبيل الله فرض أساسى فى الإسلام وماض إلى يوم القيامة لا يسقط مهما كان السبب ، وقد ذاق الاستعمار الإنجليزى فى الهند من المجاهدين الأَمَرَّين ، فلقد قام العلماء المسلمون بزعامة (عبد العزيز الدهلوى) بدفع الناس إلى الجهاد فى سبيل الله وكونوا جيشاً كبيراً قاده الشهيد إسماعيل ، ووقعت حرب دامية بين المسلمين وأعدائهم من الإنجليز ، وفتحوا مدناً كثيرة رفعوا فيها راية الإسلام[٢] .

من أجل هذا دفع الإنجليز بمؤسس القاديانية إلى الإفتاء بإسقاط شريعة الجهاد ، ووجوب محبة الإنجليز ومسالمتهم .

- أما عن إسقاط الجهاد فقد قال فيه هذا الدجال : « لا جهاد فى الإسلام ولا تسفك دماء المستعمرين الإنجليز ، وأعلن بأن على المسلمين أن يضحوا بأنفسهم لحماية الوجود البريطانى[٣] .

وقال : « لقد وضع الجهاد بالسيف منذ اليوم بأمر الله ، فمن رفع السيف بعد هذا على الكفار مسمياً نفسه غازياً فقد عصى »[٤] .

---

(١) السابق صـ (١٠١) .

(٢) أنور الجندى - الفكر الإسلامى صـ (٥٥٧) .

(٣) د . أحمد عون صـ (٤٣) .

(٤) د . حسن عيسى صـ (٩٥) .

ويقول « أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعى وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد لأنه يلزم من الإيمان بأنى مسيح أو مهدى إنكار الجهاد »[1] .

وفى الدعوة إلى محبة الإنجليز وطاعتهم يقول : « إن دينى الذى أنا أبديه – للناس مرة بعد مرة هو أن الإسلام منقسم إلى قسمين : الأول أن نطيع الله تعالى والثانى أن نطيع الحكومة التى أقامت الأمن وأظلتنا بظلها ، وحمتنا من الظالمين ، وهذه الحكومة هى الحكومة البريطانية[2] . ومن هنا كان التجسس للإنجليز من أشرف الأعمال عند القاديانيين ومن يموت بسبب ذلك يعتبرونه شهيداً[3] .

٢ – رفض عقيدة ختم النبوة .

لا يعترف القاديانيون بعقيدة أن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، والمعروف أن هذه العقيدة من العقائد الأساسية فى الإسلام نص عليها القرآن ونص عليها الحديث الشريف وهى على حد تعبير محمد إقبال – الحارسة لكيان المجتمع الإسلامى ووحدة الأمة الإسلامية .

ومن هنا كان الخروج على هذه العقيدة هدماً للإسلام وصرفاً للمسلمين عنه إلا أن القاديانية ادعت أن ميرزا غلام أحمد نبى ومن لم يتبعه فهو كافر ، وبذلك يقيم نبوته على أنقاض نبوة محمد ﷺ[4] .

٣ – أن الإسلام لم يعد صالحاً للعصر الحديث :

فإن القرآن قد نزل فى زمن يختلف كثيراً عن هذا العصر ، ومن هنا احتاج الإسلام إلى تجديد وتفسير جديد ونبوة جديدة فغلام أحمد هو هذا المجدد الذى سيفسر القرآن على هواه بوحيه الشيطانى[5] .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى – دفاع عن العقيدة والشريعة صـ (٢٤٨) .

(٢) د . أحمد عون صـ (٩٠) .

(٣) السابق صـ (٣٧) .

(٤) حسن عيسى عبد الظاهر صـ (١٣١) .

(٥) راجع صـ (١٩) من الإسلام والعصر الحديث – وحيد الدين خان .

٤ - أن عيسى ابن مريم :

قد مات على الأرض ، ولم يرفع إلى السماء ، وأنه قد هرب من اضطهاد اليهود وعاش فى الهند ومات وقبر فيها[1] والهدف من إشاعة هذه العقيدة أن يمهد لنبوته هو لأنه ما دام المسيح قد توفى ، إذاً فلن ينزل على الأرض كما أخبر القرآن ونصت السنة المطهرة وهذا ما قاله هذا المضلل فقد قال : بما أن المسيح قد توفى فإننى ذلك الرجل الموعود الذى بشر به الرسول لإصلاح الخلق ، أى أنه المسيح بدلاً من عيسى عليه السلام .

ويلاحظ أن المعارضين لعقيدة رفع عيسى ونزوله فى هذه الأيام يأخذون نفس أدلة ميرزا غلام أحمد ويرددونها بدون فهم كالببغاوات ، فهل هى مؤامرة جديدة لإحياء مبادىء القاديانية فى مصر ؟ ربما .

٥ - إنكـــار الجـــن :

الإيمان بوجود الجن من صميم الإيمان بالغيبيات التى أخبر بها الرسول ﷺ ، ونص عليها القرآن الكريم ، حتى وردت سورة فى القرآن باسم (سورة الجن) .

ولكن أعداء الإسلام يريدون القضاء عليه بأى ثمن ، فدفعوا بهذا المضلل إلى القول بإنكار الجن وتفسير الآيات التى وردت فى شأنه تفسيراً متعسفاً ، والغريب أن بعض منحرفى الفكر فى هذه الأيام يروجون لعقيدة إنكار الجن ويفسرون القرآن الكريم بنفس تفسير هذا المضلل .

٦ - إسـقاط فريضـة الحـج :

فقد ادعى (غلام أحمد) أن الحج لا يكون إلى مكة وإنما إلى (قاديان) وبذلك يحقق أغراض أعداء الإسلام فى صرف المسلمين عن الكعبة ، وأخيراً فإن الإفطار فى نهار رمضان كان من صفات هذا النبى الجديد .

هذه هى مبادىء القاديانية التى حاول أعداء الإسلام نشرها فى كل مكان ، فقد أنشئوا لهم مراكز تبشير فى كل دول أوربا وإفريقيا ، وأمدوهم بالأموال والمساعدات اللازمة لنشر عقيدتهم الباطلة من أجل هدم الإسلام .

(١) د . أحمد عـون صـ (٢٣) .

وفى إسرائيل أنشأ دعاة القاديانية مدارس ومراكز تبشير ، وتعاونهم الحكومة الإسرائيلية ، ولهم مكانة محترمة لدى كل الأوساط الرسمية والشعبية هناك[1] .

وهذا أعظم دليل على أن هذه الجماعة نصرانية يهودية أكثر منها إسلامية ، بل إنها لا تمت إلى الإسلام بصلة ، والخطير فى الأمر أنها تقدم للناس باسم الإسلام .

وقد حاول أعداء الإسلام نشر هذه الدعوة فى مصر ، ففي عام ١٩٤٠ بعثوا بطالبين ، وألحقوهما بكلية أصول الدين - حماها الله ورعاها - وقد حاول هذان الطالبان نشر كتب تبشر بتعاليم القاديانية الأحمدية فلما علم شيخ الجامع الأزهر بأمرهما حقق معهما بواسطة لجنة من كبار العلماء برئاسة الشيخ عبد المجيد اللبان - عميد كلية أصول الدين وقتها - وقررت اللجنة أن القاديانيين كافرون واستبعدت أتباعها من الأزهر الشريف[2] .

□ البهائيــة □

إذا كانت القاديانية قد نشأت فى ظل الاستعمار الإنجليزى فى الهند وسخرت نفسها لخدمة أغراضه ضد المسلمين ، فإن البهائية قد نشأت فى ظل الصهيونية العالمية وأحضان الماسونية ، من أجل مخططات اليهود .

وقد ظهرت هذه الفرقة على يد « ميرزا على محمد الشيرازى » المولود بشيراز سنة ١٨١٩ ، وقد تتلمذ على أيدى اثنين من دعاة الفكر اليهودى ، وقد أوهماه بأنه سيكون له شأن . وأدخلا فى روعه أنه سيصبح منقذاً للإنسانية ، وراحا يقدمان له أفكارا جديدة ، سرعان ما اعتقدها ، وروج لها[3] وقد ادعى أنه الباب أى الواسطة بين الناس وبين المهدى المنتظر ، وفى هذه المرحلة سميت جماعته بالبابية ثم تطور قليلاً فادعى أنه المهدى المنتظر وأنه صاحب نبوة جديدة فقتلته الحكومة الإيرانية لجنونه وفتنته الناس فى دينهم .

وتولى أمر الجماعة من بعده « مرزا حسين على » ولم يكتف هذا الكذاب بادعاء النبوة كصاحبه ، بل ادعى أنه مظهر للألوهية التى تجلت وظهرت فى جميع الأنبياء

---

(١) الشيخ محمد الغزالى - حصاد الغرور صـ (١٧٤) .

(٢) د . أحمد عون صـ (٥٣) .

(٣) د . أحمد شلبى - اليهودية صـ (٣٥٠) .

من آدم إلى محمد . من هنا ادعى الألوهية وسمى نفسه بهاء الله - تماماً كما ادعى النصارى أن الإله قد حل فى عيسى - وفى هذه المرحلة سميت جماعته (بالبهائية) وقد طردته الحكومة الإيرانية خارج البلاد ، فاستقبله الإنجليز خير استقبال ، وأسكنوه فى مدينة عكا بفلسطين ، ووضعوا أتباعه فى المناصب الحساسة فى حكومة الانتداب فى فلسطين . ومن هنا قام البهائيون بالتمهيد لقيام دولة اليهود فى فلسطين ومكنوهم من رقاب المسلمين هناك[1] . ومات حسين فتولى بعده ابنه (عباس) الملقب « بعبد البهاء » فروجت له أجهزة الإعلام الغربية وعقدت له المؤتمرات الصحفية التى كشف فيها عن هويته (الصليبية اليهودية) فراح يمجد الصهيونية والاستعمار ، وفى أثناء الحرب العالمية الأولى راح يدعو للحلفاء ضد الخلافة الإسلامية[2] .

وقد كشفت البهائية عن صلتها الجذرية بالصهيونية العالمية عندما عقد فى إسرائيل سنة ١٩٦٨ المؤتمر البهائى العالمى ، فقد كانت مقررات هذا المؤتمر هي بعينها أهداف الماسونية والصهيونية[3] . وحينما مات (عباس) سنة ١٩٢١ لم يسر فى جنازته إلا الحاكم الإنجليزى الصهيونى لمدينة القدس ، ومعه عدد من اليهود[4] .

وقد تولى أمر الجماعة من بعده ابن ابنته « شوقى ربانى » وبعد وفاته تولى أمرها صهيونى أمريكى هو « ميسون » اختير لكى يكون رئيساً للطائفة البهائية فى العالم[5] .

وهكذا يتأكد لنا أن البهائية لم تكن أكثر من خلية من خلايا الماسونية التى تعمل على هدم الإسلام ، وهذا ما سوف يتضح من مبادئهم .

مبادئ البهائية :

١ - أن جميع الأديان صحيحة ، والتوراة والإنجيل غير محرفة وهما مصدر توجيه بجانب القرآن ، ولذلك لابد من توحيد كل الأديان فى دين واحد هو البهائية التى نسخت الإسلام وكل الأديان السابقة .

---

(١) محمود عبد الحليم - الإخوان المسلمون جـ ١ صـ (٨٦) .

(٢) د . عفاف صبرة - المستشرقون صـ (٢٤٥) .

(٣) أنور الجندى - الفكر الإسلامى صـ (٥٥٩) .

(٤) الشيخ محمد الغزالى دفاع عن العقيدة والشريعة صـ (٢٣٤) .

(٥) اليهودية د . أحمد شلبى صـ (٣٥٣) .

ومن المعروف أن المساواة بين جميع الأديان هو مبدأ الماسونية والروتارى والليونز اليهودى .

٢ – إنكار عقيدة ختم النبوة ، والادعاء أنها مفتوحة للمضللين .

٣ – إنكار حقائق العقيدة الإسلامية – من البعث والحشر والإيمان باليوم الآخر وتأويل هذه الحقائق تأويلاً يهودياً ، فالقيامة هى ظهور البهاء والجنة هى اتباعه والنار هى الكفر به إلى غير ذلك من الأباطيل ، بل إنهم رفضوا حتى عقيدة الألوهية بالمفهوم الإسلامى .

٤ – رفض حقائق الشريعة والعبادات ، من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، والحدود والقصاص ، وسائر ما ورد فى الكتاب والسنة .

والصلاة عندهم ، تسع ركعات عند الزوال ، وفى البكور والآصال ، القبلة عندهم (عكا)[1] والصلاة الجماعة ممنوعة إلا على الميت ، والحج لا يكون إلى مكة بل إلى شيراز مولد مؤسس الفرقة أو إلى عكا التى قبر فيها (حسين) ، وهم بذلك يحققون حلم الصليبى الحاقد (جلادستون) الذى قال : « لابد من تحويل المسلمين عن صلاة الجماعة وزيارة الكعبة والاتجاه إليها »[2] .

وأما الصيام فهو تسعة عشر يوماً فقط .

٥ – ومن مبادئهم محاربة اللغة العربية ، واستبدال أخرى بها أطلقوا عليها اسم اللغة (النورانية)[3] . وكان الهدف من هذه الدعوة أن تنقطع صلة المسلمين بكتابهم وسنتهم وتراثهم المكتوب باللغة العربية وقد سبق أن بينا أن قتل اللغة العربية كان حلماً من أحلام المستشرقين .

٦ – رفض التشريعات الإسلامية فى مجال الأسرة ، وتحريم تعدد الزوجات ، كما قرروا المساواة بين الرجل والمرأة فى الميراث[4] .

٧ – رفض الحدود الإسلامية ، والتعويض عنها بالمال .

---

(١) ذيل الملل والنحل صـ (٥٢) .

(٢) راجع صـ (١٠) من الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار .

(٣) راجع صـ (٢١) من البهائية – محب الدين الخطيب .

(٤) ذيل الملل والنحل صـ (٥٣) .

٨ – أن المسيح ابن مريم إله ، وقد صلب على الصليب ، كما يؤمنون بالحلول والتناسخ الذى يؤمن به النصارى فيقولون إن الله عز وجل قد حل فى البهاء ، وأن روحه قد انتقلت إلى ابنه عباس من بعده ، ومنه إلى ابن بنته (شوقى) ومعلوم أن هذه كلها عقائد النصارى .

ومن مبادئهم أيضاً بطلان الجهاد فى سبيل الله ، وقد ضبط تنظيم بهائى فى مصر سنة ١٩٧٢ وتبين من التحقيقات الرسمية التى أجريت مع أحد أتباعهم قوله : « أنه لو أجبر على حمل السلاح فى مواجهة إسرائيل ، لأطلقه فى الفضاء »[١] .

وهكذا نجد أنفسنا أمام فرقة أخذت من كل العقائد يهودية كانت أو نصرانية أو بوذية وماسونية – اللهم إلا الإسلام ومع ذلك يروج لها أعداء الإسلام على أنها فرقة إسلامية ، بل أنها فى نظرهم هى الإسلام الصحيح ، وبذلك يضرب الإسلام بواسطة من ينتسبون إليه فى الظاهر والغريب فى الأمر أن التنظيم البهائى الذى قبض عليه أخيراً فى مصر بزعامة (بيكار) قد حكم القضاء المصرى ببراءته رغم فتوى علماء الإسلام جميعا بتكفيرهم وردتهم ، ولو أن هؤلاء قد تهجموا على سياسة الدولة أو حاكمها لعاقبهم القضاء أشد العقوبة . أما أن يتهجموا على العقيدة الإسلامية ، فذلك أمر هين !!

لأن حرية الفكر مكفولة إذا كانت ضد الإسلام !!

□ المدارس والجمعيات الروحية □

هى أيضاً كسابقتها فرقة ضالة مضلة تلقفتها الصهيونية العالمية ، وأمدتها بالمال اللازم لنشر مبادئها التى تحاول هدم الإسلام بصفة خاصة ، والأديان بصفة عامة . ولذلك نجد أن من مبادىء هذه الجمعيات :

« وحدة الوجود ، وتناسخ الأرواح ، وخلود الحياة ، فلا قيامة ولا بعث ولا حساب ولا عقاب كما بشر القرآن الكريم ، كما أنهم يقولون باستمرار الوحى والنبوات ، وبذلك لا يكون هناك للإسلام داع .

وفى الوقت ذاته يمجدون الوثنية ، والنِّحَل القديمة ، ويشيدون ببعض آلهة الفراعنة مثل « رع » ويطلقون على محفلهم اسم (جمعية الأهرام) .

---

(١) الجندى – الفكر الإسلامى صـ (٥٥٢) .

ومن أخطر الدعاة لهذه الجمعية : على عبد الجليل راضى الذى يترأس هذه الجمعية ، وفهمى أبو الخير ، والدكتور رؤوف عبيد النصرانى ، وعبد العزيز جادو وغيرهم من الذين يحملون على عاتقهم تحقيق مبادىء التلمود اليهودى وتحطيم الدين الإسلامى . فهذه المدارس على حد تعبير الأستاذ الراجحى : « مخطط إسرائيلى واضح الهدف والأسلوب »[1] .

وأخيراً فإن أسلوب ضرب الإسلام بواسطة بعض المنتسبين إلى الإسلام من أخطر الأساليب التى ينبغى أن يلتفت إليها المسلمون لأنه أسلوب مخادع .

وقد دأبت بعض الحكومات فى العالم الإسلامى فى السنوات الأخيرة على خلق وتكوين بعض الجماعات الإسلامية التى تتبنى أفكارا منحرفة وشاذه وساذجة ، وذلك من أجل عرقلة المسيرة الصحيحة للجماعات الإسلامية المعتدلة وحتى ينشغل المسلمون بعضهم ببعض ويخلو الجو لأعدائهم .

ذلك أن ما تدعيه بعض الجماعات التى ظهرت فى هذه الأيام لا يمكن أن يكون من الإسلام فى شىء .

– فما تدعيه جماعة الفرماوية من التواكل المقيت لا يمكن أن يكون من الإسلام ؛ بل هو من تخطيط أعداء الإسلام لنشر هذا الفكر المسموم .

– وما تدعيه جماعة بين الخشبتين من السذاجة والعبط لا يمكن أن يكون من الإسلام .

وبهذا نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون إن هذه الجماعات دخيلة على الإسلام أقامتها جهات معينة ومعروفة لتشويه صورة الإسلام ولتمزيق الحركة الإسلامية .

---

(١) السابق صـ (٥٦١) .

الفصل الرابع عشر
أسلوب المنح والقروض
□ الاستعمار الاقتصادي □

هناك ظاهرة غريبة تسود العالم اليوم ، وهي ظاهرة الخلل فى توزيع الثروة بين الغرب وبين دول العالم الإسلامى فبينما يسكن أوربا شرقا وغربا (ربع سكان العالم) نجد أنها تستأثر بأربعة أخماس دخل العالم من الثروة المالية – أما ثلاثة أرباع العالم بما فيها دول العالم الإسلامى فيعيشون على خمس دخل العالم !!

ولا يمكن تعليل هذه الظاهرة بما يدعيه الأوربيون طبقاً لنظرية التفوق العنصرى والجنسى حيث يزعمون أن الرجل الأبيض يتميز – دائما – بالتفكير العقلى والقدرة على الاختراع والإبداع والذكاء – بينما الرجل الشرقى على نقيض ذلك فهو خامل وغير منتج ولا توجد لديه ملكة التفكير العقلى الكلى ولا القدرة على الابتكار والإبداع ، والواقع أن هذا التعليل الأوربى لظاهرة الخلل فى توزيع الثروة والتقدم الغربي – تعليل باطل ينقضه التاريخ الموثق للحضارة الشرقية بصفة عامة والإسلامية بصفة خاصة .

فلقد ظهرت حضارات متقدمة علميا فى الصين والهند وشمال أفريقيا ومصر قديما – ثم الحضارة الإسلامية فى دول العالم العربى – ظهرت هذه الحضارات قبل الحضارة الأوربية بقرون عدة من خلال نفس العقول الشرقية التى يدعى أنها بسيطة وساذجة ، وغير قادرة على الإبداع .

وأما عن التعليل الصحيح لظاهرة الخلل فى توزيع الثروة بين الشرق والغرب ، فيتمثل فيما يأتى :

لقد كانت الثروة فى الشرق ، وكان التقدم العلمى فى الشرق وكان الأوربيون يعانون من شظف العيش فانطلقوا من بلادهم إلى بلادنا رافعين ألوية الحرب والقتال لأسباب مادية غلفوها بأمور عقدية ، فلقد انبهروا بهذه الحضارات وحاولوا الاستفادة منها ، فانطلقت جيوش إنجلترا لنهب أموال الشرقيين من الصين وحتى الشرق الأوسط وانطلقت معها جيوش فرنسا وإيطاليا وغيرها لامتصاص خيرات المسلمين .

وحينما جاء الصليبيون إلى العالم الإسلامى لإطفاء نور الإسلام ، أعجبوا بالتقدم الحضارى الذى وجدوه عند المسلمين ، بل إنهم أثاروا بالفعل شهية الأوربيين للبضائع الشرقية الفاخرة[1] . مما جعلهم يتجهون إلى استعمار بلدان العالم الإسلامى ونهب خيراته ، وسرقة ثرواته الطبيعية من الذهب والمعادن والبترول التى راح ينقلها إلى أوربا كمواد خام ، ثم يسوق الأيدى العاملة من أبناء أفريقيا السوداء ، ثم يرد المواد الخام بعد تصنيعها لكى يشتريها أبناء العالم الإسلامى مرة ثانية ، وبهذا الأسلوب الماكر تحولت الثروة تلقائيا إلى جيوب أبناء الغرب وافتقرت دول العالم الإسلامى إلى هذا الحد الذى جعلها من دول العالم الثالث .

ويعترف اللورد (كرومر) الذى استعمر مصر وحكمها بين عامى ١٨٨٣ - ١٩٠٧ . بهذه السياسة الهدامة فيقول : « يمكن تلخيص سياسة الحكومة » المصرية فى عهده فيما يلى :

(١) تصدير القطن إلى أوربا .

(٢) استيراد المنسوجات المصنوعة فى الخارج ولا تنوى الحكومة أن تقوم بأى شىء آخر ، ولن تقوم بحماية الصناعة القطنية المحلية .

بل اتجه الاستعمار إلى تخريب الصناعات الوطنية وجرد المسلمين منها بطريقة أو بأخرى ، وهذا ما يعترف به (كرومر) مرة أخرى حين يقول :

« كانت هناك أحياء فى القاهرة تعتبر مراكز فعلية لصناعات متعددة مثل : الغزل والنسيج ، إنتاج الشرائط والصباغة ، وإنتاج الخيام ، والتطريز ، والدباغة وصناعة الأحذية ، وصناعة المجوهرات ، وصناعة النحاس .. إلخ » .

وماذا حدث لهذه الصناعات ؟ يقول اللورد كرومر : لقد حاولنا إخفاءها تماما ونشرنا مكانها مقاهٍ ، ومحلات أوربية حديثة تحوى المستحدثات والموضات بعد أن كانت فى الماضى ورشا صناعية[2] .

---

(١) يقول الكاتبان « وايتنسكى » و « وانينسكى » فى كتابهما « التجارة العالمية والحكومات » إنه عند بدايات فترة التوسع الأوربى .
« كانت أوربا متخلفة عن آسيا فى المهارة الصناعية ، فمقابل الحرير والقطن والسكر والتوابل ، كانت أوربا لا تستطيع إلا تصدير الأسلحة الصغيرة والتى لم تكن أفضل بقدر ملموس من تلك الصناعة فى الشرق ، كان رقى التجارة والمصنوعات اليدوية والإدارة فى الصين ، مقارنة بالمدن الإيطالية ، هو موضوع الروايات الشيقة التى كان يرددها « ماركو بولو » .. كانت قصته فى نهاية القرن الثالث عشر ، ولكن ليس هناك أى إشارة إلى أن أوربا آخذة باللحاق بالصين خلال القرن والنصف قرن التاليين » .
وفى وقت متأخر عن ذلك ، يكتب إمبراطور الصين إلى الملك جورج الثالث : عام ١٧٩٣م :
« كما يمكن لسفيركم أن يرى بنفسه ، فإننا نمتلك كل شىء .. ولا نعطى أى قيمة لما هو غريب أو غير مبدع وحاذق ، وليس أى احتياج أو استخدام لمنتجات بلدك » راجع صـ ٦٠ من صناعة الفقر العالمى .

(٢) راجع صـ (٩٢ ، ٩٣) من صناعة الفقر العالمى .

وهكذا فخلال فترة الاستعمار الغربى لدول العالم الإسلامى نهبت ثروات ، ودمرت صناعات ، وساعد العالم الإسلامى فى تطوير أوربا وغناها بنفس النسبة التى ساهمت بها أوربا فى تأخر دول العالم الإسلامى وإفقارها تقول السيدة (تيريزاهايتر) : « عندما هزمت « شركة الهند الشرقية » البريطانية حكام السنغال المسلمين عام ١٧٥٧ حصلت على المنسوجات المحلية بكل الطرق التى يمكن تصورها من الاحتيال وفرض الغرامات والسجن والضرب »[١] . نعم هذا هو السبب الحقيقى وراء الخلل فى توزيع الثروة العالمية اليوم .

ولقد جاهدت دول العالم الإسلامى من أجل الخروج من مرحلة الاستعمار العسكرى ، ونجحت فى ذلك ، لأنها جاهدت باسم الإسلام ، إلا أنها خرجت وهى منهكة اقتصاديا ومتخلفة على كل المستويات .

وإذا بالدول الاستعمارية تحول أسلوب الاستعمار من الاستعمار العسكرى إلى أسلوب آخر يجعل الدول المتحررة مستعمرة فى الواقع من خلال (الاستعمار الاقتصادى)[٢] ، والذى اخترعوا له كعادتهم أسماء عصرية وبراقة بهدف التمويه والخداع حيث أطلقوا على الاستعمار الجديد اسم « برنامج التعاون الدولى » ، وذلك عن طريق القروض والمساعدات بما يستتبعه ذلك من فوائد وأرباح - التى أسموها - خدمة الديون وكلها أسماء ظاهرها الرحمة والتعاون وباطنها الاستغلال والاستعباد والسرقة .

وقد أنشأت الدول الاستعمارية الكبرى لتنفيذ هذا الأسلوب مؤسسات ادعوا أنها دولية وعالمية ، وهى : البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، ووكالة التنمية الأمريكية[٣] .

وبرنامج الغذاء من أجل السلام ومؤسسة الفاو ومنظمة الأغذية الزراعية وغيرها من المؤسسات الاستعمارية .

---

(١) المرجع السابق صـ (٧٨) .

(٢) راجع صـ (١٢٧) من كتاب - التنمية الاقتصادية فى المنهج الإسلامى للأستاذ - عبد الحق الشكيرى .

(٣) لقد تأسس البنك الدولى وصندوق النقد الدولى بعد الحرب العالمية الثانية لحل مشكلات الدول الغنية - وليس الفقيرة - فصندوق النقد الدولى مسئول عن إقراض الدول التى تعانى عجزاً مؤقتاً فى ميزانيتها وذلك بمدها بقروض قصيرة الأجل - وعالية الفائدة - ولا يهتم بالديون الطويلة الأجل للدول النامية - لأن أرباحها منخفضة .

أما قروض (البنك الدولى) ، فهى مقيدة حتى الآن لدفع أسعار التحويلات الأجنبية عن مشاريع خاصة بالمستثمر الغربى .

□ العوامل التى ساعدت على نجاح أسلوب الاستعمار الاقتصادى □

لقد كانت هناك عدة عوامل ساعدت على نجاح أسلوب الاستعمار الاقتصادى ، ودفعت الدول الإسلامية إلى الخضوع لمتطلباته ومن هذه العوامل :

١ – توسع حكومات الدول الإسلامية والنامية في الإنفاق الحكومى على الأسلحة والإدارة ومشاريع التنمية التى تتجه إليها الدول عادة بعد الاستقلال مباشرة لتعويض مراحل التخلف الاستعمارى السابقة .

كما أن بعض الحكام اتجهوا إلى بناء أمجاد شخصية لهم بإدخال بلادهم فى صراعات ونزاعات بين دول أخرى مما ساهم فى إضعاف اقتصاد بلادهم .

٢ – اتجاه الدول النامية نحو التصنيع ، ومحاولة إحلال السلع المحلية الوطنية محل البضائع المستوردة ، وكان من نتيجة هذه السياسة الاعتماد فى النهاية على الغرب نظراً لتقدمه تكنولوجياً ، وبما أن هذه الدول لا تملك السيولة المالية فإنها مضطرة إلى القروض والديون بما يستتبعها من فوائد وأرباح باهظة .

٣ – خداع الدول الاستعمارية التى راحت تهدد دول العالم الإسلامى بالموت جوعاً وذلك فى محاولة خبيثة لإقناع شعوب العالم النامى بالارتباط الدائم بهم ، حيث صورهم الإعلام الغربى على أنهم طوق النجاة ، وبالتالى فلا مفر من الارتباط بهم والخضوع لهم ، وإلا فالموت جوعاً فى انتظارهم . وفى الحقيقة أن اهتمام الدول الغنية بظاهرة الفقر والجوع فى الدول الفقيرة لم يكن نابعاً من دوافع إنسانية كما صورهم إعلامهم المضلل ؛ بل كان نابعاً من مصلحتهم الخاصة والسيطرة العالمية ، وإيجاد أسواق جديدة لمنتجاتهم وسلعهم الراكدة التى راحو يصدرونها إلى دول العالم الإسلامى تحت عنوان المساعدات .

٤ – تبادل المصالح بين المستعمرين القدامى ، والاستعماريين الجدد (بعض الحكومات المحلية) حيث استطاع الاستعمار الغربى أن يجند بعض العسكريين ويوصلهم إلى كراسى الحكم لحسابه الخاص ، كما استطاع أن يجند طبقة من الصفوة المختارة من أبناء الدول النامية تكون مهمتها الإشراف على هذه المنح والانتفاع من ورائها وتبديدها فيما لا طائل من ورائه .

ومن هنا نلاحظ أن جزءاً كبيراً من هذه القروض يتجه بالدرجة الأولى إلى تصدير الأسلحة والخبرة القمعية التى تثبت أركان الأنظمة المحلية فى دول العالم الثالث وذلك خوفا من تذمر الشعوب وثورتها على الأنظمة المحلية .

وفى هذا تقول « تيريزاهايتر » : « حدث النمو الأساسى فى المساعدات الرسمية الحكومية منذ الحرب العالمية الثانية ، ويمكن أن ينظر إلى ذلك النمو ، وخاصة بعد فقدان المستعمرات كوسيلة للحفاظ على مصالح مشتركة بين الصفوة فى الدول النامية وبين المركز الاستعمارى ، أو كنوع من الرشوة لتلك الصفوة لجعل الأمر مفيداً لها أن تستمر فى التعاون لاستنزاف رأس المال من بلادها »[١] .

وهكذا تستمر اللعبة ، فكما تمت سرقة بلاد العالم الإسلامى فى الماضى علنا بواسطة المستعمرين الغربيين ، فإنه تتم سرقتها الآن سرا من قبل تحالف بين المستعمرين القدامى والاستعماريين الجدد الذين يبيعون شعوبهم لأعدائهم .

٥ – وجود وفرة وفائض كبير فى رؤوس الأموال المنهوبة من العالم الإسلامى .

ذلك أن الدول الاستعمارية وجدت لديها فائضاً كبيراً من رؤوس الأموال لا تجد مجالا لاستثماره مما يؤدى إلى العجز فى ميزان المدفوعات والخسارة فى الأرباح ، وكنتيجة لحرب سنة ١٩٧٣ ونجاح الملك فيصل عليه رحمة الله فى استخدام سلاح البترول ، ارتفعت أسعاره وزادت الموارد البترولية بالنسبة لدول الأوبك وهى بالتالى تصب فى بنوك أمريكا وأوربا ، وهذه البنوك غير قادرة على إقراض هذه الأموال على نطاق كاف فى الدول المتقدمة نفسها بسبب الركود الاقتصادى ومن هنا اتجهت الدول الغربية إلى استثمار فائض رؤوس الأموال فى دول العالم الثالث ، وذلك من خلال مشاريع تعود فوائدها أولا وأخيراً على الدول الدائنة نفسها ، وهكذا ففى بداية السبعينات أقرضت البنوك على نطاق واسع حكومات الدول النامية ، هذه القروض التى تشكل الآن أهم مشكلة فى حياة هذه الدول ، لأنها لم تستفد منها بالقدر الكافى بعد تبديدها فى مشاريع غير منتجة – لكنها مطالبة سنويا بدفع عشرات المليارات من أقوات شعوبها كعوائد وأرباح .

---

(١) المرجع السابق صـ (١٤٥) .

أهداف القروض الأجنبية :

ما الذى تهدف إليه الدول الغربية من إقراض دول العالم الإسلامى ؟ هل هو حب فى المسلمين وسائر البلدان النامية ؟ أم أنه حرص على تحقيق مصالح خاصة بالغرب الرأسمالى ؟

حين توجه هذا السؤال إلى الغربيين يجيبونك على الفور بقولهم :

إنها مساعدات إنسانية لا تهدف إلا إلى مساعدة الفقراء والمحتاجين من أبناء الدول النامية !!

إنها لإنقاذ الذين سيموتون جوعاً !!

هكذا يدعون ولكن الواقع والوثائق تكذبهم ، فهذه المساعدات والمنح لا صلة لها على الإطلاق بالنواحى الإنسانية ، فمثل هذه المشاعر الأخلاقية ساقطة تماما من قاموس الغرب المادى ، وإنما تهدف هذه المساعدات بالدرجة الأولى إلى تحقيق أغراض مادية ، وسياسية ، وعقدية وهذا ما يعترف به إدوارد هيث فى صحيفة التايمز حين يقول : « إن وضع الغذاء العالمى خطير فهناك مؤشرات إلى انخفاض الإنتاج بالنسبة للفرد ، وهناك أعداد ضخمة من سكان العالم الذين يعانون سوء التغذية . إن هذا الوضع يؤثر على الدول الصناعية من ناحيتين على الأقل . فمن الناحية الأولى . يؤدى هذا إلى رفع أسعار الغذاء فى العالم ، ومن ناحية ثانية يؤدى سوء التغذية المزمن حتماً إلى استخدام غير كفء للمصادر ، وإلى إنتاجية أقل باستمرار ، ومن ثم إلى قدرة شرائية أقل ، إن تحسنا فى مستوى التغذية يمكن إذن أن يساهم مساهمة كبيرة فى دفع مسار النشاط الاقتصادى العالمى ، بمثل ما هو حتمية أخلاقية فى حد ذاته »[1] .

وهكذا فمساعدة الدول الفقيرة تهدف إلى دفع الاقتصاد العالمى إلى الأمام – كما أن إطعام الفقراء والمساكين يهدف إلى مساعدتهم على الإنتاج – كما تطعم الحيوان لكى يتمكن من العمل فى الحقل ودر اللبن فى نهاية اليوم ليس إلا .

وحين قام (روبرت ماكنمارا) رئيس البنك الدولى بتكليف « فيلى برانت » مستشار ألمانيا الغربية ١٩٨٠ بكتابة تقرير عن كيفية إصلاح الاقتصاد الغربى – بعد أن مر بفترة

---

(١) صناعة الفقر صـ (٣٤) .

ركود حرجة تسببت فى الكساد . اقترح برانت على الدول الصناعية أن تحول الأموال والمعونات إلى الدول النامية حتى تزداد إمكاناتها الشرائية فتستورد من الدول الصناعية ، وتساهم فى إنعاش الاقتصاد الغربى .

يقول التقرير : « ننسى فى معظم الأحوال أن التجارة بين الشمال والجنوب طريق ذو اتجاهين فإن لم يقم الجنوب بالتصدير إلى الشمال ، فلن يكون فى إمكانه أن يدفع ثمن صادرات الشمال إلى الجنوب . إن الميزان التجارى فى صالح الدول الصناعية بدرجة كبيرة ، وهذا يرجع إلى أنها تبيع منتجاتها المصنعة إلى الدول النامية . إن اعتماد الدول الصناعية على أسواق الجنوب ، اعتماداً له وزنه ، وهو يتزايد »[1] .

وهكذا تكشف هذه الوثائق والاعترافات عن الأغراض الحقيقية للقروض والمساعدات الأجنبية .

وهكذا فالمبادىء الإنسانية ومساعدة المحتاجين هى مجرد ستار للأغراض الحقيقية التى سنفصلها فيما يلى :

١ – إنها تهدف إلى استنفاذ ما تبقى من موارد العالم الإسلامى والقضاء على اقتصاده ، لأن هذه القروض تمثل الوحش الكاسر الذى يمسك برقبة فريسته ولا يتركها إلا حطاما :

يقول اليهود ، وهم الذين يسيطرون على اقتصاد العالم الآن : « ويكفى للتدليل على فراغ عقول الأميين المطلقة البهيمية حقاً ، أنهم حينما اقترضوا المال منا بفائدة خابوا فى إدراك أن كل مبلغ مقترض هكذا مضافاً إليه فائدة لا مفر من أن يخرج من موارد البلاد ، وكان أيسر لهم لو أنهم أخذوا المال من شعبهم مباشرة دون حاجة إلى دفع فائدة ، وهذا يبرهن على عبقريتنا ، وعلى حقيقة أننا الشعب الذى اختاره الله ، إنه من الحنكة والدراية بحيث إننا نعرض مسألة القروض على الأميين فى ضوء يظنون معه أنهم وجدوا فيها الربح أيضاً »[2] .

وبهذا الأسلوب الماكر الذى وضعه اليهود تفلس الدولة وينتهى اقتصادها نهائياً : لأنه كلما حل ميعاد سداد القرض وجدت الحكومة نفسها مضطرة إلى قرض جديد بفوائد

---

(١) المرجع السابق صـ (٣٤) .

(٢) الخطر اليهودى صـ (٢٢٣) .

جديدة ، وهكذا تقع الدولة فى دوامة يهودية لا تنتهى إلا بانتهاء الدولة نفسها وإثارة القلاقل الداخلية .

٢ - استمرار تبعية العالم الإسلامى وخضوعه للغرب الرأسمالى والسيطرة الصهيونية :

إن معظم هذه القروض التى تهدف فى الظاهر إلى مساعدة بلدان العالم الإسلامى إنما تخفى ورائها أهدافا سياسية وعقدية .

فهذه المساعدات تستخدم لدعم حكومات معينة ، وهى الحكومات الصديقة للغرب والتى تقوم بتنفيذ سياستهم كما تستخدم لدعم أشخاص معينين - داخل هذه الحكومات لأنهم يقومون بتسهيل مأمورياتهم ، ولا أدل على ذلك مما حدث فى تونس والجزائر .

ففى تونس قامت الدول الغربية بدعم حكومة (زين الدين بن على) ماليا ، وذلك فى مقابل القضاء على حركة النهضة الإسلامية هناك ، وقد قامت الحكومة التونسية بتنفيذ كل ما طلب منها ، حيث لفقت للحركة مؤامرة لقلب نظام الحكم مما مهد لإلغاء الحركة والقبض على أعضائها وإيداعهم بالمعتقلات .

وفى الجزائر ما كادت حركة الإنقاذ الإسلامية تصل إلى الحكم إلا وقامت الحكومات الغربية بإرسال المعونات الاقتصادية إلى الحكومة العسكرية القائمة فى ذلك الوقت ، وهذا فى مقابل اعتقال رجال جبهة الإنقاذ .

وما حدث فى هذين البلدين ، حدث فى بلدان كثيرة ، وفى هذا يقول : « دان اليرمان » عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى سنة ١٩٧٤ : « إن تقديم المساعدات الغذائية لبلد ما لمجرد أن سكانه يتضررون جوعا لهو سبب واه للغاية ، ولكن الحقيقة أن هناك أسبابا أخرى أشار إليها مكتب البحوث السياسية التابع لوكالة المخابرات المركزية « فى عالم ينتشر فيه الجوع ، فإن ما يكاد أن يكون احتكاراً للولايات المتحدة الأمريكية لتصدير المواد الغذائية ، يمكن أن يمنحها قدراً من القوة التى لم تكن لديها من قبل . ويمكن أن يكون ذلك فى شكل سيطرة اقتصادية وسياسية أكبر من تلك التى تمت فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية .. فواشنطن يمكنها أن تستحوذ على سلطة منح الحياة أو الموت على أقدار حشود المحتاجين » .

وكما ذكر إيرل بوتز وزير الزراعة الأمريكى عام ١٩٧٤ أثناء « مؤتمر الغذاء العالمى » الذى انعقد آنذاك « فإن الغذاء هو أحد أدوات التفاوض الرئيسية » أما السناتور هيوبرت

همفرى ، الذى شغل بعد ذلك منصب نائب الرئيس الأمريكى - وكان يتمتع ببعض السمعة الليبرالية - فقد قال عام ١٩٥٧ :

« سمعت أن هناك أناسٌ يعتمدون علينا فى غذائهم وأعرف أن من المفروض أن هذه ليست أخباراً طيبة ، وإن كانت بالنسبة لى أخبار طيبة ، إذ قبل أن يفعل الناس أى شىء ، لابد وأن يأكلوا ، فإذا كان ولابد أن يبحث المرء عن وسيلة تجعل الناس تركن إليه فى محتوى تعاملهم معه ، واعتمادهم عليه ، يبدو لى أن الاعتماد الغذائى شىء مريع »[(١)] .

وإلى القارىء هذا النموذج العملى لتطبيق هذا الأسلوب على دولة إسلامية هى بنجلاديش .

فقد حاولت أمريكا أن تجعل حكومة الشيخ مجيب الرحمن متعاونة (أى خاضعة للسياسة الأمريكية) فإذا بها تستغل ما حدث فى بنجلاديش من فيضانات سنة ١٩٧٣ وتتأخر فى تعهداتها العادية من المساعدات الغذائية ، وتتدخل المخابرات المركزية فتمنع وصول شحنتين من الحبوب كان قد تم التعاقد عليها من مصدرى الحبوب الأمريكيين - مما أدى إلى المجاعة الكبرى التى مات فيها ما يقرب من مائة ألف - وفى النهاية خضع الشيخ مجيب الرحمن لمتطلبات السياسة الأمريكية فقام بتشكيل حكومة جديدة كلها من عملاء أمريكا ، ثم بعد ذلك جاءت المساعدات والمنح من جديد !!!

٣ - خلق أسواق جديدة لمنتجاتهم :

تمثل صادرات الدول الأوربية إلى الدول النامية أكثر من ٤٠٪ وللأسف الشديد أن معظم هذه المنتجات التى يدفع بها إلى شعوب العالم النامى منتجات كمالية وترفية واستهلاكية ، تخلق لها احتياجات غير طبيعية عبر وسائل الإعلام وعن طريق الإعلانات المضلله ، (خذ مثالاً على ذلك أدوات المكياج - والروائح العطرية والسجائر الأجنبية ، والشيكولاته وغيرها من السلع الترفية التى ترهق اقتصاد البلدان النامية) .

بل إن بعض تلك المنتجات ضار بصحة الإنسان ، فقد أجبرت الصين على استيراد الأفيون ، وأجبرت دول أخرى على استيراد أدوية حرم استخدامها فى البلدان المتقدمة صناعيا ، مثل وسائل تحديد النسل وغيرها من الأدوية الضارة بصحة الإنسان .

---

(١) صناعة الفقر صـ (١٥٠) .

هكذا تهدف المساعدات والقروض إلى خلق أسواق جديدة تساعد على مزيد من الربح .

يقول (يوجين بلاك) رئيس البنك الدولى الأسبق « تؤلف برامج المساعدات الخارجية فائدة واضحة للمصالح الأمريكية وهناك ثلاث فوائد رئيسية هى :

١ – توفر المساعدات الخارجية سوقاً واسعاً وفورياً لبضائع وخدمات الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ – تنشط المساعدات الخارجية تنمية أسواق خارجية جديدة لشركات الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ – توجه المساعدات الخارجية الاقتصاد الوطنى ناحية نظام اقتصادى حر تنتعش فيه شركات أمريكا .

ولقد قال الرئيس الأمريكى (كيندى) ١٩٦١ : « إن المساعدات الخارجية هى أسلوب تحافظ به الولايات المتحدة الأمريكية على النفوذ والسيطرة فى العالم أجمع .

أما الرئيس الأمريكى نيكسون فقد قال فى سنة ١٩٦٨ : « دعونا نتذكر أن الهدف الأساسى للمساعدات الأمريكية ليس هو مساعدة الأمم الأخرى ، بل مساعدة أنفسنا »[١] .

نعم فهذه هى تصريحات الساسة الأمريكيين التى تعبر بكل وضوح عن الأهداف الخطيرة للمساعدات والقروض فهل يعتبر الحكام الذين يعتمدون أسلوب القروض طريقا للتقدم الاقتصادى ؟

خطورة القروض الأجنبية :

للقروض الأجنبية خطورة كبرى على مستقبل اقتصاد بلدان العالم الثالث وذلك من جهات كثيرة أهمها :

١ – أنها تستنفذ اقتصاد البلد المقترض فى وقت قصير ، لأن نظم الميزانية المعمول بها الآن فى بلدان العالم النامى نظم خاطئة ، لأنها تقدر على أساس ما هو متوقع تحصيله

---

(١) راجع صـ (١٤٦) وما بعدها من كتاب صناعة الفقر .

من أموال وليس على أساس ما هو متحصل بالفعل ، ولاشك أن ما هو متوقع تحصيله من موارد لا يلزم تحصيله بالفعل طبقاً لما هو مستهدف ، ومن هنا يحدث العجز فى ميزان المدفوعات وتستهلك الميزانية قبل نهاية السنة ، وبالتالى تضطر الدولة إلى تعويض النقص عن طريق القروض .

وخذ مثالاً على ذلك الخطة الخمسية التى وضعتها مصر ١٩٩٢ - ١٩٩٧ والتى تقوم على أساس استثمار ١٤٥ مليار جنيه .

ما هى البنود التى اعتمدت عليها هذه الخطة ؟

لقد اعتمدت الخطة على الموارد التالية :

تمويل ذاتى ٦٦,٤ مليار جنيه (من هذا المبلغ ٤٣,٦ مليار جنيه مستهدفه من القطاع الخاص) .

تمويل يديره بنك الاستثمار القومى بوسائله ومقداره ٥٨,١ مليار جنيه .

وتعتمد الخطة على القروض والمنح لتوفير ٢٠,٦ مليار جنيه أى أن المصادر المحلية فى الخطة تقدر بـ ١٢٤,٥ مليار جنيه بنسبة ٨٥,٨٪ - والمصادر الخارجة تساوى ١٤,٢٪ .

وسوف يخرج من هذه الميزانية سنوياً ١٢ مليار جنيه لخدمة الدين الخارجى والمحلى .

إذن نحن هنا أمام ميزانية لا تعتمد على ماهو موجود[1] فى خزائن الدولة بالفعل وإنما بالتقريب على أساس ما حصلته الدولة فى عام منصرم ، أو على أساس ما هو متوقع تحصيله . ولا شك أن المستقبل قد يحمل كثيراً من المفارقات غير المتوقعة مما يؤدى إلى تعويض المنقص عن طريق الاستدانة لأن مصروفات العام التالى سوف تزيد بلا شك

---

(١) لقد أوحى اليهود فى البروتوكولات بهذه السياسة المالية الخاطئة . وهذا ما جاء فى البروتوكول العشرين : « والخطط التى سنتخذها لإصلاح المؤسسات المالية للأمميين ستقدم بأسلوب لا يمكن أن يلحظوه ، فسنشير إلى ضرورة الإصلاحات التى تتطلبها الحالة الفوضوية التى بلغتها الماليات الأممية ، وسنبين أن السبب الأول لهذا الحالات السيئة للمالية يكمن فى حقيقة أنهم يبدءون السنة المالية بعمل تقدير نسبى للميزانية الحكومية وأن مقدارها يزداد سنة فسنة للسبب التالى وهو : أن الميزانية الحكومية السنوية تستمر متأخرة حتى نهاية نصف السنة ، وعندئذ تقدم ميزانية منقحة ينفق مالها بعامة فى ثلاثة أشهر ، وبعد ذلك يصوت لميزانية جديدة وفى نهاية السنة تقرر حسابات بتصفية الميزانية ، إن الميزانية لسنة واحدة تقوم على جملة النفقة المتحصلة فى السنة السابقة . وعلى ذلك فهناك عجز فى كل سنة نحو خمسين من مائة من المبلغ الإسمى ، فتتضاعف الميزانية السنوية بعد عشر سنوات ثلاثة أضعاف ، وبفضل هذا الإجراء الذى اتبعته الحكومات الأممية العاقلة استنفذت أموالهم الاحتياطية عندما حلت مواعيد الديون وأفرغت بنوك دولتهم وجذبتهم إلى حالة الإفلاس ، وسوف تفهمون سريعاً أن مثل هذه السياسة للأمور المالية أغرينا الأمميين باتباعها لا يمكن أن تكون ملائمة لحكومتنا ، راجع صـ (٢١٧) من العقيدة اليهودية للمؤلف .

عن متحصلات العام المنصرم ، ومن هنا تضطر الدولة إلى الخضوع صاغرة لنظام القروض الذى يقوم على الربا واستغلال حاجة الناس ، ويؤدى فى النهاية إلى الإفلاس ، لأنه مادامت الدولة لم تتجه إلى زيادة الإنتاج وفرض الضرائب على القادرين من أبناء الشعب لتغطية الديون فإن طريق الاستدانة لن يزيد الحالة إلا سوءاً .

وهذا ما يشير إليه اليهود بقولهم : إن كل قرض ليبرهن على ضعف الحكومة وخيبتها فى فهم حقوقها التى لها ، وكل دين - كأنه سيف داموكليز يعلق على رأس الحاكمين الذين يأتون إلى أصحاب البنوك منا (...) إن القروض الخارجية مثل العَلَق الذى لا يمكن فصله عن جسم الحكومة حتى يقع من تلقاء نفسه ، أو حتى تتدبر الحكومة كى تطرحه عنها ، ولكن حكومات الأمميين لا ترغب فى أن تطرح عنها هذا العَلَق ، بل هى على عكس ذلك ، فإنها تزيد عدده ، وبعد ذلك كتب على دولتهم أن تموت قصاصاً من نفسها بفقر الدم »[1] .

وهكذا يؤدى القرض إلى إفلاس الدولة ، لأن القرض هو عبارة عن مضاعفة الدين الأساسى ، فلو أننا اقترضنا قرضاً بفائدة ٥٪ مثلاً - ففى عشرين سنة سوف تدفع مبلغاً يعادل القرض ، وفى أربعين سنة سوف تدفع ضعفين ، وفى ستين سنة ستدفع ثلاثة أضعاف المقدار ، وفى الوقت نفسه يبقى الدين كما هو لم يسدد بعد ، وبالتالى فالفائدة من القروض إنما تعود أولاً وأخيراً على اليهود من أصحاب البنوك ، وأضف إلى ذلك أن القروض قد لا تكون فى صورة أموال ، بل فى صورة عدد وعتاد أو مشروعات تحددها الدولة المقرضة ، وقد يكون القرض مشروطاً بقيود سياسية تحدد حرية الدولة المستدينة ، وكان من المفروض أن تتجه الدولة إلى زيادة الإنتاج وفرض الضرائب على القادرين بدلاً من الاستدانة .

٢ - أنها مشروطة ومقيدة وتهتم بمصلحة المقرض بصرف النظر عن مصلحة الطرف الضعيف وهو المقترض .

وفى حالات كثيرة يقوم « البنك الدولى » و « صندوق النقد » و « وكالة أيد الدولية » الأمريكية (ووكالة التنمية الدولية) ، بإعداد برامج مفصلة ، وعلى الحكومة المعنية أن تتبناها كشرط للحصول على قروض أو نقود من تلك الوكالات وهذا شىء

(١) الخطر اليهودى صـ (٢٢١) .

معروف تماماً بالنسبة « لصندوق النقد الدولى » ، لدرجة أنه حدث شغب فى بعض الظروف ضد « صندوق النقد الدولى » وأجبرت بعض حكومات الدول التى حاولت تطبيق برامج الصندوق على الاستقالة ، أو النكوص عن تطبيقها ، وهناك قصص منشورة عن أساليب « وكالة أيد الأمريكية » فى الضغط ويطلق على أساليب الضغط عموما الآن اسم « الروافع » وإن كانت « الروافع » التى يستخدمها « البنك الدولى » بالذات ليست معروفة بالدرجة نفسها ، إذ صرح أحد موظفيه بأنه : « يؤمن بالدبلوماسية السرية » ، لكن حقيقة الأمر أن الوكالات الثلاث تعمل معاً بطريقة وثيقة : فهى على سبيل المثال تعقد اجتماعات فى سفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى الدولة التى تقدم لها المساعدات ، لتقوم بتنسيق مطالبها .

وفى بعض الأحيان ، تكون الشروط المعلقة على قروضهم محددة بالضبط كمياً فمثلاً على الحكومة أن تخفض قيمة عملتها بنسبة كذا وعليها أن تخفض نفقاتها بنسبة كذا وكذا ، وينبغى أن تخفض القيود على وارداتها بهذا القدر ، والهدف الأساسى من الشروط يمكن أن يكون : التأكد من أن النظام المالى مستقر ويعمل بطريقة سلسة ، تجنب عدم الوفاء بالديون ، تجنب التأميمات ، وتجنب وضع أية قيود على سريان الأرباح إلى الخارج ، وتجنب وضع أية قيود على الواردات ، وتشجيع القطاع الخاص ، والاعتماد على التفاعل الحر لقوى السوق ، ويتوقع من الحكومات أن تؤقلم نفسها مع المشكلات الناتجة عن تلك الشروط ، من خلال إجراءات تقشف ، مثل استقطاع المصروفات الحكومية ، وخاصة ذات الأهداف الاجتماعية ، وأن توازن الميزانية وأن تستقطع الأجور لخفض التضخم ، ووضع قيود على الأثمان ، وزيادة الإيجارات وأسعار النقل والتسهيلات الأخرى .

ويبررون تلك السياسة بأنها لمزيد من النمو الاقتصادى ولكن عند التطبيق يزداد الفقراء فقراً ويزداد الأغنياء غنى ، أما النمو المنشود فهو سراب[1] .

٣ - كما أن هذه القروض تقدم لأجل مشروعات محددة ، قد تكون أهميتها بالنسبة للبلد المقترض فى الدرجة الثالثة أو الرابعة - فبينما تكون بلدان العالم الثالث فى حاجة إلى بناء مصنع أو استصلاح أرض بور وزراعتها ، تجد أن القروض توجه إلى كماليات

---

(١) صناعة الفقر صـ (١٥٤) وما بعدها .

لا قيمة لها - مثل مشاريع تجميل المدن والقرى بالنافورات والحدائق وغير ذلك من الأمور الهامشية فى حياة شعب يعيش على الدين فى رغيف العيش .

وعادة ما تجبر الدولة المقترضة على إنفاق أموالها على البنية التحتية ، وبالذات النقل والاتصالات والكهرباء وذلك كله ضرورى للتشغيل المريح للمصالح الأجنبية ، كما أن ذلك يجعل الحكومات تعتمد على طلب قروض إضافية أكثر لتسديد الديون السابقة .

وقد يكون هناك جزء كبير من القروض فى صورة سلع لابد من شرائها من الدولة المقرضة ، ومعظمها من السلع الراكدة وبأسعار أعلى من الأسعار العالمية ، حتى أنه قدر متوسط سعر البضائع التى تمولها المساعدات بأنه يزيد بمقدار ٢٥٪ عن الأسعار العالمية .

وأما عن المشاريع التى تقام فى البلدان المدينة بواسطة هذه القروض ، فهى مشاريع يعود عائدها أولاً وأخيراً على الدولة المقرضة حيث تقوم باستغلال القوى العاملة الرخيصة والإعفاء من الضرائب ، وما يسمى بمقابل براءات الاختراع ، ومقابل الإدارة ، ومقابل مرتبات الفنيين الأجانب والمستشارين وما إلى ذلك[1] .

وهكذا تكون البلدان الفقيرة هى التى تساعد الدول الغنية حتى قيل إن الشركات الأجنبية التى تستثمر أموالها فى الدول النامية تحصل على حوالى ٨٠٪ من رأسمالها من الدول النامية نفسها ؛ بل إنها حين تستثمر أموالها فى بلدانها فإنها لا تحصل على نصف ما تحصل عليه من استثمارها من الدول النامية .

« ولقد أسر نائب رئيس مجلس إدارة بنك دولى مركزه الولايات المتحدة إلى (فيلى برانت وموللر) بقوله : ليس من المفروض أن أقول لكما ما سأقوله ولكن بينما نحقق ربحاً من ١٣٪ إلى ١٤٪ على عملياتنا فى الولايات المتحدة فإننا نحصل بسهولة على ما يعادل ٣٣٪ على عملياتنا فى أمريكا اللاتينية) (إحدى الدول التى تعتمد على القروض) .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن معظم البنوك الأجنبية تمول مشاريعها فى البلدان النامية من خلال المدخرات المحلية ، فإننا نستطيع أن نقول عن مثل هذه العمليات إنها نصب مقنع ومقنن .

---

(١) صناعة الفقر صـ (١٣٣) وما بعدها .

ولقد كان الرئيس الأمريكى نيكسون صادقاً مع نفسه حين قال ذات مرة : « دعونا نتذكر أن الهدف الأساسى للمساعدات الأمريكية ليس هو مساعدة الأمم الأخرى ، بل مساعدة أنفسنا »[1] .

وهكذا فالقيود والشروط التى يضعها البنك الدولى لقروضه تفقد القرض قيمته وتجعل منفعته للمقرض وليس للمقترض .

ذلك أنه يفرض على الدول المقترضة تخفيض الأجور ورفع القيود عن الواردات وتخفيض قيمة العملة - حتى تكون قادرة على التصدير بأرخص الأسعار ، غير أن عائد التصدير لا يعود على الدول المدينة ؛ بل يعود على الدول الدائنة ، حيث إن الدول المدينة تدفع هذا العائد البسيط فى مقابل الواردات ، وتسديد الديون وغير ذلك مما يجعل الدولة المدينة كالبقرة الحلوب التى تدور فى مدارها حول الساقية ولا تعرف لدورانها نهاية[2] .

٤ - كما أن هذه القروض تركز على النواحى الهامشية - ولا تهتم إطلاقا بالإصلاح الحقيقى للاقتصاد ، أو التحديث الصناعى ؛ بل إنها توجه الدول المدينة إلى الاكتفاء بإنتاج الخامات والسلع الأولية .

والدول الاستعمارية بصفة عامة تحاول أن تخفى عنا أسرار الصناعات الهامة وهى غير مستعدة لأن يشاركها أحد فى تقنيتها ، فالأسرار الصناعية يتم حمايتها جيداً ، أما التقنية التى يتم نقلها فتتم بأى صورة وكيفما اتفق ، وبطريقة مجزأة .

---

(١) صناعة الفقر العالمى ص (١٤٧) .

(٢) وأنا أكتب هذا البحث قرأت خبراً منشوراً بجريدة الوفد الصادرة فى يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول - ١١ سبتمبر سنة ١٩٩٢ يقول : « قروض البنك الدولى نار ... نار » وتحت هذا الخبر جاءت التفاصيل على الوجه التالى « وافق مجلس الشعب فى دورته المنتهية على ٧٣ اتفاقية من بينها ٣١ اتفاقية خاصة بالمنح و٢٢ اتفاقية خاصة بالقروض ، وقد وجه الأعضاء عدة انتقادات لشروط الاتفاقيات وحذروا من بعض المنح ، لأنها تنطوى على تنازلات تمس السيادة المصرية ، والتحذير من قصر تعامل الجهة المقرضة مع هيئة بعينها ، وطالبوا بأن تتولى وزارة التعاون الدولى مسئولية توزيع القروض ، وإعداد دراسات جدوى سليمة تسبق التوقيع على الاتفاقيات ، وعدم استخدام القروض فى مشروعات ترفيهية .

وأبدى الأعضاء اعتراضهم على سعر الفائدة المتغير كل ستة شهور فى الاتفاقيات الخاصة بالبنك الدولى وانتقدوا زيادة الخدمات الاستشارية فى بعض الاتفاقيات مثلما حدث فى اتفاقية المنحة الدانمركية بمبلغ ٣,٨ مليون كرون لتمويل قطع الغيار الخاصة بمصنع الخميرة بمدينة السلام ، واستنزف أجور الخبراء والخدمات الاستشارية معظم المنحة بالإضافة إلى الإعفاءات الجمركية التى يحصل عليها الجانب الدانمركى » انتهى الخبر ولا تعليق .

وبناءً على هذا فحين يتم تبادل تجارى بين الدول النامية والدول الغنية يكون غير متكافىء ، لأن الدول الغنية تقول إن بضاعتنا قد انتجت بمستوى تكنولجى عال بينما انتجت بضاعتكم بمستوى تكنولجى منخفض ، وبالتالى تطلب الدول المقرضة أسعاراً أعلى لمنتجاتها .

٥ - وأخيراً فهناك خطورة المساس بسيادة الدول لأنه ما دام القرار الاقتصادى بيد الدول الاستعمارية فإن القرار السياسى سوف يكون تابعا له ، وبذلك يضيع استقلال الدول المدينة وتخضع للهيمنة الاستعمارية من جديد ، حيث تفرض عليها نظم وتعليمات ، وتضطر إلى تنفيذها ، حتى ولو كانت مخالفة لعقائد الأمم وتراثها وعليها أن تنفذ وإلا فالموت جوعا ، والفضيحة العالمية حيث يعلن البنك الدولى إفلاس الدولة وهو إعلان يساوى موت الدولة وشعبها حيث تمتنع جميع الدول عن التعامل معها .

هذه هى بعض وجوه الخطورة الناجمة من القروض والديون .

الحل الإسلامى لمشكلة القروض :

قد يقول قائل وماذا نفعل ونحن لا نجد ثمن الطعام والشراب ، فلا مفر أمامنا من القروض .

إلا أن هذا القائل يفترض أنه يمكن أن يعالج المرض بنفس الداء الذى سببه وهذا أمر لا يقبله عاقل .

أما عن الحل الإسلامى لهذه المشكلة فيتمثل فيما يأتى :

أولاً : تحقيق الاستقلال الاقتصادى والتنمية المستقلة وذلك من خلال التوجيهات التالية .

١ - ترشيد الإنفاق وضبط الاستهلاك ، والبعد عن الاقتصاد الترفى وذلك ما وجه إليه القرآن الكريم فى كثير من آياته وخذ على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** ﴾[1] وقوله : ﴿ **وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾[3] .

---

(١) الإسراء آية [٢٧] . (٢) الأعراف آية [٣١] .
(٣) هود آية [١١٦] .

فالقانون الذى يحكم سلوك المسلم الاقتصادى هو التوازن والاعتدال ، فلا إسراف ولا تقتير[1] .

وحين توضع هذه القيم « موضع التنفيذ تحل المشكلة ، لأن التنمية تفترض أن يقتطع المجتمع من استهلاكه الحالى ليستثمر الفائض فى زيادة طاقته الإنتاجية وهو ما يسمى فى الاصطلاح الحديث بالتراكم الرأسمالي[2] .

٢ – فرض الضرائب على القادرين لتعويض العجز فى ميزان المدفوعات .

٣ – وضع نظام الزكاة موضع التنفيذ وتحصيل حق الفقراء والمساكين من الأغنياء والقادرين فجباية الزكاة تؤدى إلى مزيد من التنمية لأن صاحب المال المخزون يخاف أن تأكله أموال الزكاة .

وبالتالى يتجه إلى مشاريع التنمية التى تستوعب العمال العاطلين عن العمل كما تؤدى إلى مزيد من التراكم الرأسمالى الذى يحرر الاقتصاد الإسلامى من سيطرة الاقتصاد الغربى .

٤ – ولابد من مقاطعة سائر البضائع الأجنبية التى تلتهم أموال المسلمين ، وذلك بإغلاق باب الاستيراد تماما للسلع التى لها مثيل محلى حتى ولو كان أقل جودة ، أو على الأقل وضع نظام للحماية الجمركية وزيادة الضرائب على السلع المستوردة ، وذلك أن فتح باب الاستيراد دون ضوابط يشجع التجارة على حساب الصناعة ، ويؤدى إلى تبعية اقتصادية كاملة .

والدليل على نجاح هذا الأسلوب ما حدث فى مصر حين أوقفت الاستيراد لكثير من السلع ، فإذا بالمصانع المصرية تقام فى المدن الصناعية ، والتى استطاعت أن تساهم بجدية فى التنمية الاقتصادية .

٥ – ولابد من الاعتماد على الذات ، والثقة فى النفس والإيمان بأن قدرتنا الاقتصادية وإن كانت محدودة إلا أنه بسواعد أبناء المسلمين وبمواردهم يستطيعون تنمية هذه القدرات .

---

(١) راجع صـ (٢٥٢) من انهيار الشيوعية للمؤلف .

(٢) راجع صـ (١٢٩) من التنمية الاقتصادية فى المنهج الإسلامى .

والاعتماد على الذات لا يعنى الانغلاق على النفس ، بل إن حقيقته تتمثل أساسا فى نفي التبعية الفكرية التى تتمثل فى ازدراء القدرات الذاتية – والتطلع دائما عندما تحدث لنا أية مشكلة – إلى غيرنا بحثا عن الحل الجاهز .

إنه موقف ثقة بالنفس وبالشعب واحترام للتراث الحضارى لشعوبنا وقدرتها على الإبداع والابتكار والخروج من الأزمة[١] .

والمثل العملى على هذا ما حدث فى السودان على يد ثورة الإنقاذ ، فقد أوقفت الدول الغربية عن السودان قروضها ومنحها ، ولكنها اعتمدت على قدراتها الاقتصادية المحلية واتجهت إلى زراعة أرضها وتوفير غذائها ، وبذلك استقل السودان فى قراره فقد تحول الغذاء إلى سلاح سياسى للاستقطاب وفرض التبعية .

٦ – المشاركة الشعبية فى التنمية واعتبارها من قبيل الجهاد في سبيل الله والارتفاع بها إلى مستوى العبادة ، وذلك بترسيخ القيم الإسلامية فى مجال العمل .

فالإسلام يعتبر كل أفراد المجتمع من العاملين بصرف النظر عن طبيعة عملهم وبذلك يسوى بين الجميع .

كما أن الإسلام يكرم العمل والعمال ويضمن لهم حقوقهم وواجباتهم[٢] .

٧ – ترسيخ القيم الإسلامية فى مجال الزراعة واستصلاح الأرض البور ، ومجال استخراج المعادن والتنقيب ، عن خفايا الأرزاق التى وضعها الله فى جوف الأرض[٣] ومجال استغلال الثروات المائية ، ومجال الصناعة بأنواعها وأشكالها وقد تحدثنا بالتفصيل عن هذه القيم فى كتابنا انهيار الشيوعية[٤] .

ثانياً : تحقيق التكامل بين دول العالم الإسلامى : خاصة وأن العالم الإسلامى يملك المقومات التى تجعل منه قوة عظمى فى طليعة القوى العالمية .

فالعالم الإسلامى يملك من المقومات البشرية ما يزيد على ربع سكان العالم موزعين

---

(١) التنمية الاقتصادية صـ (١٣٤) .

(٢) د . محمد المبارك – نظام الإسلام الاقتصادى صـ (٤٣) وما بعدها .

(٣) راجع المغنى لابن قدامة جـ ٥ صـ (٥٧٢) وما بعدها .

(٤) راجع صـ (٢٥٤) من انهيار الشيوعية .

على ما يقرب من سبعين دولة يمثلون أكبر تجمع بشرى يرتبط بعقيدة واحدة . وعبادة واحدة وتاريخ واحد ، (فالإسلام يملك قوة عجيبة على تجميع الأجناس المختلفة تحت راية واحدة ، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به إلى الدفاع عن أرضه وثرواته مسترخصا فى سبيل ذلك كل شيء حتى روحه)[1] .

كما أنهم يملكون أكثر من ربع مساحة اليابسة متصلة بعضها ببعض بصورة تدعو إلى العجب !! كيف تتمزق هذه الأرض المتواصلة إلى دويلات مستقلة ؟ !

أضف إلى هذا المقومات الجغرافية حيث يطل العالم الإسلامى على مسطحات مائية خطيرة تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية فى العالم – ولعل الهيمنة الأجنبية على الخليج العربى أثناء حرب العراق وإيران تكشف لنا عن أهمية وخطورة الموقع الجغرافى للعالم العربى الذى يمثل قلب العالم الإسلامى .

ثم تأتى بعد ذلك المقومات المالية والاقتصادية :

فكثير من دول العالم الإسلامى تملك مئات المليارات المودعة فى بنوك أوربا يستفيد بها أعداء الإسلام عن طريق إقراضها للمسلمين الفقراء ومن خلال هذه القروض يتحكمون فى كثير من بلدان العالم الإسلامى .

ولو أن أغنياء المسلمين أقرضوا فقراءهم ، لكفوهم مذلة السؤال من الغرب بالإضافة إلى الثروات الزراعية والحيوانية ومصادر الطاقة الهائلة والثروات التعدينية التى لم تقدر تقديراً نهائياً بعد[2] .

يقول باول شمتز : أثبتت الأبحاث وجود حزام عريض من البترول يمتد من الشاطىء الغربى للبحر الأحمر حتى الخليج الفارسى ومنه عبر حقول الزيت فى جنوب إيران وشماله إلى أفغانستان ، وتشير الاحتمالات أنه لم يكتشف حتى الآن من هذا الحزام البترولى سوى جزء صغير جداً . وعليه فلم تستوعب بعد الثروة البترولية فى العالم الإسلامى ، تلك الثروة التى تمده كما تمد دوله بأسباب القوة وبمقومات الاعتماد على النفس والتحرر من النفوذ الأجنبى[3] .

---

(١) باول شمتز – الإسلام قوة الغد العالمية صـ (٧٠) .

(٢) راجع صـ (١٣٣) وما بعدها من كتاب « قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى » د . زغلول النجار – كتاب الأمة رقم (٥) .

(٣)) الإسلام قوة الغد العالمية صـ (٢٢٣) .

إذاً فلا عذر اليوم لحكام المسلمين بعد اكتمال عناصر الوحدة الطبيعية (القوة البشـــرية - والأرض - والعقيـــدة - والمـــال) فضـلاً عن باقـى عناصـر الوحـدة الأخرى[1] .

فكل هذه المقومات تجعل العمل العالمى الإسلامى فريضة وضرورة .

خاصة وأن العصر الذى نعيش فيه هو عصر التكتلات الاقتصادية ، فمن الوحدة الاقتصادية الأوربية ، إلى الوحدة الألمانية ، ومن وحدة دول جنوب شرق آسيا إلى الحلف الأمريكى الإنجليزى الذى يحاول صنع ما يسمى بالنظام العالمى الجديد .

فألا يجب على حكام المسلمين أن يوحدوا العالم الإسلامى الذى يملك كل مقومات الوحدة من وحدة العقيدة والدين إلى وحدة اللغة والمصير ووحدة الظروف التاريخية والحضارية ، ووحدة الآمال والآلام ؟ وكل ذلك لم يتوفر لأى تكتل من التكتلات العالمية التى ظهرت فى نهايات القرن العشرين .

(١) راجع (مفهوم وحدة الأمة الإسلامية) للدكتور محمود حمدى زقزوق - ضمن حولية كلية أصول الدين - العدد السادس .

وبعـــــد :

فهذه هى أساليب أعداء الإسلام فى مواجهته ، ونحن لا نلومهم عليها وإنما نتوقع منهم ما هو أكثر من ذلك ، بل نلوم أنفسنا لأننا ساعدناهم على ذلك بتقصيرنا فى حق ديننا .

وهكذا لم يكن استضعاف المسلمين بسبب أساليب القوى المعادية وحدها ، بل هناك أسباب أخرى نبعت من داخل المجتمعات الإسلامية نفسها ، بل إن أساليب أعداء الإسلام إنما تستمد قوتها من ضعف المسلمين ، وحينما ينهض المسلمون ويتمسكون بعقيدتهم وشريعتهم سوف تذهب كل هذه الأساليب أدراج الرياح .

فمن الذى يمسك المسلم عن الالتزام بتعاليم الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج وآداب وأخلاق ؟ ومن يمسك المسلم عن أن يلزم أهل بيته بتعاليم الإسلام فيما يتعلق بالحجاب والعفة ومنع الاختلاط وغير ذلك ؟ .

- من يمسك المسلم من أن يأخذ بأسباب الحضارة والعلم ؟
- من يمسك حكام المسلمين عن تطبيق شرع الله وعن القضاء على القهر السياسى وإشاعة الحريات فى المجتمعات الإسلامية ؟

ليس هناك من يمسك المسلمين عن الالتزام بدينهم . ومن هنا فإننا نقول إن أسباب نهضة العالم الإسلامى هى بيد المسلمين أنفسهم ، وإن عوامل التعويق من جانب القوى المعادية لن يكون لها أية قيمة حينما ينطلق المسلمون من قماقمهم التى قبعوا فيها طويلاً .

فيا أيها الرجال أفيقوا وانظروا كيف كنتم وكيف أصبحتم وخذوا من المحن والنوائب دروساً توقظكم من سباتكم ، فلقد أراد الله لنا أن نكون خير أمة وحقق ذلك واقعاً فى سلفنا الصالح ، وأردنا أن نكون غير ذلك .

فهل من يقظة لديننا ؟ وهل من عودة إليه ؟ وهل من بعث جديد من هذه المراقد التى طال المكث فيها ؟ وهل من أمل جديد يضعه الله فى هذه النفوس التى أماتها اليأس ، ورضيت بالدنية فى دينها ؟ .

إنه لمن المهانة والمذلة أن يتحرك دعاة الباطل لدحض الحق ، ويركبون فى ذلك الصعب ويتجشمون المشاق ولا نتحرك نحن لإحقاق الحق . فعلينا أن نتحرك ولا نيأس وقد بشرنا الرسول ﷺ بأن النصر مع الحركة والعمل ، وأن هذا الدين قائم إلى يوم

القيامة مهما تكن أساليب أعداء الإسلام ، يقول الرسول ﷺ : « **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ** »[1] .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد للمسلمين الكرَّة على أعدائهم ، وأن يوفقهم إلى موجبات نصره : ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[2] .

المؤلـــف

د . سعد الدين صالح

---

(١) رواه البخـاري .

(٢) الأعـراف [٢٣] .

□ المصادر والمراجع □

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المؤلفات البشرية .

١ - أبو البركات سيد أحمد الدرديرى - د . عبد الحليم محمود - الإسكندرية ١٩٧٤م .

٢ - أثر البيئة فى ظهور القاديانية - د . محمد شامة - القاهرة ١٩٨٠م .

٣ - أحكام غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى - د . يوسف القرضاوى - القاهرة .

٤ - أسرار الانقلاب العثمانى - مصطفى طوران .

٥ - أساليب الغزو الفكرى - د . على جريشة وزميله - القاهرة ١٩٧٨م .

٦ - البهائية - محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٩٤ هـ .

٧ - التبشير والاستعمار فى البلاد العربية - د . عمر فروخ وزميله بيروت ١٩٧٣م .

٨ - الحركات النسائية فى الشرق وصلتها بالاستعمار - محمد فهمى عبد الوهاب - القاهرة ١٩٧٩م

٩ - الحكومة الإسلامية - أبو الأعلى المودودى - القاهرة ١٩٨٠م .

١٠ - الحلول المستوردة - د . يوسف القرضاوى - القاهرة .

١١ - الخطر اليهودى - ترجمة محمد خليفة التونسى - القاهرة .

١٢ - الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر - الشيخ محمد الغزالى - القاهرة .

١٣ - الرسائل النبوية - د . على السبكى - القاهرة ١٩٨٠م .

١٤ - الرب والله وجوجو - جاك مندلسون - ترجمة إبراهيم سعد - القاهرة .

١٥ - الزوجة العاملة - عبد الوهاب البندارى - القاهرة ١٩٦٩م .

١٦ - الصحوة الإسلامية - د . يوسف القرضاوي - قطر ١٤٠٢هـ .

١٧ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكزة الغربية - أبو الحسن الندوي - القاهرة ١٩٧٧م .

١٨ - الصحافة والأقلام المسمومة - أنور الجندى القاهرة - ١٩٨٠م .

١٩ - العقيدة والشريعة - جولد زيهر - ترجمة محمد يوسف موسى - القاهرة .

٢٠ - العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية - د . سعد الدين صالح - القاهرة ١٩٨٤م .

٢١ - العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق - د . محمد البهى - القاهرة .

٢٢ - الغزو الفكرى - محمد جلال كشك - الكويت .

٢٣ - الغارة على الإسلام - شاتيلية - ترجمة محب الدين الخطيب .

٢٤ - الفكر الإسلامى مقدمات العلوم والمناهج - أنور الجندي القاهرة ١٩٧٩ .

٢٥ - الفلسفة الإسلامية - بين الأصالة والتقليد - د . محمود بركات - القاهرة .

٢٦ - القاديانية - الخطر يهدد الإسلام - د . أحمد عرفه - القاهرة ١٩٦٩م .

٢٧ - القاديانية - نشأتها وتطورها - د . حسن عيسى عبد الظاهر - القاهرة ١٩٧٣م .

٢٨ - الكتاب المقدس - القديم والجديد .
٢٩ - الله أو الدمار - الأستاذ لطفى جمعة - القاهرة ١٩٧٥م .
٣٠ - اللحظات الأخيرة من حضارتنا - د . عبد الحليم عويس - القاهرة ١٩٧٥ .
٣١ - المستشرقون ومشكلات الحضارة - د . عفاف صبره - القاهرة ١٩٧٩م .
٣٢ - المرأة الجديدة قاسم أمين - القاهرة ١٩٧٩م .
٣٣ - المرأة ومكانتها فى الإسلام - أحمد عبد العزيز الحصين - القاهرة ١٩٨١م .
٣٤ - المشروعية الإسلامية العليا - د . على جريشة - القاهرة ١٩٨٥م .
٣٥ - الملل والنحل - الشهرستانى - تحقيق سيد الكيلانى - القاهرة ١٩٦٧م .
٣٦ - الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ - محمود عبد الحليم - الإسكندرية ١٩٧٩م .
٣٧ - الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية - د . زكريا سليمان بيومى - القاهرة ١٩٧٨م .
٣٨ - الاختلاط وما ينجم عنه من مساوىء الأخلاق - الشيخ عبد الله بن زيد - قطر ١٣٩٤هـ .
٣٩ - الإسلام ومشكلات الحضارة - الشيخ سيد قطب - بيروت ١٩٨٣م .
٤٠ - الإسلام قوة الغد العالمية - باول شمتز - ترجمة د . محمد شامه - القاهرة ١٩٧٤م .
٤١ - الإسلام والتيارات المعاصرة - د . عبد المعطى بيومى - القاهرة ١٩٧٩م .
٤٢ - الإسلام فى مفترق الطرق - د . أحمد عروة - بيروت ١٩٧٥م .
٤٣ - الإسلام ومستقبل البشرية - د . عبد الله عزام - الأردن ١٩٨٠م .
٤٤ - الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة - د . محمد البهى - بيروت ١٩٧٣م .
٤٥ - الإسلام والمشكلة الجنسية - د . مصطفى عبد الواحد - القاهرة ١٩٧٣م .
٤٦ - الاستعمار أحقاد وأطماع - الشيخ محمد الغزالى - القاهرة ١٩٨٣م .
٤٧ - الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية - د . إبراهيم خليل أحمد - القاهرة .
٤٨ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - د . محمود زقزوق / قطر .
٤٩ - الأسرة فى الإسلام - د . مصطفى عبد الواحد - القاهرة ١٩٧٢م .
٥٠ - اليهودية - د . أحمد شلبي - القاهرة ١٩٧٨م .
٥١ - بولس والنصرانية - د . محمد أبو الغيط الفرت - القاهرة .
٥٢ - تاريخ أوربا فى العصور الوسطى - فيشر - ترجمة د . محمد زيادة وزميله .
٥٣ - تاريخ الأمة العربية - د . عبد الفتاح مصطفى شحاته - القاهرة ١٩٧١م .
٥٤ - تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات - د . عبد الحليم عويس وزميله .
٥٥ - تفسير ابن كثير - الحافظ أبو الفداء إسماعيل .
٥٦ - تفسير آيات الأحكام - الصابونى .
٥٧ - تفسير سورة النور - أبو الأعلى المودودي - القاهرة .
٥٨ - تنظيم الأسرة وتنظيم النسل - أبو زهرة - القاهرة .
٥٩ - تهافت العلمانية د . عماد الدين خليل - بيروت ١٩٧٥م .

٦٠ - جهود المفكرين المسلمين فى الرد على منطق اليونان د . سعد الدين صالح القاهرة ١٩٨٠م .
٦١ - حتمية الحل الإسلامى - د . أبو المعاطى أبو الفتوح - القاهرة ١٩٧٧م .
٦٢ - حركة تحديد النسل - أبو الأعلى المودودى - بيروت ١٩٧٩م .
٦٣ - حصاد الغزو - الشيخ محمد الغزالى - القاهرة ١٩٧٨م .
٦٤ - حقائق ثابتة فى الإسلام - ابن الخطيب - طهران ١٩٧٤م .
٦٥ - حقوق النساء فى الإسلام - رشيد رضا - القاهرة ١٩٨٤م .
٦٦ - حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر - أحمد عبد الوهاب .
٦٧ - خمس رسائل إلى الشباب المسلم - د . محمد البهى - بيروت ١٩٧٢ .
٦٨ - دعاة لا بغاة - د . على جريشة .
٦٩ - دفاع عن العقيدة والشريعة - الشيخ محمد الغزالى - القاهرة ١٩٧٥م .
٧٠ - سقوط الجولان - السيد / مصطفى خليل - القاهرة .
٧١ - صراع العرب خلال العصور - محمد عبد الغنى حسن - القاهرة .
٧٢ - صفحات من تاريخ الإخوان - أحمد رائف - القاهرة .
٧٣ - ظلام من الغرب - الشيخ محمد الغزالى - القاهرة ١٩٧٨م .
٧٤ - عقبات فى طريق الإسلام - د . محمد البهى - القاهرة ١٩٧٧م .
٧٥ - فقه السيرة - د . محمد سعيد رمضان البوطى - القاهرة .
٧٦ - فقه السنة - الشيخ سيد سابق - القاهرة .
٧٧ - فلسفة الاستشراق د . أحمد سمايلوفتش - القاهرة ١٩٨٠م .
٧٨ - فى ظلال القرآن - الشهيد سيد قطب - بيروت .
٧٩ - فى مسألة السفور والحجاب - الشيخ عبد الودود شلبى - القاهرة .
٨٠ - قضيتنا - الشهيد حسن البنا - القاهرة ١٩٧٨م .
٨١ - قضيتنا - الشهيد البنا - القاهرة ١٩٧٨م .
٨٢ - كفاح دين - الشيخ محمد الغزالى - القاهرة ١٩٨٢م .
٨٣ - لعبة اليمين واليسار - د . عماد الدين خليل - القاهرة ١٩٨٢م .
٨٤ - لعبة الأمم - مايلز كوبلاند - ترجمة مروان بيروت ١٩٧٠م .
٨٥ - لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا - عبد المتعال الجبرى - القاهرة ١٩٧٨م .
٨٦ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي - القاهرة ١٩٧٧م .
٨٧ - ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن التبشير - محمد السليمان الجبهان - الرياض .

* الفهرس *

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع
إثارة النعرات القومية والعرقية

الموضوع **الصفحة**

الفصل الخامس
إثارة الفتن الطائفية في العالم الإسلامي

الفصل السادس
القضاء على الخلافة الإسلامية

الفصل السابع
التدخل في نظم الحكم في العالم الإسلامي

الفصل الثامن
التدخل في مناهج التعليم في العالم الإسلامي

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثاني عشر
القضاء على الحركات الإسلامية

الفصل الثالث عشر
تكوين الفرق الهدامة المدعية الإسلام

الموضوع — الصفحة

الفصل الرابع عشر
أسلوب المنح والقروض

* * *

عمرو

للمؤلف

[أ] سلسلة المنطق ومناهج البحث :

١ – قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين – دار الأرقم بالزقازيق سنة ١٩٩٠م .

٢ – قوانين الفكر بين الاعتقاد والإنكار – رسالة ماجستير بكلية أصول الدين القاهرة .

٣ – المنطق واتجاهاته القديمة والحديثة والمعاصرة – دار الهدى القاهرة سنة ١٩٨٣م .

٤ – البحث العلمى ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية) دار الأرقم ١٩٨٩م .

[ب] سلسلة الأديان والملل والنحل :

١ – مدخل لدراسة الأديان والملل والنحل – الزقازيق سنة ١٩٩١م .

٢ – مشكلات العقيدة النصرانية – الطبعة الثالثة – دار الأرقم ١٩٩٢م .

٣ – العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية – الطبعة الثانية – دار الصفا سنة ١٩٩٠م .

[جـ] سلسلة العقائد الإسلامية :

١ – العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث – الطبعة الثانية – دار الصفا – القاهرة سنة ١٩٩١م .

٢ – المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٨٩م .

٣ – أفعال الله وأفعال العباد – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٩م .

٤ – أشراط الساعة بين العلم والدين – دار الأرقم سنة ١٩٩٢م .

٥ – شفاعة الرسول ﷺ (رد شبهات المنكرين المعاصرين ، حولية كلية أصول الدين بالزقازيق) .

٦ – مشكلات التصوف المعاصر – الزقازيق سنة ١٩٩١م .

[د] **سلسلة المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة :**

١ - احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام - دار الأرقم سنة ١٩٨٩م .
٢ - انهيار الشيوعية أمام الإسلام - دار الأرقم سنة ١٩٨٩م .
٣ - نظرية التحليل النفسى عند فرويد في ميزان الإسلام - الزقازيق سنة ١٩٩٠م .
٤ - الماسونية في أثوابها المعاصرة - دار الصفا سنة ١٩٩٠م .
٥ - الوجودية في ميزان الإسلام - دار الطباعة المحمدية - القاهرة سنة ١٩٨٩م .
٦ - التجربة الدينية في الفلسفة البراجماتية - حولية كلية أصول الدين بالزقازيق - العدد الثالث .
٧ - النظام العالمى الجديد (رؤية إسلامية) دار الأرقم سنة ١٩٩٢م .

[هـ] **موضوعـات متفرقـة :**

١ - كيف نفهم الإسلام وكيف ندعو إليه ؟ - حولية كلية أصول الدين بالزقازيق العدد الرابع سنة ١٩٩٢م .
٢ - بين علم الاجتماع الإسلامى وعلم الاجتماع الغربي - دار الأرقم سنة ١٩٨٩م .
٣ - مرتكزات النهضة الإسلامية - دار الأرقم سنة ١٩٨٩م .
٤ - أختي المسلمة - دار الأرقم سنة ١٩٨٩م .
٥ - قوانين الدعوة إلى الله - دار الأرقم سنة ١٩٩٢م .